سيرة محمد صلى الله عليه وسلم
بين مكة والمدينة

تأليف
علي زين العابدين محمد عمارة

الناشر
مكتبة الإيمان
المنصورة أمام جامعة الأزهر
ت : ٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

(سورة الحشر : آية ٧)

الناشر

مكتبة الإيمان

المنصورة ☏٢٥٧٨٨٢
أمام جامعة الأزهر

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مقدمة

الحمد لله المحمود من قبل الخلق والوجود ، الحمد لله الذى أرسل لنا سيدنا محمدًا بن عبد الله، أرسله بدين الحق والسلام، فاستقام على جادته رجال عملوا به، والتزموا فكانوا رواد هدى ورحمة ، وكانت مجتمعاتهم هى المثل الأتقى والأنقى.

صلوات ربى وسلامه عليه ، نشر دعوته وتلى قرآنه ففتح به أعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما وتقدموا ركب الإنسانية وقادوا مسيرتها حتى وصلت بهم إلى مرفأ الأمن والأمان فى نور الحق والقرآن وحب الواحد الديان .

صلوات ربى على المصطفى الهادى وآل بيته الذين تحملوا عبء الدعوة ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

ما أحوج البشرية جمعاء إلى قطرة إيمان فى عصرنا الحاضر الذى يعيشه الإنسان ظامئ الروح والوجدان بين حضارة مادية وحضارة حيوانية لا ترعى فيه إلاّ ولا ذمة بعد أن سلبته دينه وعقيدته وتركته نهبا للهواجس والهموم وفريسة للقلق والضياع ، تمزقه الحيرة وتضنيه الحسرة وتعتصره الآلام ... إلا من استمسك بالعروة الوثقى ولاذ برياض الرحمن ، يقطف من ثمرها ويشرب من نبع الإيمان فعاش مطمئن القلب مرتاح الفؤاد .

ومحبة منى فى الله ورسوله ﷺ أقدم هذا الكتاب .. كتاب (محمد ﷺ بين مكة والمدينة) دعوة للحب فى الله ولله، ولرسوله ﷺ وتذكرة لكل غافل ولكل من شغلته الحياة الدنيا، نرجو له الهدايه والرشاد . وردا قاطعا على كل المفتريات التى أطلقها أعداء الإنسانية والإسلام من اليهود الجاحدين ، والمستشرقين الحاقدين والملحدين المارقين الذين قالوا الكثير فى حق الإسلام ونبى الإسلام .

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (١).

كما وجدنا فى حياة سيدنا رسول الله ﷺ وصحابته البلسم الشافى لعلل الأفراد والجماعات من الأمراض الاجتماعية العصرية التى جلبتها المادة ونشرتها الفلسفات المناهضة للدين والتى تحمل فى مطاويها السموم القاتلة لكل فكر يدعو للإيمان. وتخريب العقول والقلوب وانحراف المجتمعات . حتى وصل الإنسان إلى أن يدمر أخيه الإنسان ، وفرض عليه شريعة الغابة ، ثم ضاقت به الدنيا فدمر نفسه بالانتحار.

والدعوة المحمدية تعمل على بناء الفرد من الداخل والعناية به من الظاهر وعندما يتم تصحيح البناء واكتماله يدفعه الإيمان إلى العمل المثمر الخالص لوجه الله .

والإيمان بالله يعمل على التوازن بين الإشباع الروحى والمادى ليعيش الإنسان مطمئن النفس مرتاح البال والجوارح .

وشاهدنا على ذلك ماكان فى حياة سيدنا محمد ﷺ وصحابته الأخيار .

فلم يكن اليتم والفقر وقلة الرجال والأعوان وكثرة الأعداء تمثل عوائق أمامه ﷺ بل كانت دافعا للإقدام والاستمرار فى دعوته ، فقد أخذ من الله القوة باعتصامه بمولاه والعون والإيمان القوى الذى جعل من ضعفه قوة ومن قلة الأهل كثرة .

ومن فقره غنى فوصل إلى الغاية المنشودة والدرجة العلية ، وبذلك يكون المثل والقدوة والمثل الأعظم لكل شاب يريد الرفعة ، ولكل رجل يعشق الفضيلة ولكل أمة ترجو الفلاح لشعبها .

وفى الغزوات والسرايا دروس وعبر لمن يعتبر ، فلم يكن نصر المسلمين لقوتهم ومهارتهم وكثرتهم، وإنما لإيمانهم العميق بالله وحده وبنصره فكان الجزاء ما قرّه رب العزة بقوله : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنَزلَ

(١) سورة التوبة : ٣٢ .

اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىَ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَآءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وتعلم الغزوات والسرايا وفهم تاريخنا أمر واجب ، والحفاظ عليها حفاظًا على شرف أبنائنا . يقول زين العابدين – على بن الحسين: **كنا نعلم أولادنا مغازى رسول الله ﷺ كما نعلمهم السور من القرآن .**

وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص قال : كان أبى يعلمنا المغازى والسرايا ويقول : يا بنى هذا شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكراها .

و(كتاب محمد ﷺ بين مكة والمدينة) هو دراسة شاملة لحياته مظهرا فيه كيف سارت الدعوة الإسلامية وانتصرت وغمرت أرجاء الجزيرة العربية فى تسلسل تاريخى للأحداث والتشريع مثبوت بالتاريخ الهجرى والميلادى مع شجرة النسب المحمدية وخريطة لبلاد العرب موضحا عليها القبائل العربية القديمة ، وأهم المواقع والغزوات مع خريطة للطريق الذى سلكه فى هجرته من مكة إلى المدينة ، بالإضافة إلى ما حدث من زيجات ومواليد ووفيات وقصص دينية وموقف اليهود والمنافقين .

بالإضافة إلى إبراز دور آل بيت رسول الله ﷺ فى انتشار الدعوة سواء قبل الهجرة أوبعدها من أول جده عبد المطلب إلى عمه أبى طالب ، والعباس ، وحمزة ، ثم أبناء عمه جعفر وعلى .

ولقد مهدت للبحث بإطلالة سريعة على العالم قبيل الإسلام مبينا حالته والأديان والنِّحل والعقائد التى كانت فى القرنين الخامس والسادس الميلادى . مظهرا حاجة العالم لمنهج ودين جديد ينقذ العالم مما يعانيه .

وأقول إلى هؤلاء الذين يزعمون أن الإسلام انتشر بحد السيف أنهم لم يفهموا حقيقته ولم يتشربوا تعاليمه ، وأنه دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها كما أنهم نسوا ما كان يوصى به رسول الله لقواد جيشه وسراياه ما قاله لعلى بن أبى طالب

---

(١) سورة التوبة : ٢٥ ، ٢٦ .

رضى الله عنه عندما أعطاه الراية فى غزوة خيبر: « **انزل إلى ساحتهم وادعهم للإسلام فإن لم يذعنوا لك فقاتلهم ، فوالله لأن يهدى بك الله رجلا واحدا خير لك من حمر النعم** » .

كما كان يوصى بعدم قتل المرأة ولا الطفل الرضيع والشيخ المسن ولا العابد ولاهدم الصوامع ولا المنازل ولا قطع الزرع وغير ذلك . هذا هو خلق الإسلام فكيف ينتشر بحد السيف ؟ .

أقول لهم : لقد دخل الإسلام الملايو وأندونيسيا والفلبين والصين واليابان وأفريقيا وأمريكا ودول أوربا دون إراقة نقطة دم ، وله فى أمريكا وإنجلترا وفرنسا جاليات كبيرة وعظيمة تزداد يوما بعد يوم كيف دخلت وانتشرت فى هذه الأمصار ؟ هل دخلت بحد السيف .

لقد رفرفت أعلام الإسلام على جبال البرانس فى فرنسا غربا وحدود الصين شرقا وما زالت تدخل فيه أفواجا فى دين الله طواعية دون إكراه. ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

ولو سلمنا جدلا أنه انتشر بحد السيف لكان نوعا من الاستعمار وما وجدنا فى التاريخ القديم أو الحديث أن الاستعمار الذى انتشر بحد السيف أوبغيره عاش خمسة عشر قرنا من الزمان كالإسلام .

ولكنه شرع الله الذى ارتضاه لعباده الصالحين ؛ لذلك عاش الإسلام وسيعيش إلى ما شاء الله .

وردا على قولهم أن الرسول ﷺ كان مزواجا فهذا قول غير حق . إذ إنه ﷺ لم تتعدد زوجاته إلا بعد الخمسين ، أى فى سن الشيخوخة وبعد زوال ثورة الشباب وقوة الشهوة .

ولو كان كذلك لما تزوج من السيدة خديجة وهو فى سن الخامسة والعشرين وهى فى سن الأربعين ، أى أكبر منه بخمسة عشر عامًا .

ولم يكن زواج رسول الله ﷺ رغبة منه فى الزواج ولكن بأمر الله وللمحافظة على شرف ونسب من فقدن أزواجهن من علية القوم أو لغاية دينية ورد عنها ذكر

فى القرآن الكريم .

وكيف يكون ذلك وهو الذى رباه الله على عينه واجتباه لدعوته وقال فيه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤].

ففى السيرة العطرة الرد القاطع على هذه الأقوال للعقول المتفتحة البعيدة عن التعصب الأعمى والإلحاد المارق .

ويطيب لى أن أقدم هذا الكتاب لعل فى ذلك ما ينفع العاملين ويهدى الحائرين وينبه الغافلين ويفيد الباحثين فتزن أصداء البعث الإسلامى ويتجمع الشمل وتتعرف الخطوات درب الهدى ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [الروم : ٤].

المؤلف

الراجى عفو ربه

على زين العابدين محمد عمارة

دعــاء وإهــداء

« اللهـم أفسـح لهـا فـى جنتـك وتغمدهـا برحمتـك تلـك التـى ساعدتنى بقلبها وغمرتنى بحبها وشملتنى بعطفها ، وكـانت لـى العون والسند والإلهـام ، والمـدد، والنـور الـذى أضـاء لـى الطريق،نعم الزوجة والصديق ، ريحانة حياتى وقيثارة أوقاتى» .

اللهم ارحمها بقدر ما قدمت وأجملت آمين .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

إطلالة على العالم قبيل الإسلام

كان مجيء الرسول ﷺ أعظم رحمة للبشرية ، رحمة للإنسان من ظلم نفسه، يوم تعثرت به مسيرة الحياة ، وانحدر به الطريق نحو الهاوية ، وضاعت هويته وأصبح لا يعرف له وجهة في الحياة ولا هدف .غلبت عليه الشهوة فأصبح لها عبدا، همه أن يعيش ليشبع شهوة البطن والفرج دون دين يعصم ولا قيم تزجر .

وإذا نظرنا إلى حياة البشرية قبيل ميلاد محمد ﷺ وقبل بعثته فى شبه الجزيرة العربية وما حولها ، فسنجد أن شبه الجزيرة العربية يحيط بها إمبراطوريتان عظيمتان هما :

إمبراطورية الفرس فى الشرق ومسيطرة على العراق والعرب الذين يعيشون داخل شبه الجزيرة العربية فكانوا لا حول لهم ولا قوة ؛ لذلك جعل إمبراطور الفرس لعامله على اليمن العمل على استمرار ولائهم للإمبراطورية الفارسية .

أما إمبراطورية الروم فكانت تسيطر على شمال شبه الجزيرة العربية فى بلاد الشام وامتدت سيطرتها حتى شملت مصر وشمال إفريقيا .

هجرة العرب إلى الشام والعراق :

استهوت العرب حياة الحضر فنزحوا إلى الشام والعراق ، ولكن حياة البادية جذبتهم ، فأقاموا على حدود الحضر فى كل من الدولتين : الرومانية ، والفارسية.

طاب لهم أن يكونوا على مقربة من الحضر، ينالون رزقهم دون مشقة أو عناء، وظهرت قوة القبائل العربية وأهميتها فى منتصف القرن الثالث الميلادى .

تكوين ممالك عربية :

انتشرت القبائل المهاجرة فى بلاد الشام وعلى سواحل البحر الأبيض وأصبح لها قوتها وسلطانها فى المناطق التى حلوا بها وبذلك كونوا لهم ممالك عربية تعتبر امتدادا لعرب شبه الجزيرة العربية الذين لم يقطعوا الصلة بهم .

وكان الغسانيون أقوى هذه القبائل عنصرا وأكثرهم على الحياة صبرا وجلدا وقوة، فكونوا مملكة بنى غسان على حدود الشام.

لم يغير الحضر شيئا من طباعهم العربية ولا شجاعتهم فى إغاثة المظلوم وعون الملهوف والكرم .

وفى العراق انتشرت القبائل العربية على شواطئ الفرات وأصبحت لها قوة لايستهان بها وعندما شعرت القبائل بذلك أقامت مملكة اللخميون ، مملكة الحيرة.

تمسكت هذه القبيلة بأصالتها العربية وقيمها وذوقياتها وشجاعتها .

كانت كل مملكة من هذه الممالك تتمتع بالحكم الذاتى الذى يساير طبيعتها وحياتها مقابل مشاركة هذه القبائل فى حروب تلك الدول التى تقع تحت إمرتها .

ويمكننا القول أن بلاد العرب امتدت من خليج فارس ، وخليج عدن جنوبا إلى الموصل وأرمينية شمالا .

تبعية القبائل العربية للفرس والروم :

بحكم الواقع المفروض العرب فى بادية الشام وبادية العراق مشاركة هذه القبائل الأمة التى يقيمون على حدودها فى مصيرها، ويشاطرونها آمالها وآلامها.

فانحاز المقيمون على حدود الشام إلى الروم ، وانحاز المقيمون على حدود العراق إلى فارس مع احتفاظهم باستقلالهم الذاتى ، ومعيشتهم البدوية وحياتهم العربية الخالصة .

العرب بين سلطان الفرس والروم :

كانت الأمور السياسية للعرب تتغير تبعا للغالب المنتصر من الإمبراطوريتين

على الأخرى ، إذ كان فى العراق وفى الشام متداولا بين الإمبراطوريتين؛ الفارسية والرومانية ، فكانت فارس تنتزع الشام من الروم وتضمه إلى العراق التابع لها ، فتكون القبائل العربية فى الشام تحت حكم الفرس فيسيرون على نظامهم وسياستهم ، وعندما ينتزع الروم العراق من فارس يضمونه إلى الشام التابع لهم فتكون القبائل العربية تحت حكم الروم فيسيرون على نظامهم وسياستهم ، وكان العرب الذين نزحوا إلى بادية الشام ينضمون فى كثير من الأحيان إلى جيش الفرس أو جيش الروم ، متأثرين بما فى طبيعتهم من ميل إلى الغزو للسلب .

لقد صار العرب إلى حيث يعتديهم الروم وتعتديهم فارس . وتحرص كلتا الدولتين على ولاء العرب لهم ومناصرتهم إياها، مقابل الاستقلال الذاتى وتقديرا لشجاعتهم وإقدامهم فى الحرب .

تأثير الحضارة الرومانية والفارسية فى العرب :

لم تفهم حياة العرب البدوية وحياتهم العربية من تأثرهم بحياة الحضر القريبة منهم . وسياسة الدول التى يخضع لها هذا الحضر . بل لقد تغلغل فيهم هذا الحضر من أنس فى نفسه الكفاية لامتثال حياة الحضر والاضطلاع بأعبائها.

وبلغ من ذلك أن تأثروا فى العراق وفى الشام بحضارة الفرس وحضارة الروم، فمن عرب العراق من أجادوا الفارسية . وفقهوا فى علومهم وجميع تيارات التفكير الفارسى وفى الفقه والأدب والدين ، ولقد تثقفوا وبلغت بهم ثقافتهم علم هذا كله ، وعلم ما اتصل بهم من فكر اليونان وفلسفتهم؛ ولذلك علم أهل الحيرة قريشا الزندقة فى الجاهلية والكتابة فى صدر الإسلام .

وكان ذلك شأن عرب الشام فى اتصالهم بثقافة الروم وأدبهم ودينهم، بل لعلهم كانوا أرقى عقلية من عرب الحيرة ؛ لأنهم كانوا أقرب اتصالا بالثقافة اليونانية فى صدر الإسلام .

ولنا أن نقول : أن هذه القبائل كانت طلائع للفتح الإسلامى لما لمسته فى الإسلام من مبادئ إنسانية بجانب عبادة الله وحده وما لمسته قلوبهم وفهمته عقولهم.

كانت العرب فى الشام والعراق تتكلم لغة أهل الجزيرة العربية ، أى اللغة التى لم تستطع اللغة الفارسية فى العراق أو اليونانية أو اللاتينية فى الشام أن تمحوها . إنها الرباط الوثيق الذى ربط كل القبائل العربية فى العراق والشام وشبه الجزيرة العربية .

لذلك ظلت الصلة بين ملوك الحيرة فى العراق وملوك بنى غسان فى الشام وثيقة ، وظل شعراء شبه الجزيرة العربية يوطدون هذه الصلة بمدحهم لهؤلاء الملوك ، ويأخذون جوائزهم . وها هو النابغة الذبيانى ، والأعشى قيس ، وعلقمة الفحل، وغيرهم من الشعراء الذين قالوا فيهم قصائد مدح . وها هو حسان بن ثابت وماله من صلة بجبلة بين الأيهم قبل الإسلام .

الناس على دين ملوكهم :

برغم أن الناس تسير فوق هوى ملوكهم وتدين بدينهم ، إلا أن القبائل العربية فى بادية الشام والعراق لم تأخذ بمجوسية العراق مع وجودهم تحت إمبراطوريتهم وإعجابهم بحضارتهم .

ولم يأخذ عرب بادية الشام بوثنية الروم أو اليونان ولم يعبدوا آلهتهم، وإذا نظرنا إلى عقلية العربى نجدها تحب البساطة فى كل شىء، كما فى حياتهم الطبيعية، ويكره التعقيد، لذلك لم تبهره زندقة مزدك ومثنوية مانى ، فهى تستهوى من يعجبهم الحوار ويقربهم الجدل . وكذلك الأمر فى فلسفة اليونان ، فلم يدن بالمجوسية من العرب إلا قليل .

وعندما ظهرت المسيحية أخذت بها القبائل العربية . وذلك عندما تنصر ملك بنى غسان ليرضى إمبراطور الروم الذى كان لا يرضى عن أى ولاية لا تعتنق النصرانية ؛ لذلك دخلت معظم القبائل العربية الدين المسيحى مجاراة لملوكها ، كما تنصر كثيرون من قبائل العراق .

وفى الثلث الأول من القرن السادس الميلادى تكون القبائل العربية قد بلغت ذروة المجد ، إذ بلغ اللخميون ذروة المجد فى العراق ، وبلغ الغساسنة ذروة المجد فى الشام من اشتعال نار الحرب بين الفرس والروم .

الدولة الفارسية

بلغت عظمة الدولة الفارسية وقوتها الجبارة أنها اقتسمت مع دولة الروم العظيمة سيادة العالم كله وحكمه ، وبالرغم ما كان لهذه الإمبراطورية من حضارة عظيمة وتقدم باهر وجيوش جرارة ونهضة، وبلغت من الرقى مبلغه ، إلا أن هذه النهضة كانت نهضة مادية تقوم على أساس غير سليم .

حالة المجتمع :

المجتمع طبقى منحل انتشر فيه الترف والفسق والانحلال الأخلاقى ، والتفكك الاجتماعى وسيطر على المجتمع حب الشهوة، فكان زواج الأخ من الأخت والأب من البنت عملا شائعا ومشروعا معمولا به .

بل كانوا يتقربون به إلى الله فى الشريعة الساسانية، كما استباحوا زواج المحرمات جميعا .

فلقد تزوج يزدجرد الثانى فى أواسط القرن الخامس الميلادى ابنته ثم قتلها ، وتزوج بهرام جوبين ملك الفرس الذى حكم فى القرن السادس بأخته ، كما تزوج جشست قبل أن يتنصر بالمحرمات كلها .

ويقول الرحالة الصينى (هوئن سوئنج) : ((إن الإيرانيين يتزوجون من غير استثناء)) .

وقد ظهرت ديانات ونحل تدعو لإشباع الشهوة البهيمية . فكانت مثنوية مانى، وهو مذهب دينى به بعض الأفكار الروحية عن السعادة بعد الموت ظهرفى القرن الثالث الميلادى.

تعاليم زرادشت :

ديانة إيرانية ظهرت حوالى القرن السابع والسادس قبل الميلاد ، وأساسها الصراع بين الخير والشر.

مذهب مزدك :

ظهر فى فارس حوالى سنة ٤٨٧ ميلادية . وهو مذهب يدعو إلى الإشباع الجنسى والانطلاق الحيوانى ، واستباحة المرأة المال ما دام الناس قد خلقوا متساوين، فلا بد أن يشتركوا فى هذين العنصرين اشتراكهم فى الماء والكلأ والنار.

عبادة الذات :

وهى ديانة تدعو إلى تأليه الحكام : فاعتقدوا أن حكامهم يجرى فيهم الدم الإلهى فجعلهم آلهة مقدسين .

عبادة النار :

دعا زرادشت إلى عبادة النار، فالنار رمز الإله .

*****

الدولة الرومانية

لقد تمزق كيان الدولة الرومانية لانقسام العقيدة المسيحية مما أدى إلى مجازر ودماء ؛ لأن كلا الفريقين المتصارعين كان حريصا على إبادة الآخر .

فريق : يؤمن بازدواج طبيعة السيد المسيح .

وفريق : يؤمن بوحدة السيد المسيح .

ويعدون الأمر الأول أمرا إدا ، الأمر الذى جعل هرقل (٦١٠ - ٦٤١) منع الناس عدم الكلام فى طبيعة السيد المسيح مكتفين بأن الله إرادة واحدة . ولم تكن مصر وحدها تعيش هذه المأساة، بل ودول أخرى تعانى من الاضطهاد والضرائب الباهظة .

اليهودية والمسيحية :

انحرفت الديانة اليهودية عن خطها المستقيم ، وجنحت للمادة وأساء أصحابها إليها بعدم التزامهم بمنهج ربهم ، فكانت المسيحية التى لم تستطع أن تغير من انحراف الإنسان ، لعدم تطبيق الأحكام الربانية ، وميل أهلها إلى الروحانية وعدم التقدم الدينى وتخلفه. ويقول الفيلسوف نارمان فى كتابه « بحوث الدين » : (إن المسيحية البدائية لم تجعل قيمة ما لحفظ كيان الدولة ، ولم تحفل بالتشريع والنظم والإنتاج ، بل لم تفكر فى أحوال المجتمع الإنسانى قط) .

كما أخذت كل ديانة تكيد للأخرى بالقول ، يقول الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة : ١١٣] .

وأخذت اليهودية تعين المجوس على النصارى فى حربهم ضد الروم .

ونترك التاريخ يروى لنا إذ يقول :

كانت إمبراطورية الروم مسرح قلق واضطراب ، الأمر الذى شجع الفرس على غزو الشام . وكان فوكاس إمبراطور الروم يومئذ فى شغل بثورة هرقل عليه ؛ لذلك أوغل الفرس فى بلاد الشام ودخلوها بمساعدة اليهود واستولوا على المدن

عنوة وحطموا الكنائس وحرقوها . ولم يستطع هرقل ردهم أو منعهم من تخريب الآثار المسيحية واليهودية بالمدينة المقدسة ، فلما استقر الأمر لكسرى فى الشام ، فتح مصر ، وحل بسلطانه محل الروم فيها . ويسجل القرآن هزيمة الروم بقوله تعالى : ﴿ الَمَ . غُلِبَتِ الرّومُ . فِيَ أَدْنَى الأرْضِ وَهُم مّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلّهِ الأمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللّهِ ﴾ . [الروم:١-٥] .

وعندما هزم هرقل ملك الفرس بقسطنطينية ، واتجه إلى الشام ومصر يجدد ما خربه الفرس ، خرج اليهود من طبرية وغيرها ليقدموا له الهدايا وطلبوا منه أن يؤمنهم وأن يحلف لهم على ذلك ففعل ، ثم دخل القدس .

ولما دخل القدس تلقاه النصارى بالبخور والشموع والأناجيل ، وشاهد بعينه ما حل بالقدس من تخريب وتدمير ، وسأل عن ذلك فأخبره النصارى بتواطؤ اليهود مع الفرس فى ذلك عليهم ، وأنهم كانوا أشد نكاية من الفرس ، وحثوه أن يقتص لهم من اليهود ، فأخبرهم بأنه عاهدهم .. وأمنهم وأقسم لهم ، فأفتاه الرهبان والقساوسة ، بأنهم سيكفرون له عن يمينه، بأن يأمروا أتباعهم بصوم جمعة من كل عام مر الزمان تكفيرا عن هذا اليمين !!.

فمال لقولهم . وحصد اليهود فى مواقع رهيبة ، وأبادهم جميعهم حتى لم يبق منهم فى مصر والشام إلا من اختفى .

العرب فى شبه الجزيرة العربية :

لقد أظلت العالم سحب الضلال وخيم عليه ظلام الجاهلية ، وانتشر الفساد فى كل مكان . وكان العرب فى شبه الجزيرة العربية لهم نصيب من هذا الجهل ، بحكم بعدهم عن دولة الروم فى الشمال ، والفرس فى الشرق من ناحية، ومن ناحية أخرى، بحكم موقعهم فى قلب الصحراء ، وحياة البداوة القاسية . جعلتهم يتمسكون بتقاليدهم السامية من كرم وإيثار وحفاظ على الأعراض وتلبيتهم لنداء الملهوف . وإيقاد النار فى الليل ليهتدى بها الضال . وإكرام الضيف والوفاء بالعهد، إلا أن هذه الفضائل اختلطت بالرذائل ، وانحرفت مسيرتهم نحو سلوك الجاهلية .

الحياة الاجتماعية :

كانت الصحراء بجفافها وقسوتها تعكس طبيعتها على حياة العرب فى معيشتهم وتصرفاتهم . وقد سادت شبه الجزيرة العربية نزوات عصبية وكان لرؤساء القبائل امتيازات على الأفراد ، وأحكام تنفذ ولوكانت مخالفة لرغباتهم .

ولقد كانت إراقة الدماء أمرا هينا ، والحروب تقوم لأتفه الأسباب وتزيد وتستمر، وما حرب داحس والغبراء وحرب البسوس ويوم حليمة إلا صفحات مخضبة بالدماء .

أخلاقهم :

كانت فضائل العرب مختلطة بالرذائل فبجانب إكرام الضيف استلاب عابر سبيل . ومن احتفاء بالقبيلة إلى غارة على ابن العم. ومن حفاظ على العرض إلى امتهان المرأة.

لقد تهالك الكثير على الخمر ولعب الميسر . قال قتاده : كان العربى فى الجاهلية يقامر على أهله وماله فيقعد حزينا سليبا ينظر إلى ماله فى يد غيره فكانت تورث بينهم العداوة والبغضاء .

وكانت ديانتهم عبادة الأصنام إلا قليلا منهم يدينون الحنفية (دين إبراهيم عليه السلام) .

لقد نشر اليهود الربا فى بلاد العرب . كما انتشر الزنا فى بعض الجهات وأخذ الخليلات . وكان الإيماء يكرهن على الزنا . قال ابن عباس : **(كانوا فى الجاهلية يكرهون إماءهم على الزنا ويأخذون الأجور)** .

وتعدد ألوان النكاح ، فهناك النكاح المشروع، وهناك نكاح البغايا، والاستبضاع وغير ذلك .

ويقول قتادة بن ثعلبة السدوسى : (كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلا وأشقاه عيشا وأجوعه بطونا . وأعراه جلودا وأبينه ضلالاً من عاش منهم عاش شقيا، ومن مات منهم تردى فى النار . ويؤكلون ولا يأكلون . والله ما نعلم قبيلا من

حاضر أهل الأرض يومئذ شر منزلا منهم) .

هذه كانت حياة الناس شهوة جامحة نحل وديانات لا تهدى ولا تعصم، ليس للإنسان عزة ولاكرامة ولاحقوق . الحق للقوى والذل والهوان للضعيف .

هنا نظر الإنسان إلى السماء يستنجد ويطلب منها العون . فكانت عين الله التى لا تنام ورحمته التى وسعت كل شىء عونا لهم .فأرسل فيهم نبيًا يعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى الصراط المستقيم .

فكان البعث المحمدى . والهدى المحمدى . ودين الإسلام الذى رد للإنسان إنسانيته وكرامته وصان شرفه وعزته وصان عرضه .

هكذا عاش الإنسان وهذه كانت حياته جهل وشقاء ومذلة وهوان ، لا هوية تميزه ولا دين يهديه تعالت صرخاته بالدعاء والرجاء فكانت الرحمات ، وكان مولده[١] ﷺ مولد خير وبركة .. وبفضل الله وبعونه تم أعظم انقلاب فى حياة وأمة وثنية جاهلة ، ففى بضعة عشر عاما تحولت هذه الأمة من جاهلية جهلاء صماء فى عقليتها ودينها إلى أمة ذات أفق رحب نير . أصبحت تعيش فى جو رفيع تحفه الذوقيات الإسلامية الرفيعة الرقيقة . وانتشر الحب والتراحم بعد البغض والجفوة ، والود بعد العداء ، وأصبح الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى .

* * * * * * *

(١) ولد محمد ﷺ سنة ٥٧١م عام الفيل. العام الذى قام فيه أبرهة الأشرم ملك اليمن من قبل الحبشة بحملة لتخريب الكعبة وكان فيها فيلة يستعملها فى القتال ، لهدم الكعبة لحقده على العرب، وكان يرمى من وراء ذلك إيجاد مركز دينى فى بلده ينافس الكعبة ويجذب العرب إليه ، فبنى كنيسة فى صنعاء بدلا من الكعبة للحج والتعبد ، الأمر الذى أغضب أحد العرب . فذهب إلى اليمن ولطخ الكنيسة بالأقذار . فكان هذا دافعا لقيام أبرهة لهدم الكعبة، وتنفيذ خطته ، فأرسل الله طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول، وهلك أبرهة وجيشه وحمى الله الكعبة وحفظها وصانها .

ولد الهدى

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

لم تترك السماء أهل الأرض يعيشون طويلا فى جهل قاتل وفجور ممقوت ، وفاحشة منكرة ، وظلام دامس ، وهى التى تظلها بالرحمة والعدل .

فكانت رحمة الله وبركاته واسعة على عباده . من بنى الإنسان الذين استخلفهم فى أرضه . فخفف عنهم وبعث فيهم رسولا يعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى الصراط المستقيم .

ولئن كان الهدى ضد الضلال ، والرشد بعد الغى ، والإيمان بعد الكفر ، والتوحيد بعد الشرك والنظام بعد الفوضى ، فمولد رسول الله صلوات ربى وسلامه عليه كان النبع الثرى [1] لهذا الخير والكوكب الدرى لهذا السنى وهذا السناء .

وحسبنا فى ذلك نورا أضفاه عليه مولاه من نوره تعالى واصطفاه وجعله رحمة وهداية للناس أجمعين .

ولقد اصطفى الله محمدا ﷺ واختاره من نسب طيب مبارك، نسب طهور فهو خيار من خيار .

يقول الحبيب محمد ﷺعن نسبه : « **إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفانى من بنى هاشم فأنا خيار من خيار** » .

****

(١) الثرى : الفياض غزير العطاء .

نسبه

روى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : قلت يارسول الله بأبى أنت وأمى أخبرنى عن أول شىء خلقه الله تعالى قبل الأشياء . قال : «**يا جابر : إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولاقلم ولاجنة ولا نار ولاملك ولاسماء ولا أرض ولاشمس ولا قمر ولا جن ولا إنس**» . إلى آخر الحديث.

وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أنهم قالوا : يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ؟ .

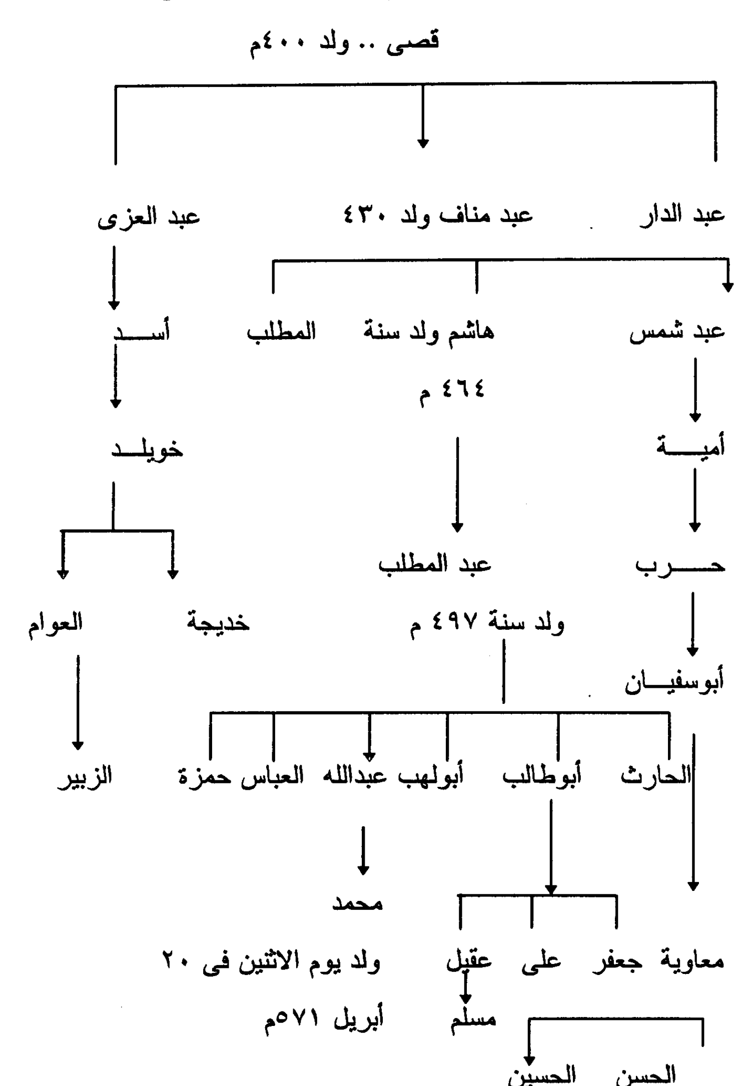
قال : «**وآدم بين الروح والجسد ، ولما خلق الله آدم وأودع فيه هذا النور فكان يلمع جبينه ، وانتقل من آدم إلى (شيث) وكان (شيث) عليه السلام وصى أبيه على إخوته ثم إن (شيثا) أوصى ولده (أنوش) بوصية آدم ألا يضع هذا النور إلا فى الطاهرات من النساء ولم يزل هذا النور ينتقل من جيل إلى جيل حتى وصل هذل النور إلى سيدنا إسماعيل ابن الخليل إبراهيم عليهما السلام** » .

ثم من جيل إلى جيل حتى وصل هذا النور إلى أبيه عبد الله بن عبد المطلب وطهر الله هذا النسب من سفاح الجاهلية .

نسبه لأبيه:

فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب (وهو حكيم) بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن قصى (وهو قريش على الأصح) بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وقد ولد إسماعيل ابن الخليل إبراهيم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام .

شجرة النسب ومعها أهم تواريخ ميلاد أصحابها على وجه التقريب



نسبه لأمه :

أمه : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو سيد بنى زهرة نسبا وشرفا. كما أن آمنة أفضل نساء قريش نسبا وموضعا وتزوجها عبد الله وبنى بها فى شعب أبى طالب.

حمله :

حملت السيدة آمنة بنت وهب برسول الله ﷺ فآتاها آت حين حملت به فى منامها فقال لها : ((أنت حملت بسيد هذه الأمة)) . فقالت آمنة : ((ما شعرت بأنى حملت به ولا وجدت له ثقلا ولاوحما كما تجد النساء إلا أنى أنكرت حيضتى)) .

وآتانى آت وأنا بين النوم واليقظة . فقال لى : قولى إذا وضعتيه أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا .

وفاة والده عبدالله :

ولما تم لها من حملها شهران توفى عبدالله وهو راجع من الشام مع جماعة من قريش سافروا للتجارة فمروا بالمدينة فتخلف عبدالله مريضاً عند أخواله بنى عدى ابن النجار . فأقام عندهم مريضا شهرا ثم توفى رحمه الله .

ولادته ﷺ فى ٢٠ أبريل سنة ٥٧١ م (١) :

وعندما جاءها المخاض لم تشعر السيدة آمنة رضى الله عنها بألم ولا نصب، كما تشعر النساء . ولما وضعته رأته ساجدا رافعا أصبعه إلى السماء كالمتضرع المبتهل إلى الله .

قالت آمنة : لما أخذنى الطلق ولم يعلم بى أحد ، وعبد المطلب فى طوافه سمعت أصواتا عظيمة وأمرا عظيما هالنى ثم رأيت كأن جناح طير أبيض مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل شيء أجده . ثم رأيت نساء طوالا كأنهن من

---

(١) ولد فى يوم الإثنين – الثانى عشر من شهر ربيع الأول الموافق ٢٠ أبريل سنة ٥٧١ م. راجع : كتاب (تاريخ الإسلام السياسى) جـ ١ ص ٧٣ . حسن إبراهيم حسن .

بنات عبد مناف يحدقن بى ، فبينما أتعجب وأقول: من أين علمن بى؟ فقلن لى: نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ، وهؤلاء من الحور العين ، وكشف الله عن بصرى فرأيت مشارق الأرض ومغاربها فأخذنى المخاض فوضعت محمدا ﷺ فنظرت إليه فإذا هو ساجد .

روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ((كان يهودى يسكن مكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله ﷺ حضر مجلس قريش فقال : يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟..فقال القوم : والله ما نعلم . الله أكبر ، أما إذا أخطأكم فلا بأس انظروا واحفظوا ما أقول لكم . ولد فى هذه الليلة نبى بين كتفيه علامة فيها شعيرات متواترات كأنها عرف وثن ، فتصارع القوم عن مجلسهم ، وهم متعجبون من قوله ، فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كل إنسان منهم أهله . فقالوا :ولد لعبد الله ابن المطلب غلام سموه محمدا فانطلق القوم إلى اليهودى فأخبروه فقال : اذهبوا بى حتى أنظر إليه ، فأدخلوه على آمنة . وقالوا: أخرجى إلينا ابنك فأخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى اليهودى الشامة فوقع مغشيا عليه . فلما أفاق : قالوا له: ما بك ؟. قال : ذهبت والله النبوة من بنى إسرائيل . يا معشر قريش والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق إلى المغرب.

وكان فى القوم الذين أخبرهم اليهودى بذلك هشام بن المغيرة ، والوليد بن المغيرة ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وعتبة بن ربيعة . فعصمه الله تعالى منهم .

وكان مولده عليه الصلاة والسلام فى دار ابن عمه عقيل بن أبى طالب .

وكان قابلته الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ، وكانت حاضنته أم أيمن الحبشية جارية أبيه عبد الله ، وكانت أول من أرضعته ثويبة جارية عمه أبى لهب بعد أن رضع من أمه . وقد سماه جده عبد المطلب محمدا ، ولم يكن هذا الاسم شائعا عند العرب ولكن الله ألهمه إياه .

معجزات فى يوم مولده :

فى ليلة مولده ﷺ حدثت معجزات لا حصر لها. وعم النور الكون وأشرقت الأرض بنور ربها . وقد غيضت بحيرة ساوة فى بلاد الفرس ، وخمدت نار فارس التى كانوا يعبدونها، وارتجاج إيوان كسرى ، وسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته[1] ونجم أحمر لايظهر إلا كلما ولد نبىٌّ وتعرف ذلك اليهود فلما ظهر هذا النجم هب اليهودى ليسأل عن مولود ولد الليلة كما فى حديث عروة السابق .

السيدة حليمة السعدية مرضعة الرسول :

بعد أيام من ميلاد محمد ﷺ حضرت المرضعات من البادية . وأبين أن يأخذنه لفقره ، وأخذته السيدة حليمة السعدية وهى متضررة وحتى لا تعود صفر اليدين إلى زوجها « أبو كبشة » فكان قدمه عليهما قدم خير وبركة . وتربى محمد فى بيتها .فحقق الله رجاءهما وبدل عسرهما يسرا ودر ثديها بعد أن كان لا يكفى ولدها ودرت ناقتهما حتى أشبعتهما جميعا وكانت أغنامهما تأتيهما شباعا بعد أن كانت أرضهم مجدبة .. واستمرت فى خير وبركة مدة وجوده .

ولما كمل له سنتان فصلته حليمة ثم أتت به جده وأمه وكلمتهما فى إبقائه عندها فأذنا لها بذلك وبعد عودتها إلى دارها بأشهر بعث الله ملكين فشقا صدره وطهراه وأطبقاه وكان معه أخوه من الرضاع فذهب هذا الولد وأخبر أمه فخرجت مع زوجها فوجداه ﷺ ممتقع اللون فخافت . وخصوصا أن جماعة من نصارى الحبشة كانوا قد طلبوه منها ليذهبوا به إلى ملكهم فعادت به إلى أمه وأخبرتها الخبر وتركته عندها وكان سنه آنذاك أربع سنوات .

وكان لاشتراكه ﷺ فى رعى الأغنام فى البادية أثره الكبير فى نفسه، إذ جعل قلبه مفعما بالرحمة ولين الجانب منذ طفولته . كما علمته الصبر والأناة وكيف يسوس القطعان .

---

(١) سقط بعدها من ملوك فارس عشرة فى حياة النبى وأربعة فى حياة الخلفاء الراشدين .

وفاة السيدة آمنة رضى الله عنها :

وعاد محمد ﷺ إلى بيت أمه ولما بلغ من العمر ست سنوات [١] سافرت به أمه إلى المدينة لزيارة أخواله بنى عدى بن النجار وزيارة قبر زوجها عبد الله وفى عودتها توفيت بجهة «الأبواء» ودفنت هناك. وعادت به حاضنته أم أيمن إلى مكة .

محمد فى كنف جده عبد المطلب ثم عمه أبى طالب :

بعد وفاة السيدة آمنة كفله جده عبد المطلب وأخذه إلى جانبه حتى توفى وسنه ﷺ ثمانى سنوات فكفله عمه أبو طالب ، وهو الأخ الشقيق لأبيه عبد الله ، وقد بارك الله لأبى طالب مدة وجوده ﷺ فى كفالته .

ولما بلغ ﷺ اثنتا عشرة سنة . وقد أراد أبو طالب السفر إلى الشام فى تجارة له رغب عليه الصلاة والسلام فى السفر معه.

فسافر مع الركب ولما وصلوا (بصرى) وهى أول بلاد الشام قابلهم راهب اسمه بحيرا كان يقيم فى صومعة . سألهم عن ظهور نبى فى العرب فى هذا الزمن، ولما لمح محمدا عليه الصلاة والسلام عرفه أنه هو النبى الذى بشر به موسى وعيسى عليهما السلام [٢] . فقال لعمه : إنه سيكون له شأن مع اليهود واحذر عليه من اليهود .

كانت لهذه الكلمات أثرها عند أبى طالب فرجع به إلى مكة على عجل وهو أكثر حرصا عليه .

****

---

(١) المنظومة الشكرية للسيد شكرى باشا ج٤ ص١٤ .

(٢) ورأى فى بدنه علامات النبوة على ما جاء فى كتاب النصارى . تاريخ الإسلام السياسى جـ١ ص٧٢ . حسن إبراهيم حسن .

مقوماته الشخصية

لقد اختار الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ واجتباه ورباه على عينه وأراد أن يكون محمدا يتيما فقيرا ، ليصرف بهما عنه الترف الذى يحطم العزائم ويخذل الرجال . وتدليل الطفولة التى تزعزع الشخصية . وشوائب الثراء الذى يذهب حمية النفس وقوة العزيمة .

وبذلك شب محمد ﷺ يحمل صفات ومقومات الشخصية القوية مضافا إليها ما استشفه من خبرات وممارسة الحياة الخشنة التى واجهها وتجاربه التى مر بها .

دعائم الشخصية

أولا : الإعداد الحسى :

أ - السفر والتجارة :

كان لكثرة أسفاره ﷺ مع عمه أبى طالب للتجارة فى الشام ثم سفره بمفرده للتجارة فى أموال السيدة خديجة رضى الله عنها أثره الكبيرفى معرفة الناس وأخلاقهم وطبائعهم وكيفية التعامل معهم ، كما عرف بالاستنتاج والفطنة وسرعة البديهة فى معرفة أقدار الناس . وكيف يتصرف حيال ما يعترضه من مشاكل فى أسفاره التجارية .

وإن كانت التجارة علمته كيفية التعامل والمعاملة ، فإن حياة الرعى والصبر عليها علمته كيف يسوس القطعان ويجعلها تحت إمرته بلين الجانب وحسن الأداء.

ب ـ الصدق والأمانة :

الصدق والأمانة هما دعامة الشخصية ، بهما يكون الإنسان محبوبا مهيبا ، وهما أبرز ما فى شخصية محمد ﷺ وهذا ما وجدته السيدة خديجة رضى الله عنها عندما طلبت منه أن يتاجر لها فى مالها ، فكان أمينا على مالها صادقا فى معاملتها فربحت تجارتها .

وها هو رسول الله ﷺ يسافر إلى الشام فى تجارة بمال السيدة خديجة ومعه

غلامها ميسرة . وقد شاهد الكثير من الآيات أثناء الرحلة ، فقد رأى الغمامة تظله، وعند نزول رسول الله ليستريح فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب فقال الراهب [١] لميسرة : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبى ، ولما عاد أخبر ميسرة السيدة خديجة بما رأى وسمع فبعثت إلى النبى ﷺ مع خادمتها برغبتها فى الزواج به، وكان سنه قد بلغ الخامسة والعشرين ، وهى أرملة فى الأربعين.

وقد قالت له : «يا بن عم إنى قد رغبت فيك لقرابتك وسلطتك فى قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك » [٢] .

وقد قبل **عليه الصلاة والسلام** بعد موافقة عمه . وقد سبق أن تقدم لها العديد من علية القوم يفوقون الرسول مالا وسلطانا وجاها ، ولكنها رفضت كل هؤلاء وطلبت هى بنفسها الزواج منه .

وقد دفع عنه صداقها عمه أبو طالب[٣] وخطب خطبة شهدها حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ، بين فيها فضل الرسول حيث قال : «الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل ، وجعل لنا بيتا محجوجا وبلدا حراما، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن محمدا بن عبد الله ابن أخى من لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح عليه برا . فإنما المال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك . وما أحببتم من الصداق فعلى » .

وكان المزوج لها عمها عمرو بن أسد ، والمزوج له أبو طالب . وكان الصداق اثنتى عشرة أوقية ونصف أوقية .

جـ- الذكاء :

ويظهر لنا ذكاء الرسول ﷺ عندما حكمته القبائل على نفسها فى أمر الحجر الأسود حينما اشتد الخلاف بينهم فى أمر وضع الحجر .

---

(١) الراهب يقال : اسمه نسطور الرسول وقد قال : بأنه سيكون نبيا .
(٢) ابن إسحاق ص ١٢٠ .
(٣) ابن هشام ج١ ص٣٠٣ –٣٠٦ .

وقد قالوا : نحتكم لأول قادم علينا .. فكان محمد بن عبد الله ﷺ .

فقالوا : هذا هو الصادق الأمين . قد رضينا بـه حكمـا، فكـان حكمـه ، أن يـأخذ بيده الشريفة الحجر ويضعه فى ردائه، ثم يأخذ كل شريف منهم من كل قبيلة بطرف الرداء، ثم يأخذ المصطفى الأمين الحجر ، ويضعه فى مكانه ، وبذلك صرف عنهم خصومتهم .

د- حرب الفجار وحلف الفضول :

اشترك عليه الصلاة والسلام فى حرب الفجار التى امتـدت ثـلاث سنوات، بين قريش ، وقيس واستحلت فيها حرمات الكعبة .

فكان يجمع السهام من مساقط العدو، ويعطيها إلى أعمامه ثـم اشـترك بعـد ذلـك فى إلقائها على الأعداء .

هـ - حلف الفضول :

فيقول فيـه عليـه الصـلاة والسـلام : ((**مـا أحـب لـى بحلـف حضرتـه فـى دار ابـن جدعان من حمر النعم ولو دعيت به لأجبت**)) وهذا الحلـف الـذى تعـاهدت فيـه قريـش بنصره المظلوم حتى يؤدى حقه ، وبذلـك اكتسـب الخـبرة ، والتجربـة، وبـرزت فيـه الرجولـه الحقـة ، والشـجاعة والمشـاركة الوجدانيـة لأهلـه وعشـيرته، وحبـه للتعبـد والتأمل والتطلع إلى الله وحده ، وأخذت حياة الرسول الأمين تتغير شيئا فشيئا وأخـذ يتجه بقلبه وحسه وحبه للذات العلية حتى امتلأ قلبه بنور الإيمان وصنعـه اللـه علـى عينه وأعده لرسالته .

ثانيا : الإعداد الروحى :

الرسول فى غار حراء :

لقد أحب الرسول ﷺ العزلة فذهب إلى غار حراء يتعبد فيـه ، واعتكـف عـن الناس . زاهدا فى الدنيا . شغوفا بحب ربه ، وهو فى الأربعين مـن عمـره فـى سـن الكمال والنضج، إذ زاد شوقا لله ، بينما كان ﷺ فى الغار يوم الإثنيـن لسـبع عشـرة

ليلة خلت من شهر رمضان . نزل عليه جبريل الأمين وقال له : اقرأ قال له : ((**ما أنا بقارئ**)) فضمه جبريل إلى صدره وقال له : اقرأ، قال له : ((**ما أنا بقارئ**)) فضمه جبريل ثالثة فقال له: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ (١).

وجد محمد ﷺ ضالته التى كان ينشدها . ومن فرط ما أصابه من الجهد الذى لقيه مع جبريل ذهب إلى السيدة خديجة بمكة وهو يقول لها : ((**دثرينى دثرينى**)) ولما أخبرها أخذته إلى ورقه بن نوفل ، ولما أخبره ﷺ قال له : ((والذى نفسى بيده، إنك لنبى هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الذى جاء موسى، وأخبره بأن قومه سيعادونه ويخرجونه . ووعده بالنصر إن أدركه ذلك اليوم الذى يخرجه فيه قومه ..)) .

ثم أرقى ورقة رأس النبى ﷺ وقبل يافوخه ، وعاد الرسول الأمين ، يواصل العبادة والتأمل .

توقف الوحى مدة ثلاث سنوات – وقيل: أقل – ليذهب عنه ما وجد من الرعب، وليحصل له الشوق واللهفة والوجد .

فكان يذهب عليه الصلاة والسلام إلى غار حراء، رجاء أن يرى مثل ما رأى. ولما طالت عليه المدة ظهر عليه الحزن الشديد فكان يغدو إلى رؤوس الجبال كى يلقى ما بنفسه من حزن وأسف ، فيسمع جبريل عليه السلام يقول له : يا محمد ، إنك رسول الله حقا .. فيسكن جأشه ، وكان يسمع صوت إسرافيل يلقى عليه ما يأمر به الله من علمه .

ولقد عصمه الله تعالى قبل النبوة وبعدها . وبشرت بنبوته التوراة والإنجيل كما تنبأ الرهبان والكهان بقرب بعثته ، وسمى بعض العرب أبناءهم باسم محمد عسى أن يكون هو النبى المنتظر . وقد قال الله تعالى ، على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام : ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾ (٢) .

---

(١) سورة العلق : ١ – ٥ .
(٢) سورة الصف : ٦ .

الدعوة إلى الإسلام

المرحلة الأولى

الدعوة إلى الإسلام سرا

لقد زاد شوق الرسول ﷺ لحديث جبريل الذى انقطع عنه، فعاود الذهاب إلى غار حراء مدة لعله يحظى بوصل ما انقطع وذات يوم سمع صوتا من السماء فرفع إليه بصره فإذا الملك الذى جاءه أولا بين السماء والأرض ، فرجع إلى داره وهو يقول : ((دثرونى ، دثرونى)) فنزل قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ . وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ. وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ (١).

وهكذا بدأت دعوته ﷺ وبأمر من ربه لما اكتمل التكوين والإعداد لتحمل مسؤولية الدعوة وتبليغ الرسالة . فكان أهلا لتحمل الأمانة وأداء الرسالة .

أخفى الرسول أمره عن أهل مكة . وأخذ يدعو إلى عبادة الله سرا وينشر نور الإسلام فى بيئة انتشر فيها ظلام الجهل والوثنية والشرك بالله .

وقد صدق بدعوته أول من صدق زوجته السيدة خديجة من النساء ، ثم مولاه زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبى ثم أبو بكرالصديق وكان اسمه قبل الإسلام عبد الكعبة، فلما أسلم سماه الرسول عبد الله ، ثم آمن به على بن أبى طالب ابن عم الرسول وكان يعيش معه فى بيته وهو من الصبيان ، ثم عثمان بن عفان الأموى وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام الأسدى ، وسعد بن أبى وقاص الزهريان ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح من بنى الحارث بن فهر أبو سلمة بن عبد الأشد والأرقم بن أبى الأرقم ، الذى جعل من داره محرابا للدعوة إلى الإسلام سرا. ثم دخل الإسلام بعد ذلك الفقراء والبسطاء (٢) كما دخل عبد الله بن مسعود و أبو ذر الغفارى ، وخالد بن أبى سعيد بن العاص وعثمان بن مظعون ، وأخوه قدامة ،

---

(١) سورة المدثر : ١ - ٧ .

(٢) وقيل : إن أول من آمن بالرسول من الموالى بلال بن رباح الحبشى ، وأم بركة الحبشية .

وعبد الله ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وخباب بن الأرت وكان الرسول صلوات ربى وسلامه عليه يدعو الأفراد فردا فردا ، وسميت بدعوة الأفراد وسموا بالسابقين الأولين .

فرض الصلاة :

قال مقاتل بن سليمان : فرض الله فى أول الإسلام الصلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى ، لقوله تعالى : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [غافر:٥٥] .

وقال ابن حجر : كان رسول الله ﷺ قبل الإسراء يصلى قطعا وكذلك أصحابه.

ولكن اختلف هل فرض شىء قبل الصلوات الخمس من الصلوات أم لا ؟ .

فقيل : إن الفرض كانت صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها .

****

المرحلة الثانية

الجهر بالدعوة

أخذ نور الإسلام ينتشر فى كل مكان ، يملأ القلوب المحترقة شوقا لنور الإيمان واستمر الرسول ﷺ يواصل مسيرة الدعوة إلى عبادة الله وحده، ويدعو الناس سرا، ولما بلغ عدد المسلمين نحو أربعين ، نزل قول الله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (١) .

فجهر بالدعوة ممتثلا لأمر ربه متحملا أذى قومه ، وأخذ يسلك كل السبل فى نشر دعوته حتى أنه صعد على الصفا يوما ، وجعل ينادى « **يا بنى فهر ، يا بنى عدى** » لبطون قريش حتى إذا اجتمعوا قال عليه الصلاة والسلام « **أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟** » قالوا : نعم ، ما رأينا عليك من كذبًا . قال : « **فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد** » .

قال أبو لهب : تبا لك ألهذا جمعتنا ؟. فأنزل الله فى شأنه : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ (٢) ثم نزل قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ (٣) أهله الذين يعيشون حوله من أهل قريش وبطونها ..، وهم بنو هاشم، وبنو نوفل، وبنو عبد شمس ، وأولاد عبد الدار ، ويقول الله لنبيه معلما وموجها : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٤) .

ويجمع الرسول عشيرته على طعام ، قال : « **إن الرائد لايكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة والله لتموتن كما**

(١) سورة الحجر ٩٤ ، ٩٥ .
(٢) سورة المسد ١ ، ٢ .
(٣) سورة الشعراء : ٢١٤ .
(٤) سورة الشعراء :٢١٥ ، ٢١٦ .

تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا وإنها الجنة أبدا أو النار أبدا » .

فتكلم القوم كلاما لينا غير عمه أبى لهب فإنه قال : «خذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه العرب » .

ومن هنا بدأت المواجهة الحقيقية والصراع الحاد بين قوى الشرك والضلال ممثلة فى قريش ، والهداية والنور ممثلة فى أتباع الدين الإسلامى محمد وصحبه.

عداوة قريش للرسول والمسلمين :

لقد أقلقت الدعوة الإسلامية مضاجع المشركين فى قريش وأخذت الأرض تتزلزل من تحت أرجلهم وتيجان الشرك تهوى من حولهم فلم تغفل قريش ولن تنم ، فأخذت فى مطاردة الرسول ﷺ خوفا منه على مركزها بين العرب ، وحتى لايجتمع العرب على دعوته فتضعف شوكتهم وهيبتهم ، ولقد زاد من حقدهم عليه وعلى أصحابه عندما سفه عقولهم وقبح آلهتهم فأخذوا يكيدون له ولأتباعه .

روى ابن إسحاق عن ابن عباس : أن المشركين كانوا يضربون المسلم ويجيعونه ويعطشونه حتى كان لا يقدر على الجلوس من شدة الضرب ليرتد عن دينه ويقول : آمنت باللات والعزى ، فكان لا يقولها ألبتة ، وكان بعض المسلمين يقولون كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان فرارا من أذاهم ، وقد فرق الله تعالى بين هؤلاء وبين من ارتد عن الإسلام وانشرح صدره بقوله : ﴿ **إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ** ﴾ (١) .

ويقول ابن الأثير : إن مشركى قريش كانوا يخرجون عمار بن ياسر وأباه وأمه إلى الأبطح ، إذا حميت الرمضاء ويعذبونهم بحرها،فيمر بهم الرسول ﷺ ويقول «**صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة** » .

وكان أبو جهل إذا سمع بإسلام رجل من ذى الشرف أنبه وقال: « تركت دين أبيك وهو خير منك لتسفهن حلمك ، ولتقتلن رأيك ، ولتصفعن شرفك » .

---

(١) سورة النحل : ١٠٦ .

عداوة آل الرسول له وللدعوة :

قد تتحمل النفس ما تلاقيه من عداوة وبغضاء من لا تربطهم بها أى صلة، ولكن من الصعب عليها أن تتحمل أذى الأهل والأقارب ، ولكن الرسول ﷺ تحمل كل ألوان العذاب والتنكيل من غريب وقريب بنفس طيبة من أجل دعوته ورسالته .

كان أبو لهب بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وزوجته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبو سفيان من أشد الكفار عداوة للرسول وقسوة عليه وعلى الذين آمنوا معه ، ولقد أشعلوها حربا عليهم لا هوادة فيها ولا رحمة .

وكانت أم جميل أشد بغضا للرسول وأقوى ظلما وأكثر جرأة فى ارتكاب المفاسد، بل إنها هى التى كانت تحرض أبا لهب ضد المصطفى وتدفعه للتعرض له ومناهضة دعوته بل تدفعه لتعذيبه وأصحابه والتنكيل بهم ، وكانت لعنها الله تتفنن فى ابتكار ألوان العذاب للمسلمين وتخترع الوسائل لذلك .

أمرت خادمها يوما أن يذبح شاة ويسلخها ، ثم يخرج ما فى بطنها من قاذورات، فلما فعل الخادم جاءها يسأل ما يفعل بعد ذلك ؟أمرته أن يضع القاذورات أمام باب محمد ﷺ ويلوث بابه وألا يقرب من بابها القريب من باب المصطفى ﷺ لئلا يلوثه .

ونفذ الخادم ما أمرته به . وصار أمام بيت النبى بحيرة قذرة عفنة الرائحة . وجلست أم جميل وراء الخصاص [1] تشاهد ما يحدث لمحمد ﷺ وصحبه ، وهى فى غاية السعادة لانزلاق البعض منهم وسط القاذورات الكرش .

ولما عاد أبو لهب من الخارج أخبرته زوجته أم جميل بفعلها هذا ، وجعلته مادة للحديث والتندر ، ووعدته بانتصاره على محمد وصاحبه وآل بيته وسألها زوجها الخبيث : ماذا فعل محمد أمام هذا الفعل المشين ؟

قالت وهى ساخرة تضحك : طرحه بعيدا وقال : « يا بنى عبد مناف أى جوار هذا ؟!! » ولم يزد شيئا ، وقال الكافر اللعين المغرور : « لو كان باستطاعته لتصرف تصرفا آخر ، ولكنه يخشى بأسى وبطشى وسطوتى » ، فقالت له بخبث

---

(١) حائط مصنوع من الغاب به فتحات ، يمكن النظر خلالها .

ومكر : « يخيل لى أنه لا يخشاك يا أبا لهب »« ولكنه يتحمل ويتلطف معنا لكى لانؤذى ابنتيه اللتين تحت ولدينا عتبة وعتيبة . فقال الرجل بغرور ما بعده غرور : لا .. لا .. إنه يخشانى أنا ويرهب سطوتى أنا ، ويخاف من مكانتى العظيمة والخطيرة فى قريش كلها » .

وكانت كريمتا رسول الله ﷺ رقيه ، وأم كلثوم قد تزوجتا من ولدى أبى لهب قبل أن يبعث النبى رسولاً بالإسلام .

لقد توقعت السيدة خديجة رضى الله عنها فشل هذين الزوجين لما كانت تعرفه من أخلاق أم جميل وشراستها ، وحاولت جاهدة منع هذا الزواج ولكن الرسول ﷺ رأى ألا يرد أبا لهب خائب الرجاء .

ولما بعث النبى بالإسلام عانت السيدتان الكريمتان الأمرين على يد أم جميل، التى حولت حياتهما إلى جحيم مستمر ولكنهما صبرتا واحتملتا على مضض إكراما لأبيهما ، ولم يعجب هذا أم جميل فجمعت ولديها وقالت لهما : « لقد صممت على أمر يخصكما ، وما أظنكما ستخرجان على أو تفكران فى مخالفة ما استقر عليه رأيى ؟ » .

ولما استوضحاها الأمر قالت : « لابد أن تطلقا رقية وأم كلثوم وترداهما إلى أبيهما » .

فقال عتبة : « **ولكننى أحب زوجتى يا أماه ، ولا أظننى سأجد زوجة تدانيها إخلاصا وحبا وتفانيا فى خدمتى** » .

فقالت المرأة الشريرة بقسوة وحزم : « **ولو لابد من طلاقهما** » .

فقال عتبة : « **أهكذا دون ذنب أو جريرة نطلقهما ؟** » .

فأجابت : أجل ولقد اتفقت مع أبيكما على أن تعيداهما إلى أبيهما انتقاما منه.

فأطرق عتبة إلى الأرض وقال : « **أماه من لى بزوجة كزوجتى** » ؟ .

فقالت المرأة القاسية : ردها إلى أبيها لينشغل بها وأختها عن تلك الدعوة التى يريد أن يقضى بها على آلهتنا وأنا على استعداد لتزويجكما بأجمل بنات قريش وأعظمهن مالا وأحسنهن نسبا .

ولم يستطع الولدان إلا أن ينفذا رغبة أمهما فطلقا الزوجتين الكريمتين الفاضلتين ورداهما إلى أبيهما .

أبو لهب يتبع النبى ويعمل على تكذيبه :

وقد ظنت المرأة الخبيثة الشريرة أم جميل أنها قد ألقت إلى محمد ﷺ بما لا قبل له به، ولا قدرة على احتماله ، ولكن خاب ظنها، إذ أدركت رحمة الله محمد ﷺ وابنتيه وهيأت للفتاتين حياة أفضل من حياتهما فى بيت الشر الذى كانت تسيطر عليه أم جميل، ودخل أبو لهب على زوجته يوما وقد استخفه الفرح. وقال: أبشرى يا أم جميل ، فقد أفسدت على محمد جميع خططه ونفذت ما رسمته لى بالحرف الواحد .

وسألته أم جميل أن يفصل قوله فقال : « تتبعته فى كل مكان ذهب إليه يدعو الناس إلى الإسلام ، وكنت عندما يدخل منزلا أنتظره فى الخارج حتى يفرغ من دعوته فأدخل أنا وأتقدم من أهل البيت وأوضح لهم إنما يدعوهم إلى الانسلاخ عن اللات والعزى وأحذرهم من طاعته أو الانخداع بقوله :

فقاطعته المرأة باهتمام : « وهل كانوا يستجيبون له ؟ » .

فأجابها : « كان بعضهم يستجيب له ويدعوه إلى الجلوس والاستماع إليه والتوسع والشرح ، وكان بعضهم الآخر ينصرف دون تعليق » .

فاستحسنت المرأة فعل الفريق الآخر ثم قالت : « عظيم ، استمر على متابعتك له ولا تتهاون فى إفساد خططه وإساءة سمعته أمام الجميع وتكذيبه».

فقال متحمسا : « هل أنا فى حاجة إلى مثل هذا القول منك يا أم جميل ؟ [١] ، إننى على استعداد للموت فى سبيل القضاء على محمد ودعوته [٢] أخلف الله **ظنه** » .

---

(١) لما سمعت أم جميل ما أنزل الله فيها من قرآن هى وزوجها أتت رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفى يدها بعضا من الحجارة فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر فقالت : يا أبا بكر أين صاحبك؟ قد بلغنى أنه يهجرنى ، والله لو وجدته لضربت بهذا (الفهر أى ما فى يدى من حجارة فاة)، أفاد الله إنى لشاعرة، ثم قالت: مذمما عصينا. وأمره أبينا. ودينه قلينا. سيرة ابن هشام جـ١/ ٣٣٥،٣٣٦.

(٢) كان أبو جهل يخبئ أحيانا إلى رسول الله ﷺ يسمع منه القرآن ثم يذهب عنه فلا يؤمن ولا يتأدب ولا يخشى ، ويؤذى رسول الله ﷺ . روى أنه ﷺ أخذ بخناقه وهزه وهو يقول له : **﴿أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى﴾** فقال عدو الله: أتوعدنى يا محمد ؛ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئا ، وإنى لا عز من مشى بين جبليها فى ظلال القرآن ٢٩ / ٣١٢ .

رجال نصروا الإسلام بإسلامهم :

لم يترك أهل الشرك في قريش وسيلة من وسائل التعذيب إلا مارسوها مع محمد وأصحابه ؛ وها هو أبو جهل ينزل العذاب بياسر حتى مات فأغلظت امرأته سمية القول له ، فطعنها بحربة فماتت هى الأخرى ، وكانت أول شهيدة فى الإسلام.

وكثيرا ما كانت تدور بين المشركين والمسلمين مجادلات ومعارك . وقد عملوا على السخرية والاستهزاء بالرسول فى مجالسهم ، فكان إذا مر عليهم الرسول ﷺ يقولون : هذا ابن أبى كبشة يكلم من السماء ، هذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء. لا يزيدون على ذلك . فلما عاب آلهتهم وسفهة عقولهم وقال لهم النبى ﷺ: والله يا قوم لقد خالفتم دين أبيكم إبراهيم. فثارت فى رؤوسهم حمية الجاهلية وذهبوا إلى عمه أبى طالب وطلبوا منه أن يخلى بينهم وبينه ، أو يكفه عما يقول فردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه . ورسول الله يجاهر بدعوته لا يصده عن مراده شيء ؛ فصافحت دعوته قلوبا طاهرة فيها بذور الإيمان بالفطرة، فرواها الإسلام بنوره ، فدخلوا فى دين الله أفواجا .

إسلام حمزة عم الرسول :

حدث أن دارت معركة عنيفة بين الصحابة والمشركين فى شعب من شعاب مكة ، وقد وصلت أن تعدى أبو جهل على رسول الله ﷺ ، وبلغ ذلك حمزة عم محمد ﷺ عند عودته من صيد فذهب إلى أبى جهل ، ووجده جالسا فى وسط القوم فضربه بقسوة فشج رأسه . وقال : ((**أتؤذى محمدا وأنا على دينه**)) ؟

فقال القوم : ما نراك إلا قد صبأت .

فقال لهم :((**وما يمنعنى وقد استبان لى منه وأنا أشهد أنه رسول الله، وأن الذى يقوله هو الحق والله لا أتركه أبدا**)). فذهب إلى الرسول وقال : أشهد أنك الصادق فاظهر يا ابن أخي بدينك. واستمر معه فى العبادة فى دار الأرقم بن أبى الأرقم .

إسلام عمر بن الخطاب :

أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد حمزة بثلاثة أيام حين عابه قومه بإسلام أخته فاطمة بنت الخطاب ، فذهب إلى دارها ولطمها على خدها فسال الدم منها فقالت له : ((**أتضربنى يا عدو الله على أن أوحد الله ؟ لقد أسلمت رغم أنفك يا ابن الخطاب فما كنت فاعلا فافعل**)) .

أخذته الشفقة وجلس معها وجال ببصرة فوجد صحيفة فأخذها بعد أن تطهر فقرأ ﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [1] ثم أسلم وتوجه إلى رسول الله فى دار الأرقم بن أبى الأرقم وقرع الباب ، فقيل من ؟ قال : ابن الخطاب ، وكان معروفا بشدته على رسول الله ﷺ وعلى من اتبعه فامتنعوا عن فتح الباب .

فقال عليه الصلاة والسلام : ((**افتحوا له فإن يرد الله به خيرا يهده**)) وقال حمزة رضى الله عنه : افتحوا له فدخل وحمزة بيمينه والزبير بيساره حتى دنا من رسول الله عليه الصلاة والسلام وجلس بين يديه فجذبه الرسول وهزه هزة ارتعد منها عمر، فما تمالك أن انكب على ركبتيه فقال له عليه الصلاة والسلام : ((**أما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة**)) فقال عمر : جئت لأومن بالله وبما جاء من عند الله . وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فكبر النبى ﷺ وكبر المسلمون بتكبيرة ثم قال عمر : يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا قال : ((**بلى والذى نفسى بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم**)) فقال عمر : يا رسول الله تخفى ديننا ونحن على الحق [2] وهم على الباطل ، فقال : ((**يا عمر : إننا قليل وقد رأيت ما لقينا**)) فقال عمر : والذى بعثك بالحق نبيا لايبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالإيمان وأحببت أن أظهر إسلامى ويصيبنى فيه ما أصاب من قبلى من الضرر والإهانة ، وما زال عمر يراجع النبى ﷺ فى الخروج من دار الأرقم إلى المسجد حتى وافقه على ذلك فخرج رسول الله ﷺ ومعه المسلمون فى صفين فى أحدهما

---

(١) سورة الصف : ١ .

(٢) كان هذا الحديث قبل الجهر بالدعوة .

عمر ، وفى الآخر حمزة رضى الله عنهما، فدخلوا المسجد فرأتهم قريش فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها من قبل.

حماية أبى طالب للرسول :

أضمرت قريش العداوة للرسول – **عليه الصلاة والسلام** – وحث بعضهم بعضا على ذلك ثم مشوا إلى أبى طالب مرة ثانية بعد أن سفه الرسول آلهتهم وآباءهم وطعنهم فى معتقداتهم يطلبون منه أن يضع حدا لمحمد ويعرضون عليه العروض [1] . ثم يهددونه إن لم ينته سيكون لهم فيه ما يريدون ، ثم تركوه وهم يقولون له : والله لانصبر على شتم آبائنا وتسفيه عقولنا وعيب آلهتنا أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين .

فعظم على أبى طالب فراقه ولم يطب نفسا بخذلان ابن أخيه . فقال له : ياابن أخى إن القوم جاءونى فقالوا لى كذا وكذا فأبق على نفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق . فظن الرسول أن عمه خاذله فقال : والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك

---

(١) أرسلت قريش الرسل إلى رسول الله تعرض عليه إن كان يريد المال والجاه أعطوه ، وإن كان يريد الملك ملكوه عليهم ، وإن كان يريد الحكم جعلوه حاكما لهم ، وإن كان به جنة أحضروا له طبيبا فرفض . ثم أرسلوا له الوليد بن المغيرة عم أبى جهل وكان من فصحاء العرب وعظماء قريش والمفاوض لهم واجتمع بالرسول وسمع منه قرآن ، فرجع الوليد إلى قومه بنى مخزوم . فقال : والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفلة لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه .

فقالت قريش : صبأ والله الوليد بن المغيرة لتصبأن قريش كلها ، أى تكفر ، فقال أبو جهل : أنا أكفيكموه فتوجه إليه وقعد حزينا وكلمه بما أحماه وأهاجه فقام معه حتى أتى قومه فقال: تزعمون أن محمدا مجنون ! فهل رأيتموه يهلوس ؟ وتقولون أنه كاهن فهل جربتم عليه كذبا . فقالوا : فى كل هذا اللهم لا . ثم سألوه ففكر قليلا ثم قال : ما هو إلا ساحر: أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ، قال هذا ليرضى القوم فارجع النادى فأنزل الله فى الوليد : ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً .وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً. وَبَنِينَ شُهُوداً . وَمَهَّدتّ لَهُ تَمْهِيداً . ثُمّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلاّ إِنّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً . سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً. إِنّهُ فَكّرَ وَقَدّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدّرَ . ثُمّ قُتِلَ كَيْفَ قَدّرَ . ثُمّ نَظَرَ . ثُمّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلاّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَـٰذَآ إِلاّ قَوْلُ الْبَشَرِ. سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [سورة المدثر الآية ١١ – ٢٦].

دونه ثم بكى وولى ، فقال أبو طالب : أقبل يا بن أخى فأقبل عليه . فقال : اذهب فقل ما أحببت فإنى لا أسلمك لأحد أبدا .

وقد كثر بعد ذلك إيذاء قريش للنبى عليه الصلاة والسلام وخصوصا إذا ذهب للصلاة عند الكعبة . وكان أعظمهم أذى للرسول جماعة سموا أذاهم بالمستهزئين ، وقد انتقم الله منهم كما قال : ﴿ **إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَـهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ** ﴾ [سورة الحجر : ٩٥ ، ٩٦] . فمنهم من قتل كأبى جهل والنضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط ، ومنهم من ابتلاه الله بأمراض شديدة فهلك منها كأبى لهب والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة .

****

هجرات قبل الهجرة

الهجرة الأولى إلى الحبشة (فى شهر رجب فى العام الخامس من النبوة) :

لما وجد رسول الله ﷺ عداء قريش له ولأصحابه [١] ، أذن لهم فى الهجرة إلى بلاد الحبشة ، وقال لهم : ((**تفرقوا فإن الله سيجمعكم**)) وفى رواية أخرى أنه قال : ((**لو خرجتم إلى بلاد الحبشة فإن بها ملكاً لايظلم أحدا وهى أرض صدق**)) وكان ملكها فى ذلك الوقت أصحمة النجاشى .

فخرج فريق من الصحابة سرا فساروا حتى وصلوا البحر وانتظروا حتى أبحرت بهم سفينة تجارية ولحقتها أخرى فحملتهم بنصف دينار للفرد ، وكان فيهم عثمان بن عفان الذى ترك ماله فرارا بدينه ومعه زوجته رقية بنت الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما هاجر الزبير، وابن عوف ، وأبو سلمة وأم سلمة ، وجعفر ابن أبى طالب ، وعثمان بن مظعون ، الذى اختاره الصحابة أميرا عليهم، ولما علمت قريش أمر هذه الهجرة أرسلت إلى النجاشى وفدا منها لمناهضتهم وعودتهم إلى قريش فاستمع النجاشى إلى وفد قريش كما استمع إلى وفد المهاجرين . وقد قرأ عليهم جعفر بن أبى طالب جزءا من سورة مريم فقال النجاشى : ((هذه كلمات تصدر من النبع الذى صدرت منه كلمات السيد المسيح وإن هذا وما جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة)) وأحسن إلى المسلمين وأكرمهم .

ميثاق ظلم وحصار غبن فى أواخر مايو وأوائل يونية ٦١٩م فى شهر شوال سنة عشر من النبوة [٢] :

لقد رأت قريش مكائدها التى دبرتها للرسول قد أخفقت وأجمعوا أمرهم على مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب وعاهدوا أنفسهم ألا يتجروا معهم حتى يسلموا لهم الرسول ليقتلوه وكتبوا بذلك صحيفة علقوها فى جوف الكعبة وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا ، وظل بنى هاشم مهجورين فى شعب من شعاب مكة ، إلا فى

---

(١) كانت الاضطهادات فى أواسط وأواخر السنة الرابعة من النبوة واشتدت وتضاعفت فى أواسط الخامسة .
(٢) صرح بذلك النجيب آبادى فى تاريخ إسلام ١ / ١٢٢ .

الأشهر الحرم ، حيث حرم القتال ، وقد رثى بعض القرشيين لحال بنى هاشم وبنى عبد المطلب وتعاهدوا على نقض الصحيفة وكان منهم زهير بن أمية بن عاتكة عمة الرسول ، فقد حرض قومه على الخروج على الصحيفة الظالمة وقال لهم : يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنى هاشم والمطلب هلكى لايبيعون ولا يبتاعون ؟ والله لا أقعد حتى تنشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة ، فقاطعه أبو جهل ، فقام مطعم بن عدى إلى الصحيفة فوجد الأرضة قد أكلت معظمها إلا لفظ الله تعالى فشقها . وبذلك نقض العهد وعاد بنو هاشم وبنوعبد المطلب إلى حياتهم ولم تنته الأمور عند هذا الحد وما وافت السنة العاشرة من نزول الوحى حتى أصيب الرسول بموت أعز معين له .

موت أبى طالب عم الرسول فى شهر رجب سنة عشر من النبوة :

وكان لموت عم الرسول ﷺ وحاميه أبى طالب الذى مات على الكفر برغم تصديقه رسول الله ونصرته إياه وصد الأعداء عنه أثره الكبيرعلى الرسول .

كما زاد من حزنه موت السيدة خديجة [١] عن خمسة وستين عاما بعد أبى طالب وكان موتها قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات وتتابعت عليه المصائب والنكبات ونالت منه قريش خصوصا بعد فقد نصيرين كبيرين . فنال منه أبو لهب بن عبد المطلب ، والحكم بن العاص ، وعقبة بن معيط بن عمرو بن أمية فكانوا يؤذونه.

هجرة الرسول إلى الطائف [٢] فى شوال سنة عشر من النبوة أوائل يونية سنة ٦١٩م :

ولما زاد العداء والظلم للرسول ﷺ لجأ إلى ثقيف بالطائف وأقام بها عشرة أيام يدعوهم لعبادة الله وحده .

ولكن ثقيفا لم تجبه ولم تنصره فكانت فى لقائه أشد غلظة من قريش وأكثر

---

(١) كانت متزوجة من رجل يسمى هندا وولدت منه ولدا اسمه هالة ورزق منها الرسول بعد زواجه منها بالقاسم وزينب وأم كلثوم وفاطمة وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر ولم يتزوج عليها الرسول .

(٢) تبعد عن مكة نحو ستين ميلا سارها ماشيا على قدميه جيئة وذهابا .

جفوة فسلطوا عليه سفهاءهم يرمونه بالحجارة حتى شجوا رأسه وأدموا قدميه الشريفتين، ويرجع الرسول مثقل بجراحه دون سند أو مجير ، فاتكأ على حائط بنى ربيعة وأخذ يدعو الله فى تضرع ورجاء ذلك الدعاء الحار النابع من قلب يشع فيه نور الإيمان وهو يقول : ((**اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولاحول ولاقوة إلا بك**)).

كان زيد بن حارثة رفيقه في رحلته هذه فسأله كيف ندخل مكة وقد أخرجوك منها ؟ .

فيقول الرسول قول الواثق من نصر ربه : ((**يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وأن الله ناصر دينه ومظهر نبيه**)) .

فلما انتهى إلى حراء [(١)] بعث رجلا من خزاعة إلى مطعم بن عدى ليجيره فأجاره وتسلح المطعم وبنيه ، ودخل الرسول مكة ثم طاف بالبيت عليه الصلاة والسلام ... وعاد إلى داره فى حمايته .

الإسراء والمعراج : (٦٢١م) :

أراد الله أن يخفف عن رسوله بعدما لقيه من أهل الطائف ليثبت فؤاده ويسرى عن نفسه ويذهب عنه الحزن بعد صبر وتحمل ما لا تطيقه الجبال .

---

(١) لجأ إلى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة على ثلاثة أميال من الطائف . فلما رآه ربيعة أرسل له قطفا من العنب مع غلام نصرانيى أخذه الرسول ﷺ ومد يده إليه قائلاً بسم الله الرحمن الرحيم . ثم أكل . قال الغلام واسمه عداس : إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له رسول الله ﷺ : من أى البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ قال : أنا نصرانى من أهل (نينوى) . فقال رسول الله ﷺ : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى قال له : وما يونس بن متى ؟ قال : ذاك كان نبيا وأنا نبى ، فأكب عداس على رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه يقبلها .

فأسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عرج به إلى السماء حتى سدرة المنتهى ، ويقول الله تعالى فى هذه الرحلة العظيمة : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [١].

وكانت تلك الرحلة المباركة ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى (بيت المقدس) [٢] وصلى فيه بالأنبياء إماما ثم عرج به إلى السماوات العلا ثم إلى سدرة المنتهى .

فرض الصلاة :

فى ليلة الإسراء والمعراج فرض الله على الرسول وعلى أمته الصلاة فى كل يوم وليلة خمسين صلاة . فلم يزل يسأل ربه التخفيف حتى جعلها خمسا فى العمل ، وخمسين فى الأجر.

عدم تصديق قريش رحلة الإسراء والمعراج :

لما أصبح أخبر قومه بما رأى فكذبوه وارتد بعض ضعاف القلوب فامتحنوه بنعت بيت المقدس فنعته بابا بابا . ثم سألوه عن عير لهم فى الطريق فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وساعة قدومها فكان كما قال ، ولم يزدهم هذا إلا كفرا وعنادا ، فجعل يعرض نفسه على القبائل وخصوصا فى موسم الحج يطلب النصرة والحماية حتى لقيه جماعة من يثرب فدعاهم إلى الله فواعدوه فى الموسم القادم .

الهجرة الثانية إلى الحبشة :

لقد أكرم النجاشى المسلمين المهاجرين إكراما عظيما ومكثوا فى بلاد الحبشة

---

(١) سورة الإسراء : ١.

(٢) اختلف فى تحديد زمن حادث الإسراء والمعراج ولم تحدد السنة التى وقع فيها هذا الحدث العظيم ، إذ الأقاويل تقول: وقع ما بين السنة التى أكرمه الله فيها بالنبوة وقيل: بعد المبعث بخمس سنين وقيل : فى السابع والعشرين من شهر رجب سنة عشر من النبوة وقيل : قبل الهجرة بستة عشر شهرا فى رمضان سنة ١٢ من النبوة وقيل: قبل الهجرة بسنة أى: فى ربيع الأول سنة ١٣ من النبوة .

ثلاثة أشهر ، هى : رجب وشعبان ورمضان ، وعادوا إلى مكة فى شوال واستقبلهم المشركون بالعداء فصمموا على العودة ثانيا إلى بلاد الحبشة فأذن لهم النبى فخرجوا وقد بلغوا فى هذه المرة ٨٣ من الرجال و١٨ من النساء واستمروا حتى عادوا بعد الهجرة إلى المدينة .

رغبة أبى بكر فى الهجرة :

أراد أبو بكر رضى الله عنه أن يهاجر إلى الحبشة فارا بدينه من قريش ومن إيذاء المشركين فيها واضطهادهم له ، فاستأذن النبى فأذن له ولما همَّ بالخروج مهاجرا قابله ابن الدغنة فى الطريق وهو شيخ قبيلة القارة ، ومن عظماء العرب فأمره بالرجوع على أن يحميه من قريش فعاد معه وأعلن ابن الدغنة ذلك فى قريش فقالوا : على شرط أن يعبد الله فى داره ، وكان عندما يقرأ القرآن يبكى لرقة قلبه ، فكانت نساء قريش وشبابهم يجتمعون عليه وهو يقرأ القرآن ويسمعون منه كلام الله فخاف المشركون العاقبة وذهبوا إلى ابن الدغنة قائلين إما أن يلزم شرطنا أو تتخلى عن حمايته ، فذهب ابن الدغنة إلى أبى بكر وأخبره الخبر ، فقال أبو بكر : رددت حمايتك ورضيت حماية الله . وبقى أبو بكر يتحمل صنوف العذاب حتى همَّ بالهجرة مرة أخرى فاستمهله النبى– **عليه الصلاة والسلام** – حتى أذن له فى الهجرة فقال : الصحبة يا رسول الله ؟ قال عليه الصلاة والسلام : نعم .

****

بيعة العقبة الأولى

(السنة الثانية عشرة من النبوة يوليو سنة ٦٢١م)

أخذ محمد **عليه الصلاة والسلام** يعرض دعوته على القبائل فى موسم الحج سنة ١١ من النبوة يشرح لهم تعاليم الدين الجديد ، فمنهم من أعرض عنه ومنهم من أنكره.

وتصادف أن قابل اثنان من بنى النجار (أخواله) من أهل يثرب (المدينة) وعرض عليهما نفسه ودينه فوجد فى قولهما نور الهداية ، وفى الموسم التالى أقبل من المدينة اثنى عشر رجلا متشوقين للقاء الرسول عليه الصلاة والسلام وبايعوه على عبادة الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وأرسل معهم سفير الإسلام مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم يعلمانهم الدين الحنيف .

بيعة العقبة الثانية

(السنة الثالثة عشرة من النبوة يونيو سنة ٦٢٢م)

فى العام التالى من موسم الحج أقبل عدد من أهل المدينة على محمد يبايعونه وعددهم خمسة وسبعون مسلما منهم ثلاثة وسبعون رجل [١] وامرأتان (نسيبة بنت كعب أم عمارة ، وأسماء بنت أم منيع من بنى سلمة) وتمت البيعة تحت جنح الظلام عندما تقابل بهم رسول الله – **عليه الصلاة والسلام** – ومعه عمه العباس بن عبد المطلب (الذى لم يسلم بعد) ليوثق عهدهم لابن أخيه .

فبايعوه على أن يعبدوا الله وحده لا يشركوا به شيئا وعلى أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، ثم رجع هؤلاء الأنصار إلى يثرب (المدينة) ينشرون الإسلام ، وقد يتطلب رسول الله ﷺ انتخاب اثنى عشر زعيما يكونون نقباء على قومهم يكلفون المسئولية عنهم فى تنفيذ بنود هذه البيئة . فأخرجوا اثنى عشر نقيبا وهم .

نقباء الخزرج :

أسعد بن زرارة بن عدس ، سعد بن الربيع بن عمرو ، عبد الله بن رواحة بن ثعلبة رافع بن مالك بن العجلان ، البراء بن معمر بن صخر ، عبد الله بن عمرو ابن حرام، عبادة بن الصامت بن قيس، سعد بن عبادة بن ديلم ، المنذر بن عمرو ابن خنيس.

---

(١) منهم أبو أيوب الأنصارى، وعبد الله بن عمرو بن حرام، ومعاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن جبل.

نقباء الأوس :

أسيد بن حضير بن سماك، سعد بن خيثمة بن الحارث، رفاعة بن عبد المنذر ابن زبير.

هجرة الصحابة إلى المدينة المنورة :

بدأت طلائع الإسلام تزحف على المدينة المنورة بعد أن علمت قريش ببيعة العقبة الثانية ، واشتعلت نار الحقد فى قلوبهم وأخذوا يكيدون للمسلمين ويقتلونهم، ولقى الكثير منهم أشد ألوان العذاب فألقى بلال على بطحاء مكة المشمسة المحرقة ووضع الحجر فوق صدره .

وعذبت جارية عمر وجوار أخر ، ولقد زاد عدد المسلمين بالمدينة وزاد تعذيب قريش لأصحاب الرسول ﷺ حتى ضاقت بهم الأرض بما رحبت ، وأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام أصحابه بالهجرة سرا إلى المدينة (يثرب) ففعلوا إلا عمر ابن الخطاب الذى هاجر نهارا جهارا متحديا قريش ولم يقدر أحد منها على منعه أو التعرض له .ولم يبق فى مكة من أعيان الصحابة إلا أبو بكر وعلى بن أبى طالب .

لقد أفزع المشركون ما رأوه من كثرة الهجرات ، وعرفوا أن المسلمين هاجروا إلى قوم ذى بأس ونجدة فرأوا أن الرسول لو لحق بهم لعظم أمره وانتشرت دعوته وجيش الجيوش وحاربهم وقطع عليهم طريق تجارتهم إلى الشام؛ لذلك عقدوا اجتماعا فى دار الندوة [١] للتشاور فى أمره وأجمعوا أمرهم على اختيار فتى من كل قبيلة ويضربونه ضربة رجل واحد فيضيع دمه بين القبائل .

بقى الرسول ﷺ فى قريش حتى هاجر جميع أصحابه إلى المدينة المنورة مقرهم الجديد . وكان لبقائه هذا أمر يدل على القيادة الحازمة وحسن التصريف وبعد النظر ، وإيمانه العميق بالله وعقيدة الواثق من أمر ربه.

---

(١) أنشأ قصى دارا يؤدى بابها إلى الكعبة وسماها (دار الندوة)اجتماع زعماء قريش للاتفاق على الخطط التى تهم قريش والمشروعات الواجب القيام بها وفض المنازعات ورد المظالم لأهلها ولم يسمح قصى بدخول هذه الدار إلا لزعماء قريش، ولمن بلغ سن الأربعين واشتهر بالحكم وقول الصواب وتلى قصى رياسة هذه الندوة ومن حكم بعده أو رأس قبيلة قريش وفروعها .

الهجرة الكبرى

الأمر بالهجرة

تآمر قريش :

لقد علم رسول الله ﷺ بما نوت عليه قريش فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[١] إذ اجتمع نفر من قريش فى دار الندوة [٢] بعد بدقة العقبة الثانية بشهرين ونصف ليتشاوروا فى أمر رسول الله **عليه الصلاة والسلام** وكان رؤساؤهم عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة ، وأبوجهل ، وأبوسفيان ، وطعمة بن عدى ، والنضر بن الحارث ، وأبو البخترى بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، فجاءهم إبليس فى صورة شيخ نجدى ، فلما رأوه قالوا له : من أنت ؟ قال : أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدمونى رأيا أو نصحا، قالوا : ادخل ، فدخل . قال أبو البخترى بن هشام : أما أنا فأرى أن تأخذوا محمدا فتحبسوه مقيدا فى بيت وتسدوا باب البيت غير نافذة تلقون منها طعامه . وشرابه حتى يهلك .

فصرخ الشيخ النجدى وقال : بئس الرأى فإن أصحابه يقاتلونكم ويخرجونه قهرا عنكم .

فقالوا : صدق الشيخ النجدى .

فقال هشام بن عمر : إنى أرى أن تحملوه على بعير فتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنعه .

فقال ذلك الشيخ النجدى : ما هذا رأى تتبعونه مع رجل اتبعه سفهاؤكم فتخرجوه إلى غيركم فيفسدهم ، ألم تروا إلى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل غيركم فيسير بهم فيخرجكم من بلادكم .

---

(١) سورة الأنفال : ٣٠ .

(٢) حضر الاجتماع مائة من كبار قريش يوم الخميس ٢٧صفر سنة ١٤ من النبوة الموافق ١٢ من شهر سبتمبر سنة ٦٢٢ م .

فقال أبو جهل : إنى أرى أن تأخذوا من كل قبيلة شابا يعطى سيفا صارما ثم يضربونه ضربة رجل واحد فإذا قتل تفرق دمه بين القبائل ولا أظن أن هذا الحى من بنى هاشم يقوون على حرب قريش وإنما يطلبون ديته وهذا أمر سهل .

فقال إبليس : إنه أجودكم رأيا فتفرقوا على ذلك ... غير أن جبريل أخبر الرسول **عليه الصلاة والسلام** بذلك بقول الله تعالى ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ .

١- الاستعداد للهجرة :

كان رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر بأن يعد راحلتين من أربعة شهور لهذه الهجرة ، وقد اشترى الرسول واحدة منها من ماله الخاص والثانية لأبى بكر ، كما استأجر أبو بكر عبد الله بن أريقط وكان على دين قريش فاستلم الناقتين وأخفاهما وعاهدهما على كتمان أمرهما كما طلبا منه أن يوافيهما عند غار ثور بعد ثلاثة أيام من خروجهما.

٢- الأمر بالهجرة :

ولما أتى أمر الله لرسوله بالهجرة طلب من على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - أن يبقى فى مكة حتى يؤدى عنه الودائع لأصحابها ثم ينام فى فراشه فى هذه الليلة ويتسجى ببرده الحضرمى الأخضر فى بيت رسول الله **عليه الصلاة والسلام** فى حجرة نومه.

وذهب النبى ﷺ إلى بيت أبى بكر الصديق ظهرا وأمره بالاستعداد للهجرة ، طلب أبو بكر من ولده عبد الله أن يأتى إليهما فى الغار ليلا بأخبار قريش وما يدبرون من مكائد ، كما أمر غلامه عامر بن فهيرة أن يأتيهما ليلا باللبن .

تنفيذ اتفاق دار الندوة :

فى ليل ٢٧ صفر قامت قريش لتنفيذ ما اتفقت عليه فى دار الندوة ـ وحاصر المشركون منزل الرسول ﷺ واتفقوا على أن ينتظروا خروجه فيقتلوه .

برغم الحصار خرج الرسول :

وقضى الله أن يغشيهم النعاس فرقدوا حتى أصبحوا وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد خرج فى رعاية الله وحفظه وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿ **يس . وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ . إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ .... وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ** ﴾ [١] .

وصار يضع التراب على رؤوسهم وهم لايشعرون ، وذهب إلى دار أبى بكر فوجده مستعدا .

على بن أبى طالب فى فراش الرسول ﷺ :

وقد نام سيدنا على بن أبى طالب فى فراش النبى والإيمان يملأ قلبه ويزيده اطمئنانا دون مبالاة ولا خوف ولا فزع من الكافرين ، ليلة ٢٧ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة الموافق ١٢ / ٣ سبتمبر سنه ٦٢٢ م ، وهذا أول عمل فدائى فى الإسلام .

وذهب الرسول ﷺ إلى دار أبى بكر وخرجا ليلا إلى غار ثور ، وفى الصباح يوم الجمعة ٢٨ صفر دخل الكفار دار النبى وأيقظوا من فى الفراش فإذا هو على ابن أبى طالب فخرجوا خاسرين .

فى غار ثور :

وصل النبى وصاحبه غار ثور وكان فى انتظارهما عبد الله بن أبى بكر ومعه خمسة آلاف دينار هى ثروة أبى بكر ، وظلا فيه ثلاثة أيام ، وقد عشش على بابه الحمام والعنكبوت كما نمت شجرة لم تكن نامية من قبل وهذه معجزة .

وينادى المنادى فى القبائل من يأتى بمحمد حيا أو ميتا فله مائة ناقة ومثلها فى أبى بكر . ويقصون الأثر ويسيرون حتى الغار ولكن الله حجبهم ، وحزن أبوبكر حين رأى المشركين يكادون يبصرونهما . فقال له الرسول - **عليه الصلاة**

---

(١) سورة يس : ١ - ٩ .

والسلام - : " **لاتحزن إن الله معنا** " . ثم خرج الرسول وصحبه فى اليوم الثالث يوم الإثنين [١] .

وقد أحضر عبد الله بن أريقط [٢] الناقتين وسافرا على بركة الله إلى المدينة. وكان معهما عامر بن فهيرة.

فى الطريق إلى المدينة :

مطاردة قريش للركب المحمدى :

وأخذ الركب المحمدى طريقه وسط جبال موحشة قاحلة قاتلة ينتشر فى جنباتها فرسان قريش طالبين محمدًا ﷺ وصحبه للفوز بعطاء قريش وحتى ينالوا المكانة العالية على الآخرين.

ولكن الله يحف الركب برعايته وعنايته ويمده بفضله ، وسار الثلاثة والله رابعهم ينشر النور أمامهم والاطمئنان فى قلوبهم.

١- سراقة يلحق بالركب :

ويلحق بهم سراقة بن مالك يريد بهم الأذى طمعا فى المكافأة ، والتفت أبو بكر خلفه فرأى سراقة فعرفه ، وأخبر الرسول فلم يلتفت وقال : اللهم اكفناه بما شئت ، اللهم اصرفه ، فاستجاب الله دعاءه فساخت قوائم فرسه فى الأرض فصرخ مستغيثا، وكانت فرسه قد عثرت به قبل ذلك مرتين وألقته من فوقها ولم يعتبر بذلك رغم أنه استقسم بالأزلام أنه لا يفعل شيئا ويغيثه الرسول ثم يعود للنيل منهم ، وفى المرة الأخيرة أبى الرسول **عليه الصلاة والسلام** أن يغيثه إلا بشروط ثلاثة : الأول : ألا يقاتلهم أبدا ، والثانى : ألا يخبر عنهم أحدا ، والثالث: أن يقف مكانه بقية اليوم لرد من يريد اللحاق بهم ، وقد وفى بشروطه وقد شرح الله صدره للإسلام وأسلم سراقة سرا وظل ثمانى سنوات من هذا اليوم حتى غزوة حنين سنه ٨

---

(١) غرة ربيع الأول .

(٢) كان رجلا خبيرا بالطرق . وكان على دين قريش ، وكان هذا الرجل وفيا صادقا قال المصطفى : " **إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر** " .

هجرية ، وقد طلب سراقة بعد هذه الشروط كتاب أمن من الرسول – **عليه الصلاة والسلام** – فأمر عامر بن فهيرة فكتبه له وسلمه إياه . وبشره الرسول بأنه سوف يلبس أساور كسرى وتحقق له ذلك فى عهد عمر بن الخطاب عندما فتحت مدائن كسرى ووقعت أمواله وذخائره ، ومن بينها السوار غنيمة فلما رأى عمر السوارين دعا سراقة وألبسه إياه تحقيقا للبشارة التى سبق أن قالها له الرسول .

وآخرون يريدون المكافأة :

وممن أغراهم الطمع فى مكافأة قريش بريدة بن الحصيب من بنى سهم فركب فى سبعين من قومه ، ولقى النبى – **عليه الصلاة والسلام** – فى الطريق ولم يكن يعرفه فقال له النبى : من أنت ؟ فقال : بريدة . فالتفت النبى – **عليه الصلاة والسلام**– إلى أبى بكر وقال يرد أمرنا وصلح . ثم قال له : ممن أنت ؟ فقال : من أسلم . فقال النبى **عليه الصلاة والسلام** : سلمنا .

ثم قال : ممن ؟

قال : من بنى سهم .

فقال الرسول : **خرج سهمك يا أبا بكر** .

فقال بريدة : من أنت ؟

قال الرسول – **عليه الصلاة والسلام** – : **محمد بن عبد الله ، رسول الله.**

فكشف الله الحجاب عن بريدة فأسلم وأسلم من كانوا معه أجمعون وحل بريدة عمامته وشدها فى رمح وجعلها لواء ومشى بين يدى رسول الله – **عليه الصلاة والسلام** .

من معجزات الرسول ﷺ فى طريق الهجرة :

لم تكن تعثر قوائم فرس سراقة التى ساخت فى الأرض ثلاث مرات هى المعجزة الوحيدة ، ولكن هناك معجزات باهرات ، نذكر أن الغذاء نفذ من الركب النبوى الشريف بعد أن شق الركب طريق الساحل إلى المدينة ، فلم يجد الرسول–

عليه الصلاة والسلام – وصاحبه بدا من شراء زاد ممن يصادفونه فى الطريق ، ولما وصلوا إلى موضع معروف يسمى (قديدا) وجدوا خيمة من خيام العرب . وكانت مأوى رجل اسمه أكثم بن الجون الخزاعى ومعه زوجته عاتكة بنت خالد الخزاعية وولدهما معبد بن أكثم وكانت لهم أعنزا عجافا وغنما قليلة هزيلة لقلة الغذاء واحتباس المطر .

وفى هذا اليوم خرج أكثم بغنمه وترك عنزة عجفاء لم تقو على الخروج لضعفها فتركها فى كسر الخيمة .

وكان من عادة زوجته فى أيام الخير ووفرة العيش أن تجلس فى فناء الخيمة محتبية تسقى الصيادين وتطعم الجائعين ممن يمرون عليها من المسافرين .

غير أن أزمة العام وقلة المطر وغلاء العيش والأقوات غير من عادتها فى تلك السنة فلم يكن لها فضل مال تعين به المحتاجين .

وكانت هذه الزوجة الكريمة فصيحة جميلة عفيفة جليلة ، فلما مر بها الركب النبوى طلبوا منها أن تبيعهم ما تيسر من لحم أوتمر أو لبن . فقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم القرى . فنظر الرسول – **عليه الصلاة والسلام**– إلى الشاة المتخلفة فى الخيمة من الضعف وقال : هل بها من لبن ؟

قالت : هى أجهد من ذلك .

قال : أتأذنين لى بحلبها ؟.

قالت نعم إن رأيت بها حلبا .

وأمرت ولدها الصغير معبدا فأحضر الشاة لتقنعهم بضعفها وتدفع تهمة البخل عن نفسها ، ولم يدر بخلدها أن يد ضيفها الكريم إذا مست ضرع شاتها فاضت ألبانها ، بقدرة بارئ النسم معجزة سيد العرب والعجم .

وضع الرسول – **عليه الصلاة والسلام** – رجل الشاة بين ساقه وفخذه ومسح على ضرعها وظهرها وسمى الله تعالى فتفاجت ودرت وفاضت اللبن فطلب إناء

كبيرا فامتلأ فأمر أن تشرب صاحبة الشاة أولا فشربت حتى رويت . ثم شرب من معه حتى رووا . ثم شرب بعدهم وقال – **عليه الصلاة والسلام** – ساقى القوم آخرهم شربا . ثم حلب ثجا فامتلأ الإناء ثانيا .

وقال : ارفعى هذا لزوجك ثم سافروا فى طريق هجرتهم .

وفى المساء : عاد أكثم بنعاجه العجاف فرأى الإناء مفعما باللبن . فقال : يا أم معبد أنى لك هذا ؟

فأخبرته الخبر وهى لاتعلم شيئا عن ضيفها : فقال زوجها أبو معبد : هذا والله صاحب قريش لو رأيته لاتبعته ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا ، ثم خرج مسرعا حتى أدرك الركب ببطن ريم فى طريق المدينة وقابل الرسول ﷺ وعرفه بنفسه وأسلم ، وبايع . ثم عاد إلى زوجته وأخبرها فأسلمت هى وولدها معبد وأخوهما حبيش بن خالد الصحابى الجليل (الذى قتل عام فتح مكة شهيدا سنة ٨ هجرية) .

ثم هاجر أبو معبد وأسرته إلى المدينة المنورة فأقاموا مع النبى المختار وصحابته الأخيار . رواه الحاكم وصححه البيهقى والطبرانى .

وفى الطريق قابل الرسول – **عليه الصلاة والسلام** – الزبير بن العوام، وطلحة ابن عبيد الله ، فقد كانوا فى تجارة لهم فى الشام وفى رجوعهما قابلا الرسول وصحبه ففرحا كثيرا وقدما للنبى ومن معه ملابس جديدة بيضاء هدية فدخلوا بها المدينة .

وصول الركب النبوى قباء : يوم الإثنين ٨ ربيع أول سنة ١ هـ :

وصل الركب النبوى قباء على مشارف المدينة فى "ضواحى المدينة" يوم الاثنين ٨ من ربيع الأول سنة ١ هـ ، وقد هب أهل المدينة لاستقبال الرسول **عليه الصلاة والسلام** ومكث الرسول بقباء ثلاثة أيام بنى فيها مسجدا وهو أول مسجد بنى فى الإسلام ومدحه الله فى القرآن بقوله : ﴿ **لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقّ**

أن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (١) .

ولما تم بناء المسجد صلى – **عليه الصلاة والسلام** – بالمسلمين جماعة، وهذه أول مرة يصلى بالمسلمين صلاة الجماعة علانية آمنين .

كتابة التاريخ الهجرى :

وصل على بن أبى طالب مهاجرا إلى قباء والرسول ما زال فيها فطلب منه رسول الله أن يكتب التاريخ الهجرى . فكان ذلك يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول سنة ١هـ ٢٧ سبتمبر سنة ٦٢٢ م ، خرج الرسول بموكبه فأدركته الصلاة فى مسجد بنى سالم بن عوف فخطب وصلى الجمعة وبعد الصلاة ركب ناقته وحوله أصحابه .

استقبال الركب النبوى بالمدينة :

كان أهل المدينة قد علموا بخروج الرسول ﷺ من مكة مهاجرا إليهم فكانوا ينتظرونه كل يوم حتى تردهم الظهيرة بحرها وشردها . وفى يوم وصوله كانوا قد انتظروه على عادتهم ثم رجعوا . فإذا برجل من اليهود على حصن عال ، يقول : يا معشر المسلمين هذا صاحب دولتكم الذى تنتظرونه قد أقبل . فخرج الأنصار سراعا يحملون السلاح وكان فريق ممن أسلم ولم يروا الرسول **عليه الصلاة والسلام** يظنون أبا بكر إياه فحيوه تحية طيبة وسلموا عليه حتى أصابت الشمس الرسول ﷺ فوقف أبا بكر يظلله فعلموا التابع والمتبوع .

ويركب الرسول ناقته وحوله أصحابه وخلفه أبو بكر الصديق ، وقد خرج أهل المدينة لاستقباله استقبالا عظيما مكبرين مهللين ينشدون :

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة ... مرحبا يا خير داع

---

(١) سورة التوبة : ١٠٨ .

دخول محمد ﷺ المدينة : يوم ١٦ ربيع الأول سنة ١ هـ ـ سنة ٦٢٢م :

دخل النبى المدينة فى موكب لم تشهده المدينة من قبل ، وقد خرج الناس والغلمان والخدم ينادون فى الطرقات جاء محمد رسول الله . الله أكبر ، الله أكبر وكانت جوارى بنى النجار أخوال الرسول **عليه الصلاة والسلام** يضربن بالدفوف وينشدن :

نحن بنات من بنى النجار يا حبذا محمد من جار

كل هذا ورسول الله – **عليه الصلاة والسلام** – سائر فى المدينة على ناقته مردفا أبا بكر خلفه ، وقد أرخى لها وتركها تمشى كما يسيرها الله ، وكل أنصارى يتمنى لو بركت عند داره ليحظى بشرف ضيافته – **عليه الصلاة والسلام** – وقد تدافع كبار الصحابه وكبار القبائل والعشائر ليمسكوا بزمام الناقة والرسول يقول لهم: " **خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة** " واستمرت الناقة حتى بركت فى مكان المسجد النبوى ثم قاما حتى وصلت دار أبى أيوب الأنصارى والرسول يقول: " **اللهم خير لى واختار لى** " . ثم بركت الناقة أمامها ثم قامت ثانيا حتى بركت حيث بركت أول مرة .

فقال الرسول – **عليه الصلاة والسلام** – : "**هنا المنزل إن شاء الله رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين** " وحمل أبو أيوب رحل الناقة وأدخله داره .

نزول الرسول بدار أبى أيوب :

فرح أبو أيوب بضيفه ونزل الرسول – **عليه الصلاة والسلام** – ضيفا عليه فى الطابق الأرضى ، وكان أبو أيوب يسكن مع زوجته فى الطابق العلوى . وبات الرسول ﷺ الليلة الأولى ، ولما أصبح قال أبو أيوب : يا رسول الله ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب .

فقال ﷺ : " **لم ؟** " .

قال أبو أيوب : كنت أحق بالعلو منا .

قال الرسول ﷺ : " **الأسفل أرفق بنا** " .

فقال أبو أيوب : والذى بعثك بالحق نبيا لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبدا.. ولم يزل يلح حتى رضى صلى الله عليه وسلم بالتحول إلى أعلى .

مكث المصطفى ﷺ ضيفا على أبى أيوب الأنصارى سبعة أشهر ، وكان الصحابة يتناوبون إهداء الطعام لرسول الله إلى أن انتقل إلى الحجرات التى بناها بجانب المسجد .

****

العام الأول الهجرى

طبيعة أهل المدينة :

لم تكن هذه الحفاوة والتكريم التى استقبل بها الرسول هو وأصحابه نابعة من عاطفة جارفة نحو محمد أو رغبة فى هذا الدين الجديد لأصحابه أو رغبة منهم للتخلص من ظلم لحق بهم ، ولكنها كانت محبة متأصلة فى نفوس أهل المدينة ، نمت مع الزمن وترعرعت بسماعهم أهل الكتاب وخصوصا اليهود الذين يعيشون معهم وهم يبشرون بأن الله سيرسل من يخرج هذا الكون من الظلمات إلى النور، فكانت الصفات التى أشارت إليها هذه الكتب فى محمد **عليه الصلاة والسلام** ورسالته فكان دخولهم دين الإسلام واستقبالهم للرسول عن حب ومحبة فى الله ورسوله **عليه الصلاة والسلام** وهذا شىء بالفطرة لا محض الصدفة .

مجتمع المدينة :

نزل رسول الله ﷺ بين مجتمع المدينة مجتمع غريب عجيب متنافر ، تحف به تيارات مختلفة، وأحقاد قديمة متأصلة ، وحروب ودماء لم يتوقف نزيفها ، لاستمرار الحروب بين الأوس والخزرج .

فهو مجتمع متباين فيه اليهود والمنافقون والمشركون ، أما المنافقون فقد قبل الرسول ﷺ ظواهرهم وأوكل بواطنهم لله تعالى . وكان رئيسهم عبد الله بن أبى ابن سلول [١] كان يتمنى أن يكون سيد أهل المدينة قبل مجىء محمد ، فلما حضر النبى ﷺ بالمدينة رأى أن الأغلبية مع النبى فأسلم ظاهرا وكان فى الباطن مع اليهود على شاكلتهم .

أما اليهود فكانوا قبائل : منهم بنو قريظة ، وبنو النضير، وبنو قينقاع. وهؤلاء هم أعداء الدعوة وإن كانوا يظهرون ترحيبهم بالرسول ﷺ طمعا فى الوصول إلى

---

(١) كان عبد الله بن أبى بن سلول يعد نفسه ليكون سيد أهل المدينة وكان يعدون له تاجا تم صنعه إلا جوهرة ثمينة لم يتم تركيبها حتى وصل الرسول فتوقف كل شىء لحين وضوح الأمر ولم يتوج فزاد حقدا على محمد ودعوته فأخذ يكيد له ولصحبه .

استمالته لهم، والاستفادة من انقياده لهم ، لبسط نفوذهم وإحكام قبضتهم على الجزيرة العربية ، ومما أودع فى أنفسهم هذا الأمل عندما شاهدوا المسلمين يصلون تجاه بيت المقدس والمشركون الذين لا يؤمنون وهم قبائل المدينة.

أما الأنصار فكانوا قلة بالنسبة لليهود والمنافقين معا ولكنهم كانوا رغم قلتهم كثرة قوية بإيمانهم بالله وبرسوله ﷺ .

بناء مسجد يجتمع فيه المسلمون :

كان لابد للحكومة المحمدية أن تجتمع فى دار لها تدرس فيها أحوال المسلمين وتنظم مسيرتهم فى هذا المجتمع الجديد عليهم. إذ لم يكن الأنصار وحدهم بالمدينة بل كان معهم اليهودى الحاقد والمشرك الجاحد والمنافق المرائى. فكان لا بد من اختيار مكان تقام فيه شعائرهم ويكون فى الوقت نفسه مقر حكومتهم ومنتداهم .

فاختار الرسول المكان الذى بركت فيه ناقته وكان ملكا لغلامين يتيمين هما سهل وسهيل ابنا عمرو من بنى النجار وفى وصية أسعد بن زرارة أراد أهل اليتيمين أن يقدموا هذه الأرض هدية للرسول ولكنه رفض ودفع ثمنها من مال أبى بكر الصديق .

أمر الرسول ببناء المسجد وكان يشارك القوم فى حمل الطوب اللبن وهو يقول: " **هذا الحمال لا حمال فيبر هذا أبر ربنا وأطهر** " . ويقول : " **إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة** " .

وكان الذين أسسوا المسجد جعلوا طوله مما يلى القبلة إلى مؤخرته مائة نراع، وجعل قبلته إلى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب ، باب فى المؤخرة وهو جهة القبلة اليوم ، وباب عاتكة ويقال له: باب الرحمة .والباب الذى يدخل منه الرسول وهو باب آل عثمان اليوم . وهذان البابان لم يغيرا بعد أن حولت القبلة ، ولما حولت القبلة سد الرسول عليه الصلاة والسلام الباب الذى كان خلفه وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يخطب إلى جذع يتكئ عليه فقالت امرأة من الأنصار أو رجل : يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا ؟ قال : " إن شئتم ". فجعلوا له منبرا . ولما فارق

رسول الله الجذع وصعد المنبر حن الجذع وسمع له صوت كصوت العشار ، وهذه معجزة وردت ضمن المعجزات المحمدية .

تنظيم صفوف المسلمين :

فى وقت بناء المسجد أخذ الرسول **عليه الصلاة والسلام** ينظم صفوف المسلمين فى هذا المجتمع فسارع إلى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فكان يقول لكل اثنين: " تآخيا فى الله أخوين . أخوين " فتكونت منهم جبهة قوية . فكان هو وعلى ابن أبى طالب أخوين . وعمه حمزة ومولاه زيد أخوين . وأبو بكر الصديق وخارجة بن زيد أخوين . وكان عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الخزرجى أخوين فتكونت وحدة قوية عزيزة الجانب .

كما آخى بين الأنصار بعضهم بعضا ، وقد كانوا من قبيلتى الأوس والخزرج وكانت العداوة مستحكمة أشعلت نار الحرب التى دامت بينهم نحو مائة وعشرين عاما ، فلما أسلموا قضى الإسلام على خصومتهم وطهر قلوبهم منها .

فتكونت منهم صفا واحدا وكونوا بذلك وحدة سياسية ونظامية لم تكن معروفة من قبل فى الجزيرة ، الأمر الذى لفت الأنظار إليهم وجعل الألسنة تتحدث عنهم وتخشاهم القوى الأخرى ، وتحقد عليهم وتدبر لهم المكائد وتتربص بهم الدوائر.

مشروعية الأذان :

أصبح المسجد مكان العبادة والاجتماع والمنتدى . يجتمع المسلمون فيه برسول الله ﷺ ليذكر بعضهم بعضا فى شؤونهم ، ويقوى روابط الألفة والاتحاد بينهم إذا حضروا لأداء الصلوات الخمس جماعة فى المسجد ولأجل أن يكون عاما كان لابد من عمل ينبه الغافل ويذكر الناس . فاجتمع الرسول ﷺ مع الصحابه فيما يفعل لذلك. فقال بعضهم : نرفع راية على محل مرتفع للناس وقت الصلاة . فلم يقبل . وقال آخرون : نشعل نارا على مكان مرتفع . فلم يقبل . وأشار الآخرون باستعمال بوق وهو ما كانت اليهود تستعمله لصلاتهم فكره رسول الله ﷺ كما كره استعمال الناقوس حسب إشارة بعضهم . وأشار بعضهم بالنداء فيقوم بعض الناس وينادى بها. فقيل : هذا هو الرأى [1] وكان أحد المنادين عبد الله بن زيد بن ثعلبة الأنصارى .

(١) كان هذا رأى عمر بن الخطاب ؟ (أولا تبعون رجلا ينادى بالصلاة) تاريخ الإسلام السياسى ج١ ص٨٧ .

وهو في ما بين اليقظة والنوم ، إذ عرض له شخص وقال : ألا أعلمك كلمات تقولها عند النداء للصلاة .

قال : بلى .

فقال له : قل : الله أكبر . الله أكبر . وتشهد مرتين .

ثم قال : قل : حى على الصلاة مرتين .

ثم حى على الفلاح مرتين . ثم كبر ربك مرتين .

ثم قل لاإله إلا الله .

فلما استيقظ توجه إلى الرسول ﷺ وأخبره الخبر فقال : إنها لرؤيا حقة ، ثم قال له : لقن بلالا ذلك ، فإنه أندى منك صوتا. وبينما بلال يؤذن إذ جاءه عمر يجر رداءه ، فقال : والله لقد رأيت مثله يا رسول الله ، وكان بلال أحد مؤذنيه بالمدينة والآخر عبد الله بن أم مكتوم، وكان بلال يقول فى أذان الصبح بعد حى على الفلاح: الصلاة خير من النوم مرتين وأقره الرسول [١] على ذلك.

زواجه من السيدة عائشة :

" **فى شهر شوال من السنة الأولى من الهجرة** " .

هى السيدة عائشة رضى الله عنها بنت أبى بكر الصديق : عبد الله بن أبى قحافة ، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر. ولدت فى السنة الثامنة أو التاسعة قبل الهجرة وعقد عليها رسول الله ﷺ بمكة فى شوال فى السنة الحادية عشرة من النبوة ، وسنها ست أوسبع سنوات . ودخل بها وهى بنت تسع . وكان صداقها أربعمائة درهم . وكانت أحب نسائه إليه .وكنيتها أم عبد الله كنيت بابن أختها أسماء وهى أم عبد الله بن الزبير. وكان يدعوها أمّا لأنه تربى فى حجرها.

وروت عن النبى ﷺ أكثر من ألف حديث وكانت فصيحة الكلام صحيحة المنطق تحفظ كثيرا من القصائد ، كريمة لاتدخر شيئا ، أحفظ أهل زمانها للحديث.

وقد روى عنها الرواة من الرجال والنساء . وأثبت بعض المؤرخين أن عائشة

---

(١) المنظومة الشكرية ج٤ ص١٣٧.

كان عندها نسخة من القرآن .

روى القاسم بن محمد عن عائشة رضى اللـه عنها أنها قالت : " فضلت عن أزواج النبى ﷺ بعشر خصال : تزوجنى رسول الله ﷺ بكرا دون غيرى ، وأبـواى مهاجران، وجاء جبريل عليه السلام وصورتى فى صريرة ، وأمره أن يتزوج بـى ، وكنت أغتسل معه فى إناء واحد ، وجبريل عليه السلام ينزل بالوحى وأنا معه فـى لحاف واحد ، وتزوجنى فى شوال ، وبنى بى فى ذلك الشـهر، وقبض بين سحرى ونحرى ، وأنزل الله تعالى عذرى من السماء ، ودفن فى بيتى ، كل ذلك لم يساو غيرى فيه .... " .

وقال عنها عليه الصلاة والسلام : " **خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء** ". إذ كانت السيدة عائشة أحب نساء الرسول إلى قلبه ، فالسيدة خديجة كانت الحب والوفاء خلال حياة امتدت خمسة عشر عاما، رزق منها القاسم ، وعبد الله ، ورقية، وزينب ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، ولقد وقفت بجانبه عندما جاءته الرسالة أكرم موقف حين قالت : " أبشر يا ابن العم واثبت، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ـ والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الدهر . ولما توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات تزوج من سودة بنت زمعة . ثم تزوج من السيدة عائشة رضى الله عنهن .

والرسول ﷺ لم يتزوج بكرا غيرها وقد توفيت سنة خمسين للهجرة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان ، ١٣ يولية سنة ٦٧٨م ، وقد عاشت سبعا وستين سنة ، وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنه ودفنت بالبقيع ليلا.

وذلك فى زمن ولاية مروان بن الحكم على المدينة فى خلافة معاوية ، وكان مروان استخلف أبا هريرة لما ذهب إلى العمرة فى تلك السنة .

قيام الدول الإسلامية

أخذ الإسلام مكانه على أرض الواقع بعد أن أرسى النبى ﷺ قواعد الدولة الإسلامية فى يثرب (المدينة) ، على أسس من الإيمان ، والمحبة ، والإيثار ، وتذويب عصبيات الجاهلية ، فلا حمية إلا للإسلام .

ساعد على ذلك، ما قدمه الأنصار لإخوانهم المهاجرين من الحفاوة البالغة ومن التضحيات العظيمة، والود،والصفاء، وما كان عليه المهاجرون من تقدير هذا الكرم، والإيثار حق قدره، فلم يستغلوه، ولم ينالوا منه إلا بقدر ما يقيم أودهم.

التنظيم الداخلى :

عقد ﷺ العقود والمواثيق بما يثبت الأمن والاستقرار فى الداخل . وأدلى إلى كل قوم بما كانوا يستحقونه ، من الرأفة ، والرحمة ، أو الشدة والنكال ، وكانت الرحمة هى السمة الأساسية للتعامل .

كان ﷺ يقويهم بمدهم بالغذاء الروحى ، الذى يدفعهم للإقدام ، والامتثال ، إذ يقول : (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ، ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه ، كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) [١] .

ويقول : (أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى ، كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع ، أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقا مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم .) [٢].. ويقول: (المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله.) [٣] وهذا وغيره .

وكان ما يحدثهم عن العبادة والاستعفاف عن المسألة والأجر والثواب .

وكان يربطهم بالوحى النازل من السماء ربطاً موثقا يقرأه عليهم ويقرأونه هذه الدراسة إشعارا بما عليهم من حقوق الدعوة والطاعة ، والامتثال والتنفيذ .

---

(١) متفق عليه مشكاة المصابيح ٤٢٢/٢ .

(٣،٢) سنن أبى داود وجامع الترمذى .

وبهذا ارتقى بمعنوياتهم ، ومواهبهم ، وزودهم بأعلى القيم ، والذوقيات فصاروا عبادا وزهادا وأبطالا مغاوير .

استفزازات قريش للمسلمين :

زاد حقد قريش ، واشتد غضبها عندما رأت ، وسمعت ما تم بين المهاجرين والأنصار من مآخاة ومن توحد وتلاحم ، وتعاون ، فأخذت تهدد المهاجرين ، فأرسلت تقول لهم : لا يغرنكم أنكم أفلتمونا إلى يثرب ، وسنأتيكم فنستأصلكم ونبيد خضراءكم فى عقر داركم .) . (١) أثرت تلك الأراجيف فيهم حتى أن الرسول ﷺ كان لا يبيت إلا ساهرا أو فى حرس من الصحابة . وكان ذلك أمرا مستمرا .. تقول السيدة عائشة : كان رسول الله ﷺ يحرس ليلا حتى نزل : (الله يعصمك من الناس ..) فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة وقال: (يا أيها الناس انصرفوا عنى فقد عصمنى الله عزّ وجلّ (٢) .

ولم يكن الخطر مقتصرا على رسول الله ﷺ . بل على المسلمين كافة . فقد روى أبى بن كعب . قال : لما قدم رسول ﷺ وأصحابه المدينة ، وأولهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحد ، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح) ولا يصبحون إلا فيه.

الإذن بالقتال :

لما ضاق الحال بالمسلمين وزاد ضيقهم من قريش ، لإصرارهم الكيد بالمسلمين والقضاء عليهم ثارت حمية المسلمين فى نفوسهم وزادت من رغبتهم فى التصدى لهم والدفاع عن دينهم وأنفسهم ، لا يمنعهم عن ذلك إلا الأمر والإذن . فأنزل الله تعالى الإذن بالقتال للمسلمين ، ولم يفرضه عليهم إذ يقول عزّ من قائل : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىَ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**..﴾ (٣) ونزلت هذه الآية الكريمة ضمن آيات أرشدتهم إلى أن هذا الإذن إنما هو لإزاحة الباطل وإقامة شعائر

---

(١) رحمة العالمين ١١٦/١ .
(٢) جامع الترمذى أبواب التفسير ١٣٠/٢ .
(٣) سورة الحج : ٣٩ .

الله تعالى . قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١) .

كان هذا الإذن بمثابة الرأى الذى أطفأ غلة المسلمين المتحرقين شوقا للجهاد ورفع راية التوحيد والتصدى لقريش وكسر شوكتها وردها لرشدها بالتصدى لها وقطع طريقها التجارى الممتد من مكة إلى المدينة .

النشاط العسكرى والمواجهة :

وضع رسول الله ﷺ الترتيبات التى تضمن نشاطه العسكرى فى محاربة ومجابهة قريش بتأمين المنطقة خارج المدينة بعقد معاهدة الحلف أو عدم الاعتداء مع جهته قبل الأخذ فى النشاط العسكرى ، وكانت مساكنهم على ثلاث مراحل من المدينة . وقد عقد معاهدات أثناء دورياته العسكرية وسيأتى ذكرها .

أذن الرسول ﷺ لقواته بالقتال والدفاع عن المدينة ودفع بدوريات عسكرية للاستطلاعات ، والاستكشافات والتعرف على الطريق المحيطة بالمدينة وإرهاب العدو والتحرش به .

غزوة (٢) الأبواء(ودان) فى صفر :

الأبواء قرية بين مكة والمدينة . والغزوة تسمى (ودان) وهى قرية بين مكة والمدينة أيضا، وبينها وبين الأبواء ستة أميال . خرج الرسول فى شهر صفر على رأس اثنى عشر شهرًا من الهجرة على رأس ستين راكبا من المهاجرين يريد عيرا لقريش وبنى ضمرة . ولما لقى بنى ضمرة عقد معهم صلحا ، وكانت المصالحة بينه وبين سيدهم (فخشى ابن عمرو الضمرى) على أنهم لايغيرون ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عليه عدوا وأن لهم النصر على من رماهم بسوء وأنه إذا دعاهم

---

(١) سورة الحج : ٤١ .

(٢) الغزوة : كل عسكر حضره النبى بنفسه الكريمة يسمى غزوة ، ويرى بعض العلماء أن عدد غزواته يبلغ ستا وعشرين ، وقيل: خمسا وعشرين ، وقيل: أربعا وعشرين ، وقيل: إحدى وعشرين ، وقيل: تسع عشرة .

لنصر أجابوه ، وكتب بينهم كتابا وعاد الرسول ولم يلق عير قريش واغتنم هذا الصلح وهذا نصه .

نص معاهدة الصلح

بِسمِ اللّهِ الرّحمَنِ الرّحِيمِ

((هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لبني ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصر على من رماهم بسوء بشرط ألا يحاربوا دين الله . وأن النبى ﷺ إذا دعاهم لنصر أجابوه عليهم بذلك ذمة الله ورسوله)) .

وكان حامل لوائه عمه حمزة ، ولونه أبيض ، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة وكانت المدة التى غابها خمس عشرة ليلة .

فريضة الجمعة :

وكما شرع الآذان فى هذا العام شرعت فريضة الجمعة وأول صلاة جمعة صلاها كانت فى بنى سالم بن عوف .

خطبة الرسول فى أول جمعة صلاها بالمدينة :

وهذا نص الخطبة : -

الحمد لله ، أحمده ، وأستعينه ، وأستهديه ، وأومن به ، ولا أكفره ، وأعادى من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ، والنور، والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم ، وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط ، وضل ضلالا بعيدا .

أوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم ، ثم إن يحثه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكرا ، وإن تقوى الله عن عمل به على وجل ، ومخافة من ربه

عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة . ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمره من السر والعلانية لا ينوى بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرا فى عاجل أمره ، وذخرا فيما بعد الموت ، وحين يفتقد المرء إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك والذى صدق قوله وأنجز وعده ، لاخلف لذلك فإنه يقول عزّ وجلّ : ﴿ **مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ (١) . فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السر والعلانية فإنه من يكفر عنه سيئاته يعظم له أجرا ، ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما ، وأن تقوى الله يوقى مقته ويوقى سخطه ، وأن تقوى الله يبيض القلوب ويرضى الرب ويرفع الدرجة . خذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله . قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ، ويعلم الكاذبين . فأحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداءه . وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة . ولا قوة إلا بالله ، فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وما بين الناس. وذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلى العظيم " .

ومما يلاحظ فى هذه الخطبة أن رسول الله ﷺ لم يذكر فيها أهل مكة ولا ما كان من عنادهم وإصرارهم على الكفر وإيذائهم المسلمين وتآمرهم على قتله بل قصر خطبته على حث المسلمين على التقوى وتذكيرهم بالله تعالى. وهذا فى الحق غاية الأدب ومنتهى ما يصل إليه حلم الحليم ولو كان غير رسول الله لاستفزه الغضب وعدد مثالبهم لأنهم هم الذين خذلوه واضطهدوه وأخرجوه من أحب البلاد إليه وكانوا عقبة فى تبليغ رسالة ربه وقد صدق الله تعالى حيث قال: ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم ....** ﴾ .

معاهدة رسول الله مع يهود المدينة :

أخذ رسول الله ﷺ على عاتقه منذ أن دخل المدينة على فض شقاق الفرقة ولم

---

(١) سورة ق : ٢٩ .

شمل طوائف شعب المدينة وعقد المعاهدات والمصالحات بينهم فالمنافقون قد أخذ بظواهر أمورهم وأوكل البواطن إلى الله وإن كانوا هم أشد خطرا على الإسلام والمسلمين من غيرهم لخبثهم وإظهار غير ما يبطنون .

أما اليهود والمشركون وغيرهم فهم أعداء ظاهرون لذلك كان الرسول ﷺ وهو الذى رباه الله على عينه كان حريصا كل الحرص على ضم جميع طوائف شعب المدينة تحت لوائه. وأخذ الحيطة منهم . وعدم الركون إليهم رغم أنهم رحبوا أول الأمر بقدومه . كما كان ﷺ يعاملهم بالحسنى وأخذ يتصل بأحبارهم وأرادوا هم من وراء ذلك أن يدخلوه فى دينهم ولكن خاب ظنهم . وأرادوا كذلك أن يستفيدوا من هذه الصداقة ويبسطوا نفوذهم على الناس. وكانوا قبائل متفرقة منهم بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع . وقد عاهدهم النبى ﷺ على ألا يعتدى أحد الفريقين على الآخر ولا يمالئوا غيره عليه وكتب رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار كتابا وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط عليهم واشترط لهم **وهذا نص الكتاب :**

نص المعاهدة :

بِسمِ اللّهِ الرّحمَنِ الرّحِيمِ

هذا كتاب محمد النبى ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنوعوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الحرث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وأن المؤمنين لا يتركون مفرجا بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل لا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم ولو كان ولد أحدهم ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ولاينصر كافر على مؤمن وإن ذمة الله واحدة يجيرعليهم أدناهم وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم وإن كل غازية غزت معنا تعقب بعضها بعضا وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن وأنه من اغتبط مؤمنا قتلاعن بينة فإنه قود به إلى أن يرضى ولى المقتول وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم قيام عليه وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة . وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يأويه وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عزّ وجلّ وإلى محمد ، وأن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوقع إلا نفسه وأهل بيته ، وإن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف وإن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوقع إلا نفسه وأهل بيته وإن جفنه بطن من ثعلبة كأنفسهم وإن لبنى ، وإن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى

عوف ، وإن ليهود بنى الشطفة مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن البر دون الإثم وإن موالى ثعلبة كأنفسهم ، وإن بطانة يهود كأنفسهم وإنه لايخرج منهم أحدا إلا بإذن محمد وأنه لا ينحجز على نار جمر وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته وأن الله على أبر هذا وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن النصح والنصيحة والبر دون الإثم . وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه وأن النصر للمظلوم وأن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وأنه لا تجار حرفة إلا بإذن أهلها وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبرها . وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها وإن بينهم النصر على من دهم يثرب . وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يلبسونه وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم مثل ما لأهل . هذه الصحيفة مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة وأن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه وأن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم وأنه من خرج آمن ومن فقد أمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم وأن الله جار لمن بر واتقى ومحمد ﷺ .

سرية حمزة إلى العيص

فى شهر رمضان من السنة الأولى ٢٣ مارس سنة ٦٢٣ م

فى شهر رمضان من السنة الأولى أرسل النبى ﷺ عمه حمزة بن عبدالمطلب فى ثلاثين رجلا من المهاجرين وعقد له لواء أبيضا . حمله أبو مرثد كناز بن الحصين الفنوى حليف حمزة بن عبد المطلب وكان الهدف من إرسال هذه السرية اعتراض عير لقريش قادمه من الشام فى طريقها إلى مكة ، بقيادة أبى جهل بن هشام ومعه ثلثمائة رجل من المشركين فسار حمزة ومن معه إليها حتى وصل

ساحل البحر من ناحية العيص [1] فالتقى بتجارة قريش هناك ، واستعد الفريقان للقتال ، مع أن عدد المسلمين كان عشر عدد الكفار تقريبا ولكن القتال لم يتم لأن " مجدى بن عمرو الجهنى " حجز بينهم فتوجه أبو جهل ومن معه إلى مكة وعاد حمزة وصحبه إلى المدينة .

ولقد شكر النبى ﷺ " مجدى بن عمرو " على محاجزته بين الفريقين ، نظرا لقلة عدد المسلمين بالنسبه للمشركين .

وينسب بعض المؤرخين لحمزة شعرا قاله بهذه المناسبة .

ومن قوله :

فلما تراءينا أناخوا معقلوا	مطايا وعقلنا مدى عرض النبل
فقلنا لهم: حبل الإله نصيرنا	وما لكم إلا الضلالة من حبل
فثار أبو جهل هناك باغيا	فخاب ورد الله كيد أبى جهل
وما نحن إلا فى ثلاثين راكبا	وهم مائتان بعد واحدة فضل
فيال لؤى لا تطيعوا غواتكم	وفيئوا إلى الإسلام والمنهج
فإنى أخاف أن يصب عليكم	السهل عذاب فتدعوا بالندامة والثكل

سرية عبيدة بن الحارث

" فى شهر شوال " أبريل سنة ٦٢٣ م :

وفى شهر شوال من السنة المذكورة . أرسل الرسول ﷺ ابن عمه عبيدة بن الحارث فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين وعقد له لواء أبيض حمله "مسطح ابن أثاثة " . وذلك لكى يعترض عيرا لقريش يحرسها مائة رجل من أهل مكة على رأسهم أبو سفيان بن حرب . فسار عبيدة ومن معه من المسلمين حتى التقوا بعير قريش ببطن رابغ [2] .

قال ابن هشام : " فلم يكن بينهم قتال " إلا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ

(١) العيص :اسم موضع على ساحل البحر كانت تسلكه قريش،وهى فى طريقها للتجارة بالشام .
(٢) واد بين الحرمين قرب البحر على بعد عشرة أميال من الجحفة .

بسهم . فكان أول سهم رمى فى الإسلام .

ثم انصرف كل من الفريقين عن الآخر وولى المشركين الأدبار مسرعين السير إلى مكة خوفا من أن يكون للمسلمين كمين أو مدد . وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو ، وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار [١] .

سرية سعد

" فى شهر ذى القعدة " – مايو سنة ٦٢٣

بعث النبى ﷺ سعد بن أبى وقاص فى عشرين رجلا من المهاجرين إلى الخرار وهى (واد فى الحجاز يصب فى الجحفة) لكى يعترض عيرا لقريش محملة بالأطعمة والأكسية وعهد إليه ألا يتجاوز ذلك المكان لأنها ستمر به .

قال سعد ـ رضى الله عنه ـ : " فخرجنا على أقدامنا فكنا نكمن فى النهار ونسير فى الليل حتى صبحناها صبح خمس ، فوجدنا العير قد مرت بالأمس فانصرفنا إلى المدينة ...

إذا وقد كانت هذه السرايا الثلاث فى الثلث الأخير من السنة الأولى للهجرة بعد عقد العهود والمعاهدات وتوحيد صفوف المهاجرين والأنصار وتثبيت أركان الدولة المحمدية فى المدينة .

ومن الملاحظ أن هذه السرايا قد وقعت فى الثلث الأخير والذين قاموا بها كانوا من المهاجرين دون الأنصار . وكان من أهم الأغراض لها هو إرهاب قريش وكل من تسول له نفسه أن ينال من المسلمين وفى الوقت نفسه إظهار قوة المسلمين وإصرارهم على المضى فى نشر دعوة التوحيد، بعد أن أذن الله لهم بالقتال حماية للحق . ودفعا للظلم ومحقا للعدوان .

---

(١) هذا ما ذكره ابن سعد ، أما ابن إسحاق فذكر أنه كان على رأسهم عكرمة بن أبى جهل وقيل كان على رأسهم مكرز بن حفص .

حصاد هذا العام

أ ـ المواليد :

لما دخل المسلمون المدينة أشاع اليهود بين القوم أن أحبارهم سيعملون على عقم نساء المسلمين فلن تضع منهن امرأة مولودا بعد اليوم . وشاء الله أن يخلف ظنهم فكان ميلاد عبد الله بن الزبير بن العوام فى أول يوم من دخول الرسول المدينة (١) .

ب ـ وفيات المسلمين :

توفى من المهاجرين عثمان بن مظعون أخو الرسول ﷺ فى الرضاع ، أسلم قديما وهاجر الهجرتين . ولما دفن أمر ﷺ أن يرش قبره بالماء ووضع على قبره حجرا وقال : " أعلم به قبر أخى ، وأدفن إليه من مات من أهلى " .

وتوفى من الأنصار أسعد بن زرارة أحد النقباء الاثنى عشر الذين بايعوا الرسول ﷺ . وقد اختاره الرسول للنقابة عليهم ؛ لأنه ابن أخت بنى النجار .

كما توفى أيضا البراء بن معرور أحد النقباء وهو الذى كان يتكلم عن القوم فى بيعة العقبة الثانية .

جـ ـ وفيات المشركين :

مات من المشركين فى مكة : الوليد بن المغيرة ، ولما حضره الموت جزع. قال له أبو جهل : ما جزعك يا عم ؟ قال الوليد: والله ما بى من جزع من الموت ولكن أخاف أن يظهر دين أبى كبشة بمكة (أى الرسول ﷺ) . فقال أبو جهل : لاتخف فإنى ضامن ألا يظهر فيها أيضًا .

وتوفى أيضا العاص بن وائل السهمى "وكفى الله المؤمنين شر هذين الشقيين " (٢) .

وشهد العام الأول من الهجرة تنظيم دولة الإسلام فى المدينة ، وتكوين أول حكومة منظمة فى بلاد العرب إذ لم تكن هناك حكومات فى بلاد الجنوب .

وإذا كان النصف الأول من هذا العام هو قيام الدولة الإسلامية وتكوين الحكومة

---

(١) رجال حول الرسول – خالد محمد خالد .
(٢) رجال حول الرسول – خالد محمد خالد .

الإسلامية ، ففى النصف الأخير هو إبراز قوة هذه الدولة بالتصدى لقريش بقطع طريق الإمداد التجارى عنها ، وذلك بعد نزول قوله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ اللّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا اللّهُ ... ﴾ [الحج : ٣٩] (١) .

****

(١) المنظومة الشكرية ج٤ ص١٥٠ .

العام الثانى الهجرى

العام الثانى الهجرى هوعام الجهاد فى سبيل الله . والوقوف بقوة وحزم حول الدعوة وصد كيد قريش وهو عام الدفاع عن المسلمين الذين أخرجوا من ديارهم من غير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

فكانت السرايا والبعوث لإفهام قريش بأن عهود الضعف التى كان المسلمون يعيشونها فى مكة قد ولت إلى غير رجعة. وأنهم أقاموا فى المدينة دولة قوية عزيزة الجانب تستطيع أن ترهب قريش وأن تزلزل كيانها وأن تلحق بها الأضرار الفادحة إن تعرضت لها وهى تنشر دعوتها وإشعار كل مناوئ للدعوة الإسلامية من اليهود والمشركين والمنافقين وأعراب البادية الضاربين حول المدينة ، وغيرهم من الطوائف التى تسير فى ركاب قريش أو فى جماعة أو قوة تؤذى المسلمين باللسان أو اليد ، فهذا إشعار لهؤلاء جميعا وإفهامهم بأن أتباع الدعوة الإسلامية قادرون على إرهاب أعداء الله وأعدائهم وفى إمكانهم أن يزهقوا أرواح كل إنسان يتطاول على عقيدتهم أو ينتقص من شأن دينهم .

وأخذ المسلمون يعدون أنفسهم وأرواحهم وعدتهم ؛ استعدادا للقاء قريش فى أى وقت وفى أية لحظة ، فسيروا البعوث والسرايا والغزوات .

غزوة (بواط)

" فى ربيع الأول " سبتمبر سنة ٦٢٣ م :

بلغ رسول الله ﷺ أن عيرا لقريش راجعة من الشام فيها أمية بن خلف ومائة من قريش ، وألفين وخمسمائة بعير ، فسار إليها فى مائتين من المهاجرين والأنصار وذلك فى ربيع الأول وكان يحمل لواءه سعد بن أبى وقاص واستخلف على المدينة سعد بن معاذ فسار حتى بلغ بواط فوجد العير قد مرت وفاتته فرجع ولم يلق كيدا.

غزوة العشيرة

" فى جمادى الأولى " نوفمبر وديسمبر سنة ٦٢٣ م

وجمادى الآخرة سنة ٢٥هـ

وفى شهر جمادى الأولى خرجت قريش بأعظم عير لها فيها أموالهم جميعا

وكان يرأسها أبو سفيان ومعه بضعة وعشرون رجلا خرج لها الرسول ومعه مائة وخمسون من المهاجرين واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبدالأسد وحمل لواءه عمه حمزة بن عبد المطلب ولم يزل سائرا حتى بلغ العشيرة فوجد العير قد مرت . وحالف الرسول ﷺ فى هذه الغزوة بنى مدلج وحلفاءهم ثم رجع إلى المدينة فى جمادى الآخرة منتظرا عودة العير من الشام .

غزوة بدر الأولى

بعد رجوع الرسول ﷺ بعشرة أيام تقريبا أغار كرز بن جابر الفهدى على سرح المدينة ثم هرب فخرج الرسول فى طلبه واستخلف على المدينة زيد بن حارثة الأنصارى . وحمل لواءه على بن أبى طالب فسار حتى بلغ صفوان[1] ولم يلق كرزا ولم يحاربه ورجع ، وتسمى هذه الغزوة غزوة بدر الصغرى "الأولى".

سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة

" فى شهر رجب " الموافق سنة ٦٢٤ م

أرسل النبى ﷺ عبد الله بن جحش ومعه اثنا عشر رجلا كلهم من المهاجرين . وأعطاه كتابا مختوما وأمره ألا يفتحه إلا بعد أن يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى إلى ما أمره به ولا يستكره أحد من أصحابه فصار عبد الله يومين ، ثم فتح الكتاب فإذا به (إذا نظرت كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم)[2] فقال عبد الله بعد أن قرأ الكتاب سمعا وطاعة .

ثم قال لأصحابه : قد أمرنى الرسول ﷺ أن أمضى إلى نخلة أرصد بها قريشا حتى آتيه منهم بخبر . وقد نهانى أن أستكره أحدا منكم فمن كان يريد الشهادة ويرغب بها فلينطلق معى ، ومن كره ذلك فليرجع ، أما أنا فسأمضى لتنفيذ أمر رسول الله ﷺ ثم عاد يقول : " من كان يريد الموت فليمض وليوصى فإنى موص

---

(١) صفوان : ناحية بدر .
(٢) سيرة ابن هشام : ج٢ ص٣٣٩ .

وماض لأمر رسول الله ﷺ ، " واستجاب الجميع لنداء البطولة والشرف . وقال الجميع لعبد الله : ونحن سنمضى معك فلست أحرص على الشهادة منا .

وهكذا تكون إثارة حوافز التضحية فى القلوب بلا إرغام ولا احتيال فمما لاشك فيه أن الرسول ﷺ كان يعرف نقاء معدن هؤلاء الرجال ، ولكنه ترك الخيار فى هذا الموطن ليزدادوا ثقة ورضا ، وليقوموا بما كلفوا به من أعمال عن طواعية واختيار .

ولعله ﷺ لم يخبرهم وهم بالمدينة بمهمتهم خوفا من شيوع الخبر فيدل عليهم الأعداء من المنافقين أو اليهود فتترصد لهم قريش ، وعددهم كان قليلا .

ثم سار عبد الله بمن معه إلى المكان الذى حدد لهم الرسول ﷺ حتى إذا وصل إلى موضع يقال له بحرن تخلف عنه سعد بن أبى وقاص ، وعتبة بن غزوان لأن بعيرهما الذى كنا يتعاقبانه ضل منهما فأخذا يبحثان عنه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى وصلوا نخلة . فمرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة من تجارة قريش وهى فى طريقها إلى مكة . وكانت فى حراسة عمرو بن الحضرمى ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل ، والحكم بن كيسان .

قال ابن إسحاق : وتشاور عبد الله ومن معه فى شأنهم ، وذلك فى آخر يوم من رجب فقالوا : والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليتمنعن منكم به، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام ، فترددوا وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، وأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة ، والحكم بن كيسان ، وهرب نوفل بن عبد الله ثم عاد عبد الله بن جحش ومن معه بالعير وبالأسيرين حتى قدموا المدينة دون أن يتمكن المشركون من اللحاق بهم [١] . وعندما التقى عبد الله ومن معه برسول الله ﷺ قال لهم : " **ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام** " فلما قال لهم ذلك سقط فى أيديهم وظنوا أنهم قد

---

(١) سيرة ابن هشام جـ٢ ص ٢٤٠

هلكوا وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا .

وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال وأسروا الرجال ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (١) .

قال صاحب المواهب : لما نزلت هذه الآية فرج الله عن المسلمين وأهل السرية. قال الإمام ابن كثير : معلقا على الآية الكريمة : « **أى إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام ، فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله ، أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم . والفتنة أكبر من القتل أى قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه. فذلك أكبر عند الله من القتل . ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين** » (٢) .

ثم بعثت قريش بعد ذلك إلى رسول الله ﷺ فى فداء الأسيرين اللذين أسرهما المسلمين . وهما عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان ، فلم يقبل الرسول ﷺ منهم ذلك وقال : ((**لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا**)) يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان ((**فإنا نخشاكم عليهما أن تقتلوهما بقتل صاحبيكم**)) وبعد أيام قدم سعد وعتبة ، فقبل الرسول ﷺ فداء الحكم وعثمان مقابل أربعين أوقية لكل واحد منهما . وقد أسلم الحكم بن كيسان بعد ذلك وعاش بالمدينة ومات شهيدا يوم بئر معونة . وأما الآخر وهو عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة ومات على الكفر .

---

(١) سورة البقرة : ٢١٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص٢٥٤ .

قال ابن هشام : فكانت غنيمة عبد الله بن جحش ومن معه أول غنيمة غنمها المسلمون وكان عمرو بن الحضرمى أول قتيل قتله المسلمون . وكان عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان أول أسيرين أسرهما المسلمون .

هذا ، وقد رد عبد الله بن جحش على المشركين الذين اتهموا المسلمين بأنهم انتهكوا حرمة الشهر الحرام فقاتلوا فيه فقال :

تعدون قتلا فى الشهر الحرام عظيمة	وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد	وكفر به والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهله	لئلا يرى الله فى البيت ساجد
فإنا — وإن عيرتمونا بقتله	وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمى رماحنا	بنخلة لما أوقد الحرب واقد
وما ابن عبد الله عثمان بيننا	ينازع غل من القيد عاند

ولقد واصل عبد الله بن جحش بعد ذلك جهاده فى سبيل الله فشهد غزوة بدر وقاتل فيها قتال الأبطال . ثم استشهد فى غزوة أحد بعد أن أبلى أحسن البلاء وكان لهذه السرية آثار عظيمة ، إذ شرع قتال الذين يفتنون المسلمين عن دينهم ويصدونهم عن سبيل الله .

تحويل القبلة فى شهر شعبان فبراير سنة ٦٢٤ م

كان رسول الله ﷺ يأمل فى أن يمن الله عليه فى أن يجعل القبلة الكعبة بدلا من بيت المقدس ، فأخذ يقلب وجهه فى السماء داعيا ربه أن يلبى طلبه ويحقق رجاءه ، فنزل قوله تعالى :﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ** ﴾ (١) .

كان لتحويل القبلة أثره الكبير فى نفوس اليهود مما دفعهم إلى بث الشائعات والأراجيف . وبعد أن خاب أملهم فى الاستفادة من الدعوة الإسلامية إذ كانوا يرغبون فى استمالته ﷺ وبسط نفوذهم على شبه الجزيرة عن طريق هذا الدين

---

(١) سورة البقرة : ١٤٤ .

الجديد ولكن الإسلام دين منزه عن كل شبهة .

عن ابن إسحاق قال : سمعت البراء رضى الله عنه قال: صلينا مع النبى ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ثم صرفه الله نحو القبلة إلى الكعبة .

فرض صيام شهر رمضان - وصدقة الفطر :

فرض الله صوم رمضان فى العام الأول الهجرى ، كما شرعت صدقة الفطر فى شهر رمضان من هذا العام قبل عيد الفطر بيومين ، كما فرضت زكاة الأموال قبل الصيام على حد قول الإمام النووى فى نور الأبصار .

غزوة بدر الكبرى فى شهر رمضان

سمع رسول الله ﷺ بعودة عير قريش من الشام التى لم يلحق بها فندب إليها أصحابه وقال: "**هذه عير قريش فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها** " فأجاب قوم وثقل آخرون لظنهم أن الرسول ﷺ لم يرد حربا ولم يحتفل بها حيث قال: " **من كان ظهره حاضرا فليركب معنا** " . ولم ينتظر من كان ظهره غائبا .

فخرج لثلاث خلون من رمضان بعد أن ولى على المدينة عبد الله بن أم مكتوم. وكان معه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا من الأنصار والمهاجرين ومعهم فرسان وسبعون بعيرا والحامل للواء مصعب بن عمير (١) .

علم أبو سفيان بخروج محمد لملاقاته وكان معه فى القافلة ثلاثون أو أربعون رجلا فاستأجر ضمضم بن عمروالغفارى وأرسله إلى قريش مسرعا يطلب النجدة منها .

وصل ضمضم مكة وقد قطع أذنى بعيره وجدع أنفه وحول رجله ووقف عليه وشق قميصه من قبل ومن دبر وجعل يصيح يا معشر قريش اللطيمة (٢) ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث (٣) .

---

(١) المنظومة الشكرية ج٤ ص١٠٤ .
(٢) المال والتجارة .
(٣) حياة محمد – لهيكل ص٢٥١ .

خروج قريش :

خرجت قريش ولم يتخلف من أشرافها غير أبى لهب بن عبد المطلب فإنه أرسل العاص بن هشام بن المغيرة . وكان عدد من خرجوا من المشركين تسعمائة وخمسين رجلا معهم مائة فرس .. وسبعمائة بعير .. وصل محمد ﷺ إلى خارج المدينة وعسكر هناك وهو لم يعرف ما قامت به قريش إذ هو خارج للعير . فاستعرض الجيش فرد من ليس له القدرة على القتال ثم أرسل على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فى نفر إلى الروحاء (١) يتلمسون أخبار قريش .

ثم عادوا ومعهم غلامين وقد أخبرا محمدًا أن قريشًا وراء الكثب بالعدوة القصوى ، ولما أن أجابا بأنهما لايعرفان عدد قريش سألهما النبى ﷺ " **كم ينحرون كل يوم ؟** " فأجابا يوما تسعا ويوما عشرا فعرف الرسول أن عددهم بين التسعمائة والألف . وقد عرف عليه السلام أن فيهم أشراف قريش وأعيانها .

التشاور فى أمر قريش :

لما علم الرسول ﷺ ما نوت عليه قريش وأن العير قد فرت . جمع قواد جيشه يتشاور معهم ، وقال لهم : " **إن الله وعدكم إحدى الطائفتين أنها لكم العير ، أو النفير** " يريد قريشا .

فتبين له ﷺ أن بعضهم يريدون غير ذات الشوكة وهى العير لأموالها ، وقال بعضهم :هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له إنا خرجنا للعير ، وفى ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدّونَ أَنّ غَيْرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقّ الحَقّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ** ﴾ (٢) .

وتكلم المهاجرون فأحسنوا ثم استشارهم فقال أبو بكر فأحسن ثم قال عمرو فقال فأحسن ثم قال ﷺ : " **أشيروا على أيها الناس** " . (يريد الأنصار) وكان يخشى أن يخذلونه وهنا قال سعد بن معاذ سيد الأوس : (كأنك تريدنا يا رسول الله) .

---

(١) مكان على بعد أربعة أميال من الجنوب الغربى للمدينة .
(٢) سورة الأنفال : ٧ .

فقال : " **أجل** " .

فقال سعد : (قد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهودنا فامض لما أمرك الله فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله) .

فأشرق وجهه عليه السلام . وسر بذلك وقال : " **أبشروا والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم** " .

ولما نجا أبو سفيان بالعير أرسل لقريش أن ارجعوا فقال أبو جهل : (لن نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم فيها ثلاثا ، ننحر الجذور ، ونطعم ، ونسقى الخمر، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا أبدا) .

فى ميدان القتال :

نزل المشركون وادى بدر فنزلوا عدوته القصوى (أى شاطئه) أى البعيد عن المدينة فى أرض سهلة لينة. أما جيش المسلمين فإنه سار حتى نزل بعدوة الوادى الدنيا من المدينة بعيدا عن الماء فى أرض سبخة فأصبح المسلمون عطشى وبعضهم جنبا فحدثهم الشيطان بوسوسته وقال لهم : إن العطش يذهب قواكم فيتحكم فيكم المشركون .

فأنزل الله الغيث حتى سال الوادى فشربوا واغتسلوا وملأوا الأسقية وثبتت الأرض تحت أقدامهم،وكان هذا المطر مصيبة على المشركين فإنه وحل الأرض حتى عجزوا عن الارتحال، ونزل قوله تعالى ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ (١).

أخذ جيش المسلمين مكانه فى الوادى ، وقطع الماء عن المشركين وبنى حوضا على القليب حسب مشورة الحباب بن المنذر بن الجموح ، كما أقيمت عريشة للرسول يشرف منها على القتال بمشورة سعد بن معاذ .

---

(١) سورة الأنفال : ١١ .

وقف المسلمون وعدل الرسول ﷺ صفوفهم وأخذ يوصى الجيش فقال : «**لا تحملوا حتى آمركم وإن اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم**» [١] .

ونظر الرسول ﷺ وهو فى أرض القتال بعد أن تفقد جيشه وعدله وقال ﷺ: "**اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى به** " ثم ابتدأ ﷺ بنصح جيشه وتوجيهه . ثم رجع إلى عريشه ومعه رفيقه أبو بكر وحرسه سعد بن معاذ واقف على باب العريش متوشحا سيفه وكان ثم دعائه ﷺ يوم بدر . " **اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإيمان فلا تعبد فى الأرض بعد اليوم** " .

ثم خرج من العريش يحرص المؤمنين وأخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا وقال : " **شاهت الوجوه** " فلم يبق رجل من المشركين إلا امتلأت عينه وأنفه وفمه ولا يدرى أين يتوجه وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله : ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ** ﴾ [٢] . **وكان ﷺ يقول أيضا : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾** [٣].

كان معظم رجال قريش لايرغبون فى القتال ومنهم عتبة بن ربيعة ، فلما شعر أبو جهل بذلك ثار ثورة عامر بن الحضرمى بقوله : (هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد مقتل أخيك) . وقام عامر فصرخ: واعمراه. فلم يبق بعد ذلك إلا الحرب . فاندفع الأسود بن عبد الأسد المخزومى من بين صفوف قريش إلى صفوف المسلمين يريد أن يهدم الحوض الذى بنوه فعاجله حمزة بن عبد المطلب بضربة أطاحت بساقه فسقط على ظهره ثم أتبعه حمزة بأخرى قضت عليه .

وما أن سقط الأسود حتى خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة ودعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار ولكنهم قالوا لهم: ما لنا بكم من حاجة إنما نريد قومنا . وخرج إليهم حمزة بن عبد المطلب ، وعلى بن أبى طالب ،

---

(١) المنظومة الشكرية – السيد شكرى باشا جـ ص ١٥١ .
(٢) سورة الأنفال : ١٧ .
(٣) سورة القمر : ٤٥ .

وعبيدة بن الحارث ، ولم يمهل حمزة شيبة ولا على الوليد حتى قتلاهما ثم أعانا عبيدة وقد ثبت له عتبة فلما رأت قريش ذلك تزاحف الناس والتقى الجمعان. صبيحة يوم الجمعة لسبعة عشر يوما خلت من شهر رمضان (١) .

وقد قتل بلال أمية بن خلف الذى كان يعذبه . وقتل معاذ بن عمرو بن الجموح أبا جهل بن هشام . وقتل حنظلة ابن أبى سفيان . وحمى الوطيس وأمد الله المسلمين بالملائكة بشرى لهم ولتطمئن قلوبهم ، يقول تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (٢) وولوا الأدبار وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتلوا منهم نحو سبعين وأسروا نحو السبعين أيضا .

النصر العظيم :

ولما تم نصر الله أرسل الرسول ﷺ المبشرين فأرسل عبد الله بن رواحة لأهل العالية وهى العوالى، وزيد بن حارثة لأهل السافلة راكبا ناقة الرسول ﷺ فحز ذلك فى نفوس المشركين فى المدينة واليهود ، وقد أشاعوا أن محمدا قد مات وهذه ناقته ولما وصل محمد ﷺ تمنوا له الموت .

أفراح وأحزان :

فى نفس الوقت الذى كانت فيه أفراح النصر تغمر قلوب أهل المدينة كانت دموع الحزن تملأ العيون بعد انصراف أهل المدينة من دفن رقية بنت الرسول ﷺ وزوج عثمان بن عفان فكان ذلك اليوم يوم فرح وحزن .

أسرى غزوة بدر :

لم يكن هناك تشريع بكيفية معاملة الأسرى ؛ لذلك استشار الرسول ﷺ كبار الصحابه فى أمرهم فكان رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أن تضرب

(١) حياة محمد – لهيكل ص٢٥٩ .
(٢) سورة الأنفال : ١٢ .

أعناقهم حيث قال : يا رسول الله كذبوك وقاتلوك وأخرجوك فأرى أن تمكنى من فلان (وكان قريبا له) فأضرب عنقه حتى يعلم الناس أنه ليس فى قلوبنا مودة للمشركين ، ما أرى أن تكون لك أسرى فاضرب أعناقهم .

وقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله هؤلاء أهلك وقومك وقد أعطال الله الظفر والنصر عليهم أرى أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فقال ﷺ : " **إن الله ليلين قلوب أقوام حتى تكون ألين من اللين وإن الله ليشدد قلوب أقوام حتى تكون أشد من الحجارة** وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم إذ قال : ﴿ **فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (١) .

وإن مثلك يا عمرو مثل نوح إذ قال: ﴿ **رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً** ﴾ (٢) .

وأخذ ﷺ برأى أبى بكر بعد أن مدح صاحبيه ثم قال لأصحابه: " **أنتم اليوم عالة فلا يقتلن أحد من أسراكم إلا بفداء** " وقد بلغ قريش ما عزم عليه النبى ﷺ من أمر الأسرى .

تواصت قريش أن لايعجلوا فى طلب الفداء حتى لا يتغالى المسلمون فيه ، ولكن المطلب بن أبى وداعة السهمى كان أبوه من الأسرى فخرج خفية إلى يثرب وأفدى أباه بأربعة آلاف درهم ثم أقبلت قريش بعد ذلك تطلب الفداء ، ومن لم يستطع وهو يحسن القراءة والكتابة أعطوه عشرة من غلمان المسلمين فى المدينة يعلمهم القراءة والكتابة ، وقد أنزل الله تعالى فى أمر الأسرى : ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (٣) .

زينب بنت رسول الله ﷺ تفدى أبا العاص :

بعثت زينب ابنة رسول الله ﷺ تفدى زوجها أبا العاص بن الربيع وكانت قد

(١) إبراهيم :٣٦ .

(٢) سورة نوح : ٢٦ .

(٣) سورة الأنفال : ٦٧ ، ٦٨ .

بعثت قلادة لها كانت أمها خديجة أدخلتها بها على أبا العاص حين بنى بها ، فلما رآها النبى رق لها رقة شديدة فقال : " إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا " وكان عليه السلام قد اتفق فيما بينه وبين أبى العاص على أن يفارق بينه وبين زينب لأن الإسلام فرق بينهم ، وبعد فترة خرج أبو العاص إلى الشام فى تجارة لقريش ثم أسر فذهب إلى زينب سرا واستجارها فأجارته ثم ذهب إلى قريش ورد لهم مالهم وقال : يا معشر قريش هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا جزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما . قال : إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله والله ما منعنى عن الإسلام إلا مخافة أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت .

توزيع الغنائم :

قام الرسول ﷺ بتوزيع الغنائم على المهاجرين والأنصار ومن اشترك فى القتال أو جهز له وقال تعالى : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً ﴾ [1] وقد وعد الله الأسرى الذين يعلم الله أن فى قلوبهم خيرا بأن يؤتيهم خيرا مما أخذ منه ويغفر لهم ، فقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيَ أَيْدِيكُمْ مِّنَ الأَسْرَىَ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2] .

كانت غزوة بدر فاتحة نصر وبركة على المسلمين إذ فتحت الطريق أمام الإسلام وجعلت للمسلمين هيبة وألقت الرعب فى قلوب المشركين واليهود وكانت مفتاح النصر على طول مسيرة الإسلام يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [3] أى قليلى العدد ، فكان هذا جزاء الصابرين الصادقين .

حزن أبى لهب وأم جميل لنصر المسلمين :

لم يذهب أبو لهب إلى قتال محمد فى غزوة بدر ، إذ قال وقد أخذ الرعب منه

---

(١) سورة الأنفال : ٦٩ .
(٢) سورة الأنفال : ٧٠ .
(٣) سورة آل عمران : ١٢٣ .

كل مأخذ : (إننى مريض اليوم فاذهبوا أنتم إلى قتال محمد ، وسأنتظر عودتكم بأخبار هزيمته ونصركم).

وتأتى الأخبار بانتصار محمد وأصحابه فيفزع الزوج وتثور – أبو لهب – أم جميل على الرسول الذى جاءها بالخبر وتروح تناقشه وتحاسبه وكأنه هو المسؤول عن كل شىء : (كيف يهزمكم محمد بعشرات من الرجال الفقراء الضعاف وأنتم مئات المئات من الرجال الشجعان الأغنياء ؟ كيف ؟) .

فرد عليها الرجل : (والله ما إن لقينا القوم حتى منحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا) . وتصرخ أم جميل بغيظ شديد وسخط أشد : (عجبا أيها الجبناء الرعاديد واعجبا لكم) .

فقال الرجل بلهجة قوية واثقة : (اقصرى فى اللوم يا أم جميل فقد كان مع محمد رجال بيض على خيول بلق غريبة لا نعرف لها أسماء ولم نر لها من قبل شكلا . هكذا انتصر محمد هذا الانتصار العظيم المذهل .

ولم تقصر أم جميل فى اللوم بل اندفعت تسب قريشا وتلعنها وتتهمها بأبشع صفات الجبن والخور والضعف .

واشترك زوجها فى هذه الحملة القاسية واتهم الرجال – رجال قريش – بالجبن وهو أجبن الجبناء . وهنا ضاق الرجل القادم من المعركة لقولهما وقال : (إن محمدا أقوى مما تظنون) . فصرخت أم جميل : (ماذا تعنى يا رجل ؟).

فقال الرجل : (محمد بن عبد الله قوى بالله قوى بالحق فلا تحاولوا مقاومته لأنكم المهزومون على طول الخط) .

فنظرت المرأة إليه نظرة فاحصة وقالت : (أراك تنحاز إلى جانبه) .

فقال : (الواقع أننى لم أعد أشك فى محمد أو فى دعوته ، وأنى قد أسلمت معه لله رب العالمين) .

انفجر غضب أم جميل وزمجرت ساخطة وزمجر زوجها . وكانت معركة بينهما وبين الرجل الذى كان أقوى منهما وسقط أبو لهب على الأرض مريضا .

وتوفى بعد أيام من هذا الحادث . وبقيت أم جميل تجمع الأحطاب لتحرق محمدا وأصحابه ولكنها لم تحرقهم ، بل أحرقت عقلها . إذ أصيبت بالجنون وهى ترى الانتصارات الإسلامية تتوالى نصر بعد نصر ، وترى نور الدعوة وهو ينتشر ليعم الجزيرة العربية كلها .

أسعد الأعياد :

من عظيم الصدفات وأروعها أن أول عيد يعيده المسلمون فى حياتهم العيد الذى وقع فى شوال سنة ٢ هـ بعد نصر غزوة بدر . ما أروع هذا العيد السعيد ! وما أجمله ! . ما أجمل هذا العيد الذى جاء به رب العالمين ليذهب عنهم الحزن بعد أن توج هامتهم بتاج النصر والعز ما أروع منظر المسلمين وهم خارجين من الصلاة وهم يكبرون . الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا .. وقد فاضت قلوبهم رغبة فى الله وحنينا إلى رحمته .

موقف اليهود بعد غزوة بدر الكبرى :

دبت العداوة فى قلوب اليهود بعد تحويل القبله وزادت البغضاء بعد نصر المسلمين فى غزوة بدر﴿ لَتَجِدَنّ أَشَدّ النّاسِ عَدَاوَةً لّلّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة : ٨٢] فأخذ بعضهم يكيدون للمسلمين وبدأ العداء السافر لمحمد وصحبه خوفا منهم على مصالحهم ، وخيبة آمالهم فى تحقيق أطماعهم على يديه وحقدا على المسلمين لنصرهم . فمنهم من قام بتحريض قريش عليهم والقصاص لقتلاهم ، ومنهم من قال فيهم شعرا يهجوهم، فكانت السرايا التى قامت بعد ذلك لتأديبهم والقضاء عليهم وردهم عن غيهم .

سرية عمير لقتل عصماء

" فى شهر رمضان "

بعد غزوة بدر وانتصار المسلمين فيها وعودة النبى ﷺ إلى المدينة . قتل عمير ابن عدى الخطمى عصماء بنت مروان اليهودية زوجة يزيد بن زيد الخطمى ، وكان عمير يدعى القارئ لأنه كان يؤم بنى خطمة فى الصلاة وسبب قتله لتلك

المرأة : أنها كانت تعيب الإسلام وتؤذى الرسول ﷺ وتحرض عليه وتقول الشعر وعندما حدثت معركة بدر قالت شعرا تهجو به المسلمين ، فلما سمعها عمير نذر إذا رد الله تعالى رسوله ﷺ سالما من بدر فإنه سيستأذنه فى قتلها .

استل عمير (الضرير) سيفه وذهب إليها فى جوف الليل حتى دخل عليها بيتها. وحولها نفر من ولدها نيام . فجسها بيده ونحى الصبى القريب منها مخافة أن يصيبه شىء . ثم وضع السيف على صدرها حتى أنفذه من ظهرها . ثم رجع إلى المسجد فصلى الصبح مع النبى ﷺ بالمدينة .

فقال له الرسول ﷺ : " **أقتلت ابنة مروان ؟** " .

قال : نعم يا رسول الله . فهل على فى ذلك شىء ؟ .

فقال ﷺ : " **لا ينتطح فيها عنزان** ". أى : لا يعارض فيها معارض فيأخذ بثأرها ؛ لأنها مهدورة الدم . ولقد تحقق ما أخبر به الرسول ﷺ .

ذكر ابن إسحاق وغيره : أن عميرا رجع إلى قومه بعد أن قتلها فوجد بنيها وهم خمسة رجال فى جماعة يدفنونها .

فقال لهم : أنا قتلتها فكيدونى جميعا ولا تنظرون ، فوالله لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفى هذا حتى أموت أو أقتلكم ، وقد أثنى النبى ﷺ على عمير بعد قتله تلك المرأة ، فأقبل على الناس وقال : ((**من أحب أن ينظر إلى رجل كان فى نصرة الله فلينظر إلى عمير بن عدى**)) .

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (انظروا إلى هذا الأعمى الذى بات فى طاعة الله ورسوله) !!

فقال الرسول ﷺ : " **مه يا عمر فإنه بصير** " . وسماه بالبصير لما رأى من كمال إيمانه وثبات جنانه .

سرية سالم بن عمير الأنصارى لقتل أبى عفك " فى شهر شوال "

فى شهر شوال قتل سالم بن عمير الأنصارى أبا عفك اليهودى . وكان سبب قتله أن أبا عفك هذا كان يدفع الناس على حرب رسول الله ﷺ وكان يهجو

المسلمين بأشعاره .

قال النبى ﷺ لأصحابه : " **من لى بهذا الخبيث**" ؟ .

فقال سالم بن عمير : وهو ممن شهد بدرا (على نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه) .

وفى ليلة من ليالى الصيف الحارة ، علم سالم أن أبا عفك ينام فى فناء داره، فأسرع إليه ووضع السيف فى صدره حتى نفذ فى فراشه ، فصاح أبو عفك صيحة شديدة فأقبل عليه أهله ومن هم على شاكلته فى الكفر والنفاق فأدخلوه منزله ميتا .

غزوة بنى قينقاع (ونقض اليهود العهد)

" فى شهر شوال "

بعد النصر فى غزوة بدر اغتاظ اليهود وبدت البغضاء منهم للمسلمين وأظهروا مكنون ضمائرهم ، وانتهكوا حرمة امرأة من العرب قد قدمت إلى سوق اليهود من بنى قينقاع ومعها حلية جلست إلى صائغ منهم فجعلوا يراودونها على كشف وجهها وهى تأبى فجاء يهودى من خلفها فى غفلة منها وثبت طرف ثوبها بشوكة إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها فصاحت ، فوثب أحد المسلمين إلى الصائغ اليهودى فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود [١] وهذا نقض لعهدهم مع محمد ﷺ فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وَإِمّا تَخَافَنّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىَ سَوَآءٍ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ الخَائِنِينَ ﴾ [٢] .

وقد جمع ﷺ رؤساء اليهود لإبلاغهم عواقب أعمالهم فقالوا له : (يا محمد لايغرنك ما لقيت من قومك فإنهم لا علم لهم بالحرب ولو لقيتنا لتعلمن أننا نحن الناس) .

وفى قولهم هذا تحدى سافر لمحمد وللإسلام،فأنزل الله تعالى قوله فى سورة آل عمران : ﴿ قُلْ لّلّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىَ جَهَنّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ.قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَىَ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَآءُ إِنّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأوْلِي الأبْصَارِ ﴾ [٣] .

---

(١) حياة محمد ، ص٢٧٣ .
(٢) سورة الأنفال : ٥٨ .
(٣) سورة آل عمران : ١٢ ، ١٣ .

وعند ذلك تبرأ من الحلف [١] عبادة بن الصامت أحد رؤساء الخزرج وتشبث بالحلف عبد الله بن أبى وقال : إنى أخشى الدوائر فأنزل الله فيهم سورة المائدة : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ﴾ [٢] .

سير الغزوة :

لما كشف بنو قينقاع نقاب العداوة للمسلمين وتحصنوا فى حصونهم ذهب إليهم الرسول ﷺ فى النصف الثانى من شهر شوال يحمل لواءه عمه حمزة بن عبد المطلب وخلف على المدينة أبا لبابة الأنصارى فحاصرهم خمس عشرة ليلة فأدركهم الرعب ولم يستطيعوا المقاومة فطلبوا التسليم ، والخروج من المدينة ومعهم النساء والأطفال وللمسلمين المال فقبل عليه الصلاة والسلام . وأوكل عبادة بن الصامت لخروجهم وأمهلهم ثلاث ليال . وذهبوا إلى بلدة أذرعات بالشام ولم يمض عليهم عام حتى هلكوا .

الغنائم :

وزع ﷺ الغنائم خمس وأعطى سهم ذوى القربى من بنى هاشم وبنى عبد المطلب ولم يعط بنى أخويهما عبد شمس وعبد مناف ، ولما سئل فى ذلك قال : "**إنما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شىء واحد فى الجاهلية والإسلام هكذا. وشبك بين أصابعه** " .

غزوة السويق

" فى شهر ذى الحجة "

بكت قريش قتلاها فى غزوة بدر إلا هند بنت عتبة زوج أبى سفيان ، ولقد مشت نساء من قريش إليها ذات يوم فقلن: ألا تبكين على أبيك وأخيك وعمك وأهل بيتك ؟ .

---

(١) الحلف الذى كان بين الخزرج وبينهم .

(٢) سورة المائدة : ٥١ ، ٥٢ .

فقالت : أأبكيهم فيبلغ محمد وأصحابه فيشمتوا بنا ويشمت بنا نساء بني الخزرج، لا والله حتى أثأر من محمد وأصحابه والله لو أعلم أن الحزن يذهب من قلبي لبكيت ولكن لايذهب إلا أن أرى ثأري بعيني من قتلة الأحبة ومكثت لاتقرب الدهن ولا تقرب فراش أبي سفيان وعرض الناس [١] .

أما أبو سفيان فنذر بعد بدر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا وكان ممن لم يشهد بدرا من المشركين وليبر بقسمه خرج بمائتين من أصحابه وقيل: أربعون يريد المدينة ولما قاربها أراد من اليهود من بني النضير أن يضمهم معه في حرب المسلمين فأتى سيدهم حيي بن أخطب فلم يرض مقابلته فأتى سلام بن مشكم فأذن له واجتمع به ثم خرج من عنده وأرسل رجالا من قريش إلى مكان يسمى العريض (اسم مكان خارج المدينة) وجدوا رجلا من الأنصار وحليفا له في حرث لهما فقتلوهما وحرقوا بيتين بها ، فوجد أبو سفيان أن يمينه يغزو محمد قد برت فانكفأ هاربا .

ولما علم الرسول ﷺ خرج لهم في مائتين من أصحابه في الخامس من ذي الحجة بعد أن ولى على المدينة بشير بن المنذر ليلحق بهم وقد التقوا قرب السويق ليسرعوا فأخذها المسلمون وسميت بها .

صلاة العيدين :

شرعت في هذا العام صلاة العيدين بما فيها من الأحكام .

زواج على بن أبي طالب من السيدة فاطمة :

تزوج علي رضي الله عنه من السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ وسنها خمس عشرة سنة في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة وبنى بها في ذي الحجة من نفس السنة .

نقل الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن سفيان مرفوعا إلى أنس

---

(١) حياة محمد ص ٢٧٠ .

رضى الله عنه . قال كنت عند رسول الله ﷺ فلما أفاق قال : " **يا أنس أتدرى ما جاء به جبريل عليه السلام من صاحب العرش عزّ وعلا ؟** " .

قلت : بأبى أنت وأمى ما جاءك به جبريل ؟ .

قال : " **قال لى : إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تزوج فاطمة من علـى ، فانطلق فادعو لى أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وبعدد من الأنصار** " .

قال : فانطلقت فدعوتهم فلما أخذوا مجالسهم .

قال رسول الله ﷺ: " **الحمد لله المحمـود بنعمتـه ، المعبـود بقدرتـه ، المطـاع سلطانه ، المهروب إليه من عذابه ، النافذ أمره فـى أرضـه وسمائه ، الـذى خلـق الخلق بقدرته ، وميزهم بأحكامه ، وأعزهم بدينـه ، وأكرمهـم بنبيـه ﷺ . إن اللـه جعل المصاهرة نسبا لاحقا وأمرا مفترضا ، وحكما عادلا ، وخـيرا جامعا ، وشـبح به الأراح وألزمها الأنام ، فقال عزّ وجلّ :** ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَآءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴾ (١)**. ولكل قدر أجل ، ولكل أجل كتاب** ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمّ الْكِتَابِ ﴾ (٢)**. ثـم إن اللـه تعـالى أمرنـى أن أزوج فاطمـة مـن على وأشهدكم أنى زوجت فاطمة من على ، أربعمائة مثقـال مـن الفضـة إن رضـى بذلك على السنة القائمة والفريضة الواجبة فجمع الله شملهما وبارك لهما وأطـاب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمة ، أقول قولى هـذا وأستغفر الله لى ولكم** " .

قال : وكان على رضى الله عنه غائبا فى حاجة لرسول الله ﷺ قد بعثه فيها ثم أمر لنا الرسول ﷺ بطبق فيه تمر فوضع بيـن أيدينـا فقـال : انتهـوا ... فبينمـا نحـن كذلك إذ أقبل على رضى الله عنه فتبسم إليه الرسول ﷺ .

وقال : يا علـى إن اللـه أمرنـى أن أزوجـك فاطمـة . وإنـى قـد زوجتكمـا علـى أربعمائة مثقال من الفضة .

---

(١) سورة الفرقان : ٥٤ .
(٢) سورة الرعد : ٣٩ .

فقال على : (رضيت يا رسول الله) .

ثم خر ساجدا لله فلما رفع رأسه . قال لــه الرسـول ﷺ : " **بـارك لكمـا وبـارك عليكما وأسعد جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب ....** " .

كان العام الثانى عام النصر ، إذ نصر الله نبيه فى بدر ورفع أيدى الكفار عنهم ومكن لهم فى المدينة ونصره ﷺ فى بدر هى أركان الشرك ، وألقت نتائجه الرعـب فى قلوب اليهود، فظهرت عداوتهم للمسلمين سافرة .

وانتصار محمد ﷺ فى غزوة بنى قينقاع لم تكن هذه نهايـة المطـاف ، ولكنهـا البداية وسنرى الكثير من المكائد والمضايقات .

وسيـرد الله كيـدهم إلى نحـورهم فهو ظاهر نبيه وناصر دينـه.

****

حصاد هذا العام

* إذ كان العام الأول هو عام توحيد صفوف المسلمين وعقد المصالحات والعهود بالمدينة ومن حولها وقيام الدولة الإسلامية ، ثم أذن الله للمسلمين بالقتال لحماية دعوتهم . فالعام الثانى كان عام الجهاد وكسر شوكة قريش ومن على شاكلتها ، من اليهود والمشركين والمنافقين .
* نصر المسلمين فى بدر إظهار لقوتهم وكشف ما تكنه قلوب اليهود ومساندتهم لقريش .
* **العبادات** : شرعت صلاة العيدين . صدقة الفطر . زكاة الأموال .
* تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة زاد من كره اليهود للمسلمين .
* غزوة بنى قينقاع وتطهير المدينة من هذه القبيلة اليهودية لغدرها ونقضها العهد.
* تربص قريش للمسلمين .

وفيات هذا العام :

وفيات المسلمين :

وفاة السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ وزوع عثمان بن عفان .

* **موت أبى لهب .**

لما بلغ قريش نصر المسلمين وقتل أشرافها وكبرائها تجمد الدمع فى عيونهم خوفا من فرح محمد ﷺ وصحبه .. وقد صُمَّ أبو لهب وما ت على الكفر بعد سبعة أيام من نصر المسلمين فى بدر.

من زواج هذا العام :

* زواج على – كرم الله وجهه – من السيدة فاطمة الزهراء بنت المصطفى ﷺ

****

العام الثالث الهجرى

تحريض اليهود كفار قريش للأخذ بالثأر :

لقد اشتعلت نار الكراهية والحقد والعداوة فى قلوب المشركين والمنافقين واليهود بعد غزوة بدر فأخذوا يدبرون المؤامرات والتحرشات والدسائس والاستفزازات يحرضون كفار قريش للأخذ بالثأر لقتلاهم وأخذت وفود اليهود تذهب إلى قريش تبكيهم قتلاهم من الأشراف والعظماء وتعدهم بالمساندة عند الأخذ بالثأر من محمد ﷺ وصحبه مما جعل قريش تعلن التعبئة للأخذ بالثأر والانتقام وتقول :

ولابد من يوم أغر محجل   يطول استماعى بعده للنوادب

وكان الشعراء من اليهود يقرضون الشعر الهجائى فى الرسول ﷺ وكان على رأسهم كعب بن الأشرف الذى أخذ يبث العداوة والبغض للإسلام والمسلمين منذ وصول الرسول ﷺ وصحبه إلى المدينة مهاجرا ، ثم زاد من هجاء الرسول ﷺ بعد غزوة بدر .

وقد ساق ابن إسحاق ، وابن كثير قصة قتل كعب بن الأشرف وكيف كان يحرض ضد المسلمين . ما ملخصه : ... (كان من حديث كعب بن الأشرف أنه لما أصيب أصحاب بدر وتيقن عدو الله ابن الأشرف الخبر خرج حتى قدم مكة . فنزل على المطلب بن أبى وداعة السهمى ، وعنده عاتكة بنت أبى العاص فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرض على رسول الله ﷺ وينشد الأشعار ويبكى أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا فى بدر.

فقال : قصيدة منها قوله :

طحنت رحا بدر لمهلك أهله   ولمثل بدر تستهل وتدمع

قتلت سراة الناس حول حيافهم   لاتقعدوا إن الملوك تصرع

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى أذاهم.

فقال رسول الله ﷺ : **"من لابن الأشرف ؟ "** .

سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب :

" فى شهر ربيع الأول " (١)

كان كعب بن الأشرف طويلا جسيما ذا بطن وهامة شاعرا مجيدا ساد يهود الحجاز لكثرة ماله . وكان يعطى أحبارهم ، فلما قدم الرسول ﷺ المدينة جاءه أحبار اليهود من بنى قينقاع وبنى قريظة وغيرهم لأخذ صلته على عادتهم .

فقال لهم : ما عندكم من أمر هذا الرجل ؟ .

قالوا : هو الذى كنا ننتظر ما أنكرنا من نبوته شيئا .

فقال لهم : قد حرمتم كثيرا من الخير ، ارجعوا إلى أهلكم فإن الحقوق فى مالى كثيرة فرجعوا خائبين ، ثم عادوا له .

وقالوا : إنا تعجلنا فيما أخبرناك به أولا ولما استوثقنا علمنا أننا أخطأنا وليس هو النبى المنتظر فرضى عنهم ووصلهم وأغدق عليهم .

قال الشيخ الزرقانى (٢) رحمه الله : (كان كعب بن الأشرف قد عاهد النبى ﷺ قبل ألا يعين عليه أحدا فنقض العهد ، وسب النبى ﷺ وسب أصحابه ، وكان من عداوته أنه لما قدم البشيران : زيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة بقتل من قتل من قريش ببدر ، وأسر من أسر منهم . قال كعب : أحق هذا ؟ أترون محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان ؟، فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها ، فلما أيقن الخبر ورأى الأسرى مقرنين ، كبت وذلّ ، وخرج إلى قريش يبكى قتلاهم ، ويحرضهم على قتال النبى ﷺ ثم رجع إلى المدينة .

وعندما قال المصطفى ﷺ : "**من لكعب بن الأشرف ؟** " فإنه قد آذى الله ورسوله .

فقام محمد بن مسلمة الأنصارى فقال : أنا : يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟.

---

(١) وقيل : إنها كانت فى شهر رمضان من نفس السنة .

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقانى ج٢ ص٨ بتصرف .

قال : " **نعم** " .

قال : فأذن لى أن أقول شيئا .

قال : " **قل** " .... فأتاه محمد بن مسلمة .

فقال : إن هذا الرجل [(١)] قد سألنا صدقة وإنه قد عنانا وإنى قد أتيتك أستسلفك .

قال كعب : وأيضا والله لتملنه .

قال : إنا قد اتبعناه فلا تحب أن ندعه حتى تنظر إلى أى شىء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين .

فقال كعب : نعم أرهنونى .

قال : أى شىء تريد ؟ .

قال : أرهنونى نساءكم .

قال : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟ .

قال : أرهنونى أبناءكم .

قال : كيف نرهنك أبناءنا؟ فيسب أحدهم فيقال له: رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللأمة (أى السلاح) فواعده أن يأتيه . فجاءه ليلا هو وأبو نائلة (وهو أخو كعب فى الرضاعة) ويأتيه فجأة ليلا [(٢)] وناداه محمد بن مسلمة ومعه أربعة من قومه فأراد أن ينزل .

فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة وأنت رجل تحارب ؟ .

فقال : إنما هو محمد بن مسلمة ، وأخى أبو نائلة فأبى إلا أن يخرج .

قال محمد لمن معه : إذا جاءنى فإنه آخذ بشعره فأشمه فإذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فاضربوه .

---

(١) أى النبى ﷺ .
(٢) ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٣ هـ .

فنزل إليهم كعب متوشحا سيفه وهو ينفخ منه ريح المسك .

فقال محمد : ما رأيت كاليوم ريحا أطيب ، أتأذن لى أن أشم ؟ .

قال : نعم .

فلما استمكن منه قال دونكم [١] فاقتلوه ، فقتلوه ، ثم أتوا النبى ﷺ فأخبروه، وأراح الله المسلمين من شر هذا الحاقد .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة [٢] في جمادى الآخرة سنة ٣ هـ :

ترامت الأخبار إلى الرسول ﷺ بأن قريشا قد أرسلت تجارة إلى الشام عن طريق العراق ، بعد أن أغلق المسلمون فى وجوههم طريق المدينة ، بعد أن تم للمسلمين النصر فى غزوة بدر .

وقد انتدبت قريش لحماية تلك التجارة الواسعة جمعا من زعماء مكة منهم أبو سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، وحويطب بن عبد العزى ، وغيرهم وكان معهم مال كثير وأوان من الفضة .

وكان أبو سفيان ومن معه قد استأجروا (فرات بن حيان العجلى) لكى يرشدهم إلى طريق يأمنون فيه جانب المسلمين، فسار بهم (فرات) على ذات عرق من ناحية العراق ، وعندما تيقن النبى ﷺ من صدق هذه الأخبار ، استقر رأيه على أن يرسل سرية من أصحابه لمراقبة تجارة قريش واغتنامها .

وقد اختار ﷺ لهذه المهمة مائة من أصحابه بقيادة زيد بن حارثة . وقد قامت هذه السرية بوظيفتها خير قيام ، فقد التقت بتجارة قريش هذه بالقردة من ناحية نجد فمزقت شمل رجالها ، وأجبرتهم على الفرار ، ثم عادت بالتجارة إلى المدينة .

فخمسها الرسول - ﷺ - فبلغ الخمس فيها عشرين ألف درهم ، وقسم ما بقى على أهل السرية .

---

(١) أبو نائلة ، عبادة بن بشر ، والحارث بن أوس ، وأبا عيسى بن جبر .

(٢) اسم مكان بناحية نجد " بفتح القاف وسكون الراء وفتح الدال " .

وأسر المسلمون (فرات بن حيان) الذى كان يدل المشركين على الطريق فلما وقف بين يدى النبى ﷺ قال له : " إن تسلم نتركك " . فأسلم فتركه النبى ﷺ [١] .

غزوة غطفان

" فى شهر ربيع الأول "

لقد بلغ الرسول ﷺ تجمع بنى ثعلبة ومحارب من غطفان برياسة رئيسهم واسمه (دعثور) يريدون الغارة على المدينة ، فخرج لهم النبى ﷺ على رأس أربعمائة وخمسين رجلا لقتالهم لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول وقد خلف على المدينة عثمان بن عفان ولما سمعوا بسير الرسول ﷺ هربوا إلى رؤوس الجبال ، ولم يزل المسلمون سائرين حتى وصلوا إلى ماء يسمى ذا أمر فعسكروا به، وحدث أن رسول الله ﷺ كان مضطجعا تحت شجرة وصحبه متفرقون فأبصره دعثور فأقبل إليه بسيفه حتى وقف على رأسه وقال :من يمنعك منى الآن يا محمد؟.

قال له محمد ﷺ : " **الله ، الله** " .

فأدركت الرجل هيبة ورهبة ورعب وارتعد فسقط السيف من يده فتناوله ﷺ . وقال لدعثور : " **من يمنعك منى؟** " .

قال دعثور : لاأحد فعفا عنه وأسلم دعثور ، ودعا قومه للإسلام .

غزوة نجران

" فى اثنين من جمادى الأولى "

علم رسول الله ﷺ أن جمعا من بنى سليم يريدون الغارة على المدينة. فخرج لهم فى ثلاثمائة من أصحابه فى السادس من جمادى الأولى ، ولما بلغ نجران [٢] فروا ، وتفرقوا فلم يلق كيدا (أى قتالا) فرجع عليه الصلاة والسلام إلى المدينة هو وصحبه فى أمان الله .

---

(١) سيرة ابن هشام ج٢ ص٢١٠ .

(٢) نجران مكان قرب المدينة .

غزوة أحد

" فى شهر شوال سنة ٦٢٥م "

لم تنم قريش ولم تغفل عن ثأرهم يوم بدر ولم تغنها ما أصابها فى غزوة السويق شيئا ، بل قد زادها حقدا سرية زيد بن حارثة التى أخذت عيرها وسدت طريق التجارة فى وجهها، من ناحية الساحل إلى الشام ثم الطريق إلى العراق واكتشفت فشل خطتهم بتحويل طريق التجارة للعراق والتصدى لهم فيه أيضا ، وبذلك أصبحت قريش فى حصار اقتصادى أصاب سمعتها كما أصاب سمعتها العسكرية بهزيمتها فى غزوة بدر .

من أجل هذا فقد اجتمعت قريش ورصدت كل الأموال التى فر بها أبو سفيان بالعير التى كانت سببا فى حرب بدر والتى جلبت عليهم العار لحرب محمد ﷺ والذى بلغت قيمتها نحو خمسين ألف دينار .

وقد جمعوا نحو ثلاثة آلاف رجل ومعهم الأحباش وحلفاؤهم من بنى المصطلق وبنى الهون بن خزيمة ومعهم نساء قريش على رأسهم هند بنت عتبة زوج أبى سفيان وهى أشدهن حرقة وسار هذا الجمع حتى نزلوا مقابل المدينة بذى الحليفة .

وصول الخبر إلى الرسول ﷺ :

أرسل العباس عم الرسول كتابا من قريش يصف فيه ماتم جمعه فى قريش من رجال وعتاد مع رجل غفارى بدافع من حبه لرسول الله ﷺ ولم يخرج العباس إلى الحرب مع قريش محتجا لما أصابه يوم بدر إذ إنه اشترك فى الحرب ضد رسول الله ﷺ وأسر .

المشورة فى أمر قريش :

جمع رسول الله ﷺ أصحابه بعد أن استوثق من الخبر وأخبرهم بما قامت به قريش .

وقال : " **إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا**

بشر مقام ، وإن دخلوا علينا قاتلناهم " .

فكان مع رأيه شيوخ المهاجرين والأنصار ، ورأى ذلك أيضا عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين .

أما الأحداث وخصوصا من لم يشهد بدرا أشاروا عليه بالخروج وكان معهم حمزة بن عبد المطلب ، وما زال هؤلاء بالرسول حتى تبع رأيهم لأنهم الأكثر عددا والأقوى جلدا .

الإعداد للغزوة :

صلى رسول الله ﷺ الجمعة بالناس يوم عشر خلون من شوال وحضهم فى خطبتها على الثبات والصبر . وقال لهم :" **لكم النصر ما صبرتم** ".

ثم دخل حجرته ولبس عدته ولبس درعا فوق درع وتقلد السيف ولما رأى ذوو الرأى من الأنصار أن الأحداث استكرهوا الرسول ﷺ على الخروج فلما خرج الرسول عليه السلام .

قالوا : يا رسول الله نتبع رأيك .

فقال : "**ما كان لنبى يلبس سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه**".

ثم عقد الألوية فأعطى لواء المهاجرين لمصعب بن عمير ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ، ولواء الأوس لأسيد بن الخضير . وخرج من المدينة بألف رجل، فلما وصلوا رأس الثنية نظر ﷺ إلى كتيبة كبيرة فسأل عنها فقيل : هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبى من اليهود .

فقال : " **إنا لا نستعين بكافر على مشرك** " وأمر بردهم لما لهم من خيانة ثم بات – ﷺ – ليلة السبت وكان حرس الجيش محمد بن مسلمة وحرسه الخاص ذكوان بن قيس . وفى السحر سار الجيش حتى وصل الشوط [١] بين أحد والمدينة ورجع عبد الله بن أبى بثلاثمائة من أصحابه وقال : (عصانى وأطاع الولدان فعلام نقتل أنفسنا ؟) فتبعهم عبد الله بن عمرو بن هشام والد جابر وقال: يا قوم أذكركم

---

(١) بستان .

الله ولا تخذلوا قومكم ونبيكم .

قالوا : لو نعلم قتالا لاتبعناكم .

وهمت طائفتان من المسلمين أن تفشلا وهما بنو حارثة من الخزرج وبنو سلمة من الأوس فعصمهما الله وقد افترق المسلمون فيما يفعلون مع المنافقين فأنزل الله سورة النساء : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾ (١)

سار جيش المسلمين حتى نزل الشعب (٢) وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة.

فى ميدان القتال :

نزلت قريش بطن الوادى من قبل أحد وكان على ميمنتهم خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبى جهل ، وعلى المشاة صفوان بن أمية وحمل اللواء عبد العزى طلحة بن أبى طلحة . وأخذت نساء قريش ومعهن هند بنت عتبة زوج أبى سفيان يمشين بين الصفوف وينشدن :

ويها فتى عبد الدار ويها حماة الدار

ضربا بكل بتار

ويقلن :

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق

لو تدبروا نفارق فراق غير وامق

وجعل الرسول ﷺ الزبير بن العوام بإيزاء خالد وجعل آخرين أمام الباقين واستحضر الرماة وكانوا خمسين رجلا يرأسهم عبد الله بن جبير الأنصارى فأوقفهم خلف الجيش على الجبل .

وقال لهم : " **إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تبرحوا** " .

---

(١) سورة النساء : ٨٨ .

(٢) جبل شمالى المدينة الشرقى – حياة محمد ص٣٨٦ .

ثم عدل ﷺ الصفوف وكان فيما قال: " **ألقى فى قلبى الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لاينقص منه شىء وإن استبطأوه أن تطلبوه بمعصية الله والمؤمنين من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى له سائر جسده** " .

سير القتال :

ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج رجل من صفوف المشركين فبرز له الزبير فقتله ثم حمل اللواء طلحة بن أبى طلحة فقتله على ، فحمل اللواء أخوه عثمان فقتله حمزة فحمل أخ لهما اسمه أبو سعيد فرماه سعد بن أبى وقاص بسهم فقضى عليه فتناوب اللواء بعده أربعة من أولاد طلحة بن أبى طلحة وكلهم يقتلون وخرج من صفوف المشركين عبد الرحمن بن أبى بكر (وكان على دين قريش) فأراد أبوه أن يبرز له فقال عليه الصلاة والسلام : " **متعنا بنفسك يا أبا بكر** "

ثم حملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات وفى كلها كان ينضحهم المسلمون بالنبل فيتقهقرون ، ولما التقت الصفوف وحميت الحرب ابتدأ نساء المشركين يضربن بالدفوف وينشدن الأشعار تهييجا لعواطف الرجال وكان ﷺ كلما سمع نشيد النساء يقول : " **اللهم بك أجول وبك أصول وفيك أقاتل حسبى الله ونعم الوكيل** " .

وفى هذه المعمعة قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ سيد الشهداء ، غافله غلام حبشى اسمه وحشىّ غلام جبير بن مطعم وهو يجول فى الصفوف ، وضربه بحربة لم تخطئ ثنايا بطنه .

وقد ولى المشركون وصار نسائهم يبكين ، وتبعهم المسلمون يجمعون الغنائم والأسلاب ، فلما رأى الرماة المسلمون الذين يحمون ظهور إخوانهم المسلمين فوق الجبل . قالوا : ما لنا فى الوقوف من حاجة . ونسوا أمر رسول الله ﷺ بعدم مبارحتهم أماكنهم سواء نصر المسلمون أو غلبوا فذكرهم رئيسهم به فلم يلتفتوا وانطلقوا يجمعون الغنائم فثبت وثبت معه قليل منهم . فلما رأى خالد بن الوليد خلو

الجبل من الرماة ، أتى المسلمين من ورائهم وهم مشتغلون بجمع الغنائم وقتل من ثبت من الرماة . فلما رأى المسلمون ذلك دهشوا وتركوا ما بأيديهم واختلطوا مع المشركين بغير شعور حتى صار يضرب بعضهم بعضا .

وقتل المسلمون أخا لهم هو خبيل بن جابر أبا حذيفة وهم لايعرفونه . ورفعت إحدى نساء قريش اللواء فالتفوا حوله . وأشاع رجل من المشركين يدعى قميئة قتل محمد ﷺ فدخل الفشل فى قلوب المسلمين ، حتى قال بعضهم : علام نقاتل إذا كان محمد قد قتل ؟.

وقالت جماعة من المسلمين: إذا كان محمد قد قتل فقاتلوا عن دينكم . وكان من نتيجة ذلك أن انهزم جماعة من المسلمين وثبت رسول الله ﷺ ومن معه .

منهم أبو طلحة الأنصارى ، وسعد بن أبى وقاص ، وزيادة بن الحارث وأبو دجانة [1] رضى الله عنهم وقد استماتوا فى الدفاع عن الرسول ﷺ .

بطولات المسلمين :

هذه أم عمارة الأنصارية كانت تدور بالماء على المسلمين المجاهدين ،فلما انهزم المسلمون ألقت ما فى يدها وأخذت سيفا وقامت تدافع عن الرسول ﷺ بالسيف وترمى بالقوس حتى جرحت ، وهذا هو سعد بن أبى وقاص بجانب الرسول ﷺ يرمى بالنبل وترس أبو دجانة بنفسه رسول الله وقاتلوا قتالا منقطع النظير. وقد أصابه ﷺ شدائد عظيمة تحملها بما أعطاه الله من الصبر والثبات فقد أقبل أبى بن خلف يريد قتله فأخذ ﷺ الحربة ممن كانوا معه وقال : خلوا طريقه فما قرب منه ضربه ضربة قاتلة فمات عليه لعنة الله . ولم يقتل الرسول بعده أحدا .

وخدشت ركبتاه ﷺ ورماه عتبة بن أبى وقاص بحجر فكسر رباعيته فتبعه

---

(١) فأخرج عصابة حمراء ، فعصب بها رأسه فقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة عصابة الموت. فخرج وهو يقول :

أنا الذى عاهدنى خليلى	ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر فى الكيول	أضرب بسيف الله والرسول

حاطب بن أبى بلتعة فقتله ، وشج وجهه ﷺ عبد الله بن شهاب الزهرى ، وجرحت وجنتاه بسبب دخول حلقتى المغفر فيهما من ضربة ضربه بها ابن قميئة عليه غضب الله والناس أجمعين ، فجاء أبو عبيدة فعالج الحلقتين حتى نزعهما فكسرت فى ذلك ثنيتاه وقال حينئذ ﷺ : " **كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ؟ !** " فأنزل الله فى سورة آل عمران : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١) .

وقد أصيب المسلمون الذين كانوا يحيطون به ، إصابات بالغة منهم كعب بن مالك وأصيب بسبعة عشر جرحا .

قتلى المسلمين :

كانوا سبعا وسبعين منهم ستة من المهاجرين والباقى من الأنصار .

ومثلت قريش بقتلى أحد حتى أن هند زوجة أبى سفيان بقرت بطن حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ وأخذت كبده لتأكلها فلاكتها ثم رمتها ... وفعلوا قريبا من ذلك بإخوانه الشهداء . وحزن الرسول ﷺ على حمزة حزنا شديدا .

من قصص الأبطال فى أحد :

يحدثنا التاريخ أن عبد الله بن جحش قبل أن يخوض غمار معركة أحد انتحى بصديقه سعد بن أبى وقاص وقال له : هلم فلندع الله وليذكر كل واحد منا حاجته فى دعائه ، وليؤمن الآخر على دعاء أخيه ... ورفع سعد بن أبى وقاص يديه إلى السماء وقال :

(يا رب إذا لقيت العدو غدا فألقنى رجلا شديدا بأسه ، شديدا حرده – أى غضبه– أقاتله فيك ويقاتلنى ، ثم ارزقنى عليه الظفر حتى أقتله وآخذ سلبه) .

جاء دور عبد الله بن جحش فى الدعاء فابتهل إلى الله. وقال : (اللهم ارزقنى غدا رجلا شديدا بأسه ، شديدا حرده – أى غضبه – أقاتله فيك فيقتلنى. ثم يأخذنى فيجدع – أى يقطع – أنفى وأذنى ، فإذا لقيتك قلت لى : يا عبد الله فيم جدع أنفك

---

(١) سورة آل عمران : ١٢٨ .

وأذناك ؟ . فأقول : فيك يا رب . وفى رسولك . فتقول لى : صدقت يا عبد الله) .

وقد تحققت دعوة عبد الله فقد سقط شهيدا فى أحد بعد أن جاهد فى سبيل الله حق الجهاد . ومثل المشركون بجسده فقطعوا أنفه ، وأذنيه .

وفيه قال صديقه سعد : (كانت دعوة عبد الله خيرا من دعوتى ، لقد رأيته آخر النهار من أحد وأن أذنه وأنفه معلقتان فى خيط) .

ومن هنا أطلق عليه لقب المجدع ـ أى المقطع الأطراف ـ .

ليس فى أحد هزيمة لأحد :

لما مالت كفة المسلمين صعد أبى سفيان على الجبل ونادى بأعلى صوته وقال: (إن الحرب سجال يوم بيوم بدر وموعدكم بدر العام المقبل ثم قال : إنكم ستجدون فى قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى) .

ثم إن المشركين انسحبوا إلى مكة ولم يعرجوا على المدينة ليحتلوها ويقضوا على ما تبقى فيها من قوة المسلمين ويضعوا فيها قوات لهم تعمل على استمرار إخضاعها لهم – كالمتبع فى مثل هذه الحروب – ، كما أن المشركين انسحبوا وفروا عندما علموا أن رسول الله ﷺ قد لحق بهم وتبعهم خوفا من أن يرجعوا إلى المدينة ولكنهم فروا وكانت بعدها غزوة حمراء الأسد .

وهذا دليل على أن غزوة أحد ليست هزيمة ؛ لأن المعركة لم تنته بعد ، وقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر وموعدكم بدرالعام المقبل .

ثم فر هو ومن معه هاربا دون الرجوع إلى المدينة لاحتلالها والقضاء على الدولة المحمدية .

أحد واليهود والمنافقون :

لما رجع المسلمون إلى المدينة سخر منهم اليهود والمنافقون وأظهروا ما فى قلوبهم من البغضاء والكراهية . وقالوا : لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وقد

ذكرت وقعة أحد فى سورة آل عمران ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ..... ﴾ (١).

غزوة حمراء الأسد فى شوال

بعد غزوة أحد رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة مباشرة خشية أن تكون قريش قد دخلتها . ولما اطمأن لعدم وصول أحد من قريش إليها نادى أصحابه بالخروج خلف العدو مخافة أن يرجعوا إلى المدينة خلفهم وأن لا يخرج معه إلا من كانوا بالأمس فاستجابوا لله ولرسوله من بعد ما أصابهم الفزع ، فضمدوا جراحاتهم ، واللواء ما زال معقودا (لم يحل بعد غزوة أحد) فأعطاه على بن أبى طالب وولى على المدينة ابن أم مكتوم ، ثم سار الجيش حتى وصل حمراء الأسد (٢) .

فلما بلغ المشركون خروج الرسول ﷺ فى إثرهم ظنوا أنه حضر ومعه من لم يحضر بالأمس فألقى الله فى قلوبهم الرعب وجدوا فى سيرهم إلى مكة . وظفر ﷺ بأبى عزة الشاعر ، الذى من عليه فى غزوة بدر حين تعهد ألا يقول شعرا فى المسلمين فأمر بقتله .

فقال : (يا محمد أقلتنى وامنن على ودعنى لبناتى وأعطيك عهدا أن لا أعود لمثل ما فعلت) .

فقال ﷺ : " **لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول: خدعت محمدا مرتين . لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين** " . وأمر زيدا بضرب عنقه .

تحريم الخمر :

* حرمت الخمر وكان تحريمها بالتدريج فأول ما أنزل فيها قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾(٣).
* ولما شربها بعض المسلمين وخلط فى القرآن حرمت الصلاة للسكران ، فقال

(١) سورة آل عمران : ١٥٢ .
(٢) مكان على بعد ثمانية أميال من المدينة طريق قريش .
(٣) سورة البقرة : ٢١٩ .

تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (١)

* ولما حدث من شربها اعتداء بعض المسلمين على إخوانهم حرمت قطعيا بقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (٢) .

وقد أجاب المسلمون عند ذلك بقولهم : انتهينا يا رب .

****

(١) سورة النساء : ٤٣

(٢) سورة المائدة : ٩٠ ، ٩١ .

حصاد هذا العام

*** من مواليد هذا العام**

الحسن بن على بن أبى طالب " فى شهر رمضان " فى منتصف شهر رمضان من هذا العام ولد الحسن - رضى الله عنه - وهو أول أولاد على وفاطمة - رضى الله عنهما - .

روى مرفوعا إلى على - رضى الله عنه - قال : (لما حضرت ولادة فاطمة قال رسول الله ﷺ لأسماء بنت عميس وأم سلمه - رضى الله عنهما - " **أحضرا فاطمة فإذا وضع ولدها واستهل صارخا فأذنا فى أذنه اليمنى وأقيما فى أذنه اليسرى فإنه لا يفعل ذلك بمثله إلا عصم من الشيطان . ولا تحدثا شيئاً حتى آتيكما** " .

فلما ولد فعلتا ذلك وأتى الرسول ﷺ فسره - أى: قطع سرته - ولبأه بريقه وقال: " **اللهم إنى أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم** " .

فلما كان اليوم السابع من مولده قال رسول الله ﷺ : " **ما سميتموه ؟** " .

قالوا : حربا .

قال ﷺ : " **بل سموه حسنا** " .

وعق عنه النبى ﷺ يوم سابع ميلاده بكبشين أملحين وحلق رأسه وتصدق بزنة الشعر ثم طلا رأسه بيده المباركة بالخلوق وختنه .

*** من زواج هذا العام :**

* زوج ﷺ بنته أم كلثوم لعثمان بن عفان ، رضى الله عنهما بعد أن ماتت رقية أختها فى العام الماضى ؛ ولذلك كان يلقب عثمان بن عفان بذى النورين.

* تزوج عليه السلام من حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

* كما تزوج ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية . وكانت فى الجاهلية تدعى أم المساكين لرأفتها وإحسانها إلى اليتيم .

وبهذة الزيجات استطاع الرسول ﷺ أن يربط بينه وبين أفراد حكومته ووزراء دولته برباط النسب مع رباط الدين الذى لا ينفصم .

* **من تشريع هذا العام :**

* **تحريم شرب الخمر .**

* إذا كانت غزوة بدر قد أظهرت حقد اليهود ضد النبى ﷺ فإن غزوة أحد أظهرت موقف المنافقين منه بانسحابهم من غزوة أحد .

* كما أن ما حدث من مخالفة الرماة لأمر رسول الله ﷺ ورد فعله على المسلمين والمجاهدين فى أرض الجهاد فى أحد ودرس هام يدفع المؤمنين إلى اتباع أوامره والبعد عما ما نهى عنه لتستقيم الحياة فى الدنيا .

* كان العام الثالث الهجرى عام اختبار لكل الأطراف وإظهار الأعداء على حقيقتهم وسقوط القناع عن وجه المنافقين . وإعطاء درس للمسلمين على مر العصور بضرورة اتباع المنهج وما أمر الله به ورسوله حتى نتجنب الخطأ والزلل .

* **وفيات هذا العام :**

* **أولا وفيات المسلمين :**

فى غزوة أحد استشهد من المسلمين حوالى سبعا وسبعين منهم ستة من المهاجرين والباقى من الأنصار نذكر منهم .

* أسد الله (حمزة بن عبد المطلب) ، على يد وحشى غلام مطعم بن جبير مأجورا من هند بنت عتبة زوج أبى سفيان بن حرب .

* خبيل بن جابر قتله المسلمون خطأ وقت اختلاط المسلمين بالمشركين فى المعركة.

* **وفيات المشركين :**

* فى غزوة أحد قتل منهم الكثير ومنهم من قتل أثناء المبارزة فردا لفرد قبيل التحام الجيشان منهم :

* طلحة بن أبى طلحة ، وأخيه عثمان ، وأخيه أبو سعيد ، وأخ رابع لهم ، وفى المعركة قتل عتبة بن أبى وقاص ، وأبى بن خلف قتله ﷺ دفاعا عن نفسه .

العام الرابع الهجرى

العرب والمشركون بعد غزوة أحد

أحدثت غزوة أحد ردود فعل فى أنحاء الجزيرة العربية ، فقد شعرت قريش بالنصر فى أحد بعد هزيمتها فى بدر ، وشعرت بأنها استعادت هيبتها بين القبائل العربية .

واعتبر أبو سفيان أنه هو الذى رد كرامة قريش رغم هروبه بعد الغزوة وصمود جيش محمد ﷺ ومتابعته لهم ثلاثة أيام متتابعة من غير أن يتجرأ على الرجوع إليهم .

كما شعرت الأعراب الذين كانوا يخافون بأس محمد ﷺ بالاطمئنان من بعد رعب .

وفرح المشركون وهلل اليهود وأصبح موقف المسلمين دقيقا للغاية . فكان على الرسول ﷺ أن يقف من أخبار أهل مكة والمدينة والعرب جميعا . ويعمل على هدم صرح أحلامهم وأطماعهم وأن نور الهدى ما زال يملأ الكون

سرية أبى سلمة بن عبد الأسد

اعتقد بعض الأعراب أن محمدا وأصحابه لا يزالون متأثرين مما لحق بهم فى أحد . وأن عزيمتهم قد وهنت وأصابهم الضعف حتى أن طلحة وسلمة ابنى خويلد الأسدى يدعوان قومهما بنى أسد لحربه عليه الصلاة والسلام والمسلمين [١] .

وقد أبلغ رجل من بنى أسد الرسول ﷺ بهذا الأمر .

فدعا النبى ﷺ أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى وعقد له لواء وجعله أميرا على مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار منهم : أبو عبيدة ، وسعد بن أبى وقاص ، وأسيد بن خضر ، وأبو نائلة وغيرهم .

---

(١) نور اليقين ص١٤٥ – المرحوم الشيخ محمد الخضرى ، كما حدثت هذه السرية فى مطلع هذا العام .

ثم قال له : اخرج بهذه السرية فقد استعملتك عليها وسر حتى تلقى أرض بنى أسد فأغر عليهم قبل أن تتلاقى عليك جموعهم . (وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرا). فلبى أبو سلمة الأمر وسارمسرعا إليهم ، واستعمل فى سيره إليهم الطرق غيرالمألوفة حتى يفاجئهم فى عقر دارهم دون أن يعلموا به ، فلما انتهى إلى أرضهم قسم سريته ثلاثة أقسام ثم شن الغارة على بنى أسد فمزق شملهم وأجبرهم على التفرق فى الجبال تاركين إبلهم وأغنامهم فأخذ ذلك كله أبو سلمة [١] ومن معه بدون قتال يذكر ، وأسر منهم ثلاثة مماليك، ثم قفل راجعا إلى المدينة ومعه تلك الغنائم بعد خروجه منها بعشرة أيام .

وكان لهذه السرية أثرها فى نفوس المسلمين ردت هيبتهم وشيئا مما ضيعته غزوة أحد .

سرية عبد الله إلى سفيان بن خالد

" فى شهر المحرم "

بلغ النبى ﷺ أن سفيان بن خالد نبيح الهذلى يقيم بعرنة [٢] وأنه يجمع الجموع لحرب المسلمين .

فاستدعى النبى ﷺ عبد الله بن أنيس الجهنى . فقال له : "**إنه قد بلغنى أن سفيان بن نبيح الهذلى يجمع لى الناس ليغزونى،وهو بنخلة أو بعرنة فأته فاقتله**".

قال عبد الله : فقلت : يا رسول الله انعته لى حتى أعرفه .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : " **إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة** " [٣] . (أى : خفته وهبته).

قال عبد الله : وكنت لا أهاب الرجال . فقلت : يا رسول الله ما فرقت من شىء قط .

---

(١) كان أبو سلمة جرح فى عضده فى أحد ، ولما شفى قام بهذه السرية ، ولما عاد منها انتكس جرحه فمات وهو من السابقين وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة .

(٢) اسم موضع قريب من عرفات .

(٣) سيرة ابن هشام ج٤ ص٢٦٣ .

فقال : " **آية ما بينك وبينه ذلك** " .

قال : فخرجت متوشحا سيفى ، واستأذنت رسول الله ﷺ . أن أقول فأذن لى .

ثم قال : " **انتسب إلى خزاعة** " .

قال عبد الله : فخرجت أعتزى إلى خزاعة حتى إذا كنت ببطن عرنة لقيته يمشى وراءه الأحابيش ، وهو فى ظعن له يرتاد لهن منزلا فعرفته بنعت رسول الله ﷺ له وشعرت بالخوف منه فقلت : صدق رسول الله .

قال عبد الله : وكان وقت العصر قد دخل حين رأيته فخشيت أن تكون بينى وبينه محاولة تشغلنى عن الصلاة فصليت وأنا أمشى نحوه أومئ إيماء برأسى فلما انتهيت إليه قال : ممن الرجل ؟ .

فقلت : رجل من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد لأكون معك .

قال : أجل إنى لأجمع له .

قال عبد الله : فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثى وأنشدته .

وقلت : عجبا لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث (فارق الآباء وسفه أحلامهم) .

قال : إنه لم يلق أحدا يشبهنى ، وهو يتوكأ على عصا يهد الأرض حتى انتهى إلى خبائه . وتفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه وهم يطيفون به .

فقال : هلم يا أخا خزاعة . فدنوت منه .

فقال : اجلس .

قال عبد الله : فجلست منه حتى هدأ الناس وناموا اغترته فقتلته وأخذت رأسه ، ثم خرجت وتركت ظعائنه منكبات عليه ، فصعدت جبلا ثم دخلت غارا فيه وأقبل رجل معه إداوة ضخمة ومخلاة فى يده وكان حافيا فوضع أدواته ونعله وجلس يبول قريبا من فم الغار ، ثم قال لأصحابه : ليس فى الغار أحد فانصرفوا راجعين [(١)] .

قال عبد الله : ثم خرجت مسرعا فكنت أسير الليل وأتوارى النهار خوفا من

---

(١) شرح المذاهب اللدنية للزرقانى ج٢ ص٦٤ .

الطلب حتى قدمت المدينة ، فوجدت رسول الله ﷺ فى المسجد فلما رآنى قال: "**أفلح الوجه**" .

قلت : أفلح وجهك يا رسول الله . ثم وضعت الرأس بين يديه وأخبرته خبرى .

ثم قام رسول الله ﷺ فأدخلنى بيته فأعطانى عصا وقال : " **امسك هذه عندك ياعبد الله بن أنيس** " .

قال عبد الله : فخرجت بها على الناس .

فقالوا : ما هذه العصا ؟ .

قلت : رسول الله ﷺ أعطانيها وأمرنى أن أمسكها .

قالوا : أولا ترجع إلى رسول الله فتسأله عن ذلك ؟ .

فرجعت إليه فقلت : يا رسول الله لم أعطيتنى هذه العصا ؟

فقال ﷺ : " **هى آية . أى علامة . بينى وبينك يوم القيامة** " .

قال ابن إسحاق : فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى إذا حضرته الوفاة أوصى أهله أن يدرجوها فى كفنه ، فضمت فى كفنه ثم دفنا جميعا .

وكانت غيبته عن المدينة ثمانى عشرة ليلة ، ثم قدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم .

اشترك عبد الله فى كثير من الغزوات والسرايا ومن الصحابه الذين رووا الكثير من الأحاديث النبوية .

سرية الرجيع ٦٢٥م [١]

" فى شهر صفر "

أقبل رهط من عضل والقارة [٢] إلى رسول الله ﷺ فقالوا :يا رسول الله إن فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلمونا

---

(١) نور اليقين ص١٤٦ لفضيله الشيخ محمد الخضرى .

(٢) بطن من قبيلة بنى الهون بن خزيمة .

شرائع الإسلام , فبعث رسول الله ﷺ معهم ستة [١]من أصحابه ليقوموا بمهمة تفقيههم في دينهم ، وتعليمهم شرائع الإسلام وليكونوا فى الوقت نفسه عيونا على قريش يرصدون له تحركاتها المريبة ضد المسلمين ليبلغوها إلى النبى ﷺ حتى يأخذ حذره منهم .

وهؤلاء الستة هم : مرثد بن أبى مرثد الغنوى ، وخالد بن البكير الليثى ، وعاصم بن ثابت بن أبى الأفلح ، وخبيب بن عدى ، وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت . وقيل : كان أميرهم مرثد بن أبى مرثد.

خرج عاصم وأصحابه مع القوم فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار . حتى إذا كانوا على الرجيع [٢] غدروا بهم ، ودلوا عليهم هزيلا قوم سفيان بن خالد الهزلى الذى لقى حتفه على يد عبد الله بن أنيس .

فهرع إليهم ما يقرب من مائتى رام من قبيلة هذيل ، وفوجئ عاصم ورفاقه وهم فى رحالهم بالغادرين يغشونهم وبأيديهم السيوف ، فما كان منهم إلا أن شهروا سيوفهم ولجأوا إلى جبل هناك ليحتموا به .

وهنا قال لهم الغادرون : أنزلوا ولكم العهد ألا نقتلكم فإنا والله ما نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة .

فأما عاصم بن ثابت ، ومرثد بن أبى مرثد ، وخالد بن البكير قالوا : والله لانقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا ثم أنشد يقول :

ما علتى وأنا جلد نابل
والقوس فيها وتر عنابل

تزل عن صفحتها المقابل
الموت حق والحياة باطل

وكل ما حتم الإله نازل

---

(١) هذا ما ذكره ابن هشام وغيره ، ولكن بن سعد قال : إن النبى ﷺ أرسل معهم عشرة رجال إلا أنه ذكر أسماء ستة فقط .

(٢) اسم ماء لهزيل بين مكة وغطفان .

بالمـــرئ والمــــرؤ إليـــه آيـــل

إن لم أقاتلكم فأمي هابل

وما زال الثلاثة يقاتلون حتى قتلوا .

قال ابن هشام : فلما قتل عاصم أرادت هزيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد . لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فى قحفه الخمر ، فمنعته الدبر [1] فلما حالت بينهم وبينه الدبر قالوا: دعوه حتى يمسى فيذهب عنه فنأخذه . فبعث الله الوادى فاحتمل عاصما فذهب به . "وقد كان عاصم قد عاهد الله ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا " فبر الله عهده.

أما زيد بن الدثنة ، وخبيب بن عدى ، وعبد الله بن طارق فأسرهم المشركون، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، فلما وصلوا بهم إلى الظهران انتزع عبد الله ابن طارق يده من القيد الذى كان مربوطا به ، ثم أخذ سيفه وجعل يقاتل القوم ، فاستأخروا عنه ورموه بالحجارة حتى قتلوه .

ثم قدم الغادرون إلى مكة بخبيب ، وزيد ، فأما زيد فاشتراه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف ، ثم بعث صفوان بزيد إلى التنعيم ليقتله خارج مكة .

واجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان بن حرب لكى يشهدوا مقتل زيد .

وعندما قدم زيد للقتل قال له أبو سفيان : أنشدك بالله يا زيد أتحب أن يكون محمدا عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه وإنك فى أهلك ؟ .

فقال زيد : والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس فى أهلى .

فقال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا .

ثم قدم زيد للقتل : فقتله نسطاس مولى صفوان بن أمية .

وأما خبيب بن عدى فابتاعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل ليقتلوه فى رجل

---

(١) الدبر : بفتح الدال وسكون الباء ـ اسم جماعة من النحل .

منهم ، وحبسوه فى بيت امرأة تدعى ماوية ، فكانت تقول بعد أن أسلمت : وكان خبيب عندى حبس فى بيتى ، فلقد اطلعت عليه يوما وفى يده قطفا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم أن فى أرض الله عنبا يؤكل .. [١] وعندما أراد المشركون أن يقتلوا خبيبا ، خرجوا به إلى التنعيم ليصلبوه .

فقال لهم : إن رأيتم أن تتركونى حتى أركع ركعتين فافعلوا.

فقالوا له : دونك فاركع فركع ركعتين فأتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل عليهم.

فقال : أما والله أن تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة .

فكان خبيب رضى الله عنه أول من سن هاتين الركعتين للمسلمين عند القتل.

وعندما قيدوه ورفعوه على خشبة ليقتلوه تضرع إلى الله وقال : (اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فيلفه الغداة ما يصنع بنا ، اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا) ثم قتل رضى الله عنه .

وكان خبيب قد قال لزوج تلك المرأة التى حبس فى بيتها : أطلب إليك ثلاثا أن تسقينى العذب ، وأن تجنبنى ما ذبح على النصب ، وأن تخبرنى إذا أرادوا قتلى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة ، وعبد الله بن أبى نجيح أنها ماوية . قالت : قال لى خبيب حين حضره القتل : ابعثى لى بحديدة أتطهر بها للقتل .

قالت : فأعطيت غلاما من الحى الموسى فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل البيت .

قالت : فو الله ما هو إلا أن ولى الغلام بها إليه ، فقلت : ماذا صنعت ؟ أصاب والله الرجل ثأره يقتل هذا الغلام فيكون رجلا برجل .

فلما ناوله الحديدة أخذها من يده وقال له : لعمرك ما خافت أمك غدرى حين

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص٦٥ – طبعة بيروت .

بعثتك بهذه الحديدة إلى ثم خلى سبيله [(١)] .

وقد أنشد خبيب شعرا عندما بلغه أن المشركين قد أجمعوا على صلبه فقال قصيدة منها :

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا
قبائلهم ، واستجمعوا كل مجمع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم
وقربت من جذع طويل ممتع
إلى الله أشكو غربتى ثم كربتى
وماأرصد الأحزاب لىعند مصرعى

لما بلغ رسول الله ﷺ الخبر حزن الرسول والمسلمون على الذين استشهدوا فى سبيل الله بغدر هزيل .

سرية المنذر " بئر معونة " ٦٢٥م "

بعد فترة وجيزة من خروج عاصم وأصحابه مع رهط عضل والقارة ، قدم على النبى ﷺ عامر بن مالك أبو براء الملقب بملاعب الأسنة ، فعرض عليه النبى ﷺ الإسلام فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام .

وقال : يا محمد لو بعثت معى نفرا من أصحابك إلى قومى أهل نجد لرجوت أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك .

فقال له النبى ﷺ : " **إنى أخشى عليهم أهل نجد** " .

فقال له عامر : أنا لهم جارفابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

---

(١) سيرة ابن هشام ج٣ ص١٦٥ .

فبعث معه النبى ﷺ سبعين رجلا من خيار المسلمين كانوا يسمون القراء من كثرة ما يحفظون من القرآن ، وجعل أميرهم المنذر بن عمرو الساعدى .

وكان من بينهم الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان ، وعروة بن أسماء ، ونافع بن بديل الخزاعى ، وعامر بن فهيرة ، وغيرهم .

وسار المنذر ورفاقه حتى نزلوا بئر معونة فعسكروا بها ثم بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل ـ زعيم بنى عامر فلما قدم إليه حرام بن ملحان الكتاب لم ينظر فيه ، بل وثب عليه فقتله ثم أخذ عامر يحرض قومه على قتال المنذر ولكنهم أبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه .

وقالوا له : لن ننقض عهد عامر بن مالك بعد أن عقد لهم جوارا وعقدا.

فترك عامر بن الطفيل قومه ولجأ إلى قبائل بنى سليم ، ورعل ، وذكوان ، وعصية ، فأخذ يحثهم على قتال المنذر ومن معه من المسلمين فأجابوه إلى طلبه، وهبوا معه لقتالهم ، فلما وصلوا إليهم أحاطوا بهم فى رحالهم ، فما كان من المنذر ومن معه إلا أن استلوا سيوفهم وأخذوا يقاتلون تلك الجموع الغادرة وهم يقولون : (اللهم إنا لا نخبر من يبلغ رسولك منا السلام غيرك فأقرئه منا السلام) .

فأخبر جبريل الرسول ﷺ بذلك فقال: وعليهم السلام .

وما زال المنذر وأصحابه يقاتلون تلك القبائل بشجاعة وصبر حتى استشهدوا فى سبيل دينهم وعقيدتهم .

وقد استطاع المنذر بن عمرو فى هذه السرية أن يقاتل الغادرين بجرأة وإقدام حتى سقط رفاقه جميعا من حوله ، فقال له بعض المشركين : أمناك فأبى منهم ذلك.وأخذ يقاتلهم حتى قتل .

فلما بلغ الرسول ﷺ خبره قال: " **أعنق ليموت** " أى أسرع إلى الموت بقوة وإقدام .

قال ابن إسحاق :وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الأنصار أحد بنى عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير . تحوم حول العسكر فقالا : والله إن لهذه الطير لشأنا ، فأقبلا لينظرا فإذا القوم فى دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم ما زالت واقفة .

فقال الأنصارى لعمرو بن أمية ما ترى ؟ .

قال : أرى أن تلحق برسول الله ﷺ فتخبره الخبر .

فقال الأنصارى : لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرنى عنه الرجال . ثم قاتل القوم حتى قتل [١].

أما عمرو بن أمية فإنه أسره المشركون ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل . وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة قال أنها كانت على أمه [٢].

وعند عودة طفيل إلى المدينة قابله رجلان فسألهما ممن أنتما ؟ .

فقالا : من بنى عامر .

فأمهلهما حتى ناما قتلهما ليشفى بعض ثملة من بنى عامر الذين غدر زعيمهم بالمنذر ، ولكن الرسول ﷺ لما علم بذلك قال له : يا عمرو " بئس ما صنعت لقد قتلت قتيلين فقد كان لهما حق أمان وجوار " .

وبعث بديتهما إلى قومهما وقال : " هذا عمل أبو براء عامر بن مالك قد كنت لهذا كارها متخوفا " فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه ذلك وحزن لما أصاب المسلمين بسببه وفى جواره .

ولم ينج منهم إلا كعب بن زيد إذ تركه ابن الطفيل وبه رمق فعاش ولحق بالمدينة .

ولما بلغ عليه الصلاة والسلام نبأ القراء خطب فى أصحابه وكان ما قال: " **إن إخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم وأنهم قالوا : ربنا بلغ قومنا إنا لقينا ربنا فرضينا عنه ورضى عنا** " [٣].

---

(١) سيرة ابن هشام جـ٣ ص١٨٦ .

(٢) حياة محمد ص١٩٩ .

(٣) المنظومة الشكرية ج٤ ص٢٠٥ .

ومن الاتفاق العجيب أن كان يوم وصول خبر هذه السرية وسرية الرجيع فى يوم واحد فحزن ﷺ حزنا شديدا وأقام يدعو على الغادرين شهرا فى صلاة الفجر(١).

من نتائج سرية الرجيع وسرية بئر معونة :

فرح اليهود والمشركون لما بلغهم أخبار سرية الرجيع وسرية بئر معونة فرحا شديدا حتى أنهم قد نسوا أنفسهم فأخذوا يتآمرون على رسول الله ﷺ ويكثرون على المسلمين ويتغنون بغزوة أحد وقد نسوا أن للمسلمين قوة العقيدة وحمية الإيمان التى لا تفتر والتى أثبتت وجودها فى غزوة بدر وسرية بنى الأسد فى هذا العام .

شعر الرسول ﷺ بما انطوت عليه قلوب المنافقين واليهود فأخذ الحذر وعمل على كشف نواياهم وأخذ يستجلى الخبر .

الرسول فى بنى النضير :

ذهب رسول الله ﷺ ومعه بعض الصحابة ، ومنهم أبو بكر الصديق،وعمر بن الخطاب ، وعلى إلى ديار يهود بنى النضير ، ليستشف ما فى نفوسهم وما نوت عليه سريرتهم نحوه ، فطلب منهم معونتهم فى دية اللذين قتلهما خطأ عمرو بن أمية من غير أن يعلموا أن محمدا أجارهما .

اليهود يحاولون قتل الرسول ﷺ :

عندما عرض عليهم ﷺ هذا العرض ظهرت عليهم علامات البشر على وجوههم . وتظاهروا بالمودة أمامه واستعدادهم للمساعدة ، فى الوقت نفسه تذكروا قتل كعب بن الأشرف .

وشعر رسول الله ﷺ بأن جماعة منهم تتآمر على قتله بأن يأخذ واحد منهم وهو عمرو بن حجاش صخرة ويلقيها عليه من فوق الحائط الذى يجلس تحته الرسول ﷺ فأطلعه الله على قصدهم ، فتركهم ورجع .

---

(١) فيقول : " اللهم اشدد وطأتك على مضر ، وعضل ، والقارة ، اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف اللهم عليك ببنى ورعل ، وذكوان ، وعصية ، فإنهم عصوا الله ورسوله ".

رسول محمد إلى النضير :

بعد أن وصل محمد ﷺ إلى المدينة أرسل محمد بن مسلمة وقال له : اذهب إلى يهود بنى النضير وقل لهم : إن رسول الله أرسلنى إليكم أن اخرجوا من بلادى ، لقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بى ، لقد أجلتكم عشرا فمن بقى بعد ذلك ضربت عنقه . فلم يجدوا ما يردون به وانتابهم ذعر شديد .

المنافقون يحرضون اليهود :

أخذ المنافقون يشجعون يهود بنى النضير فى عدم إخلاء ديارهم وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن أبى إذ أرسل لهم يقول: لاتخرجوا من دياركم وأموالكم وحصونكم فغن معى ألفين من قومى وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم ويموتون عن آخرهم .

ولكن يهود بنى النضير لم يثقوا ألبتة أن عبد الله بن أبى صادق فى وعده إذ إنه سبق أن انقسم على محمد فى غزوة أحد وأنه سبق أن وعد بنى قينقاع وتخلى عنهم عندما جد الجد ، وقد أمرهم كبيرهم حيى بن أخطب بأن يظلوا فى مساكنهم وقال : إننا لن نخرج من ديارنا وأموالنا وإن عندنا ما يكفينا لو حاصرنا محمدا ، وسأرسل له بهذا ، وليفعل ما يريد .

غزوة بنى النضير

" فى شهر ربيع الأول "

خرج رسول الله ﷺ إلى بنى النضير واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وأعطى الراية لعلى بن أبى طالب ، أما بنو النضير تجمعوا فى حصونهم وظنوا أنها مانعتهم من الله ورسوله ، فحاربهم عليه الصلاة والسلام ست ليال ثم أمر بقطع نحيلهم ليكون أدعى إلى تسليمهم.

فقذف الله فى قلوبهم الرعب ولم يروا مساعدة من عبد الله بن أبى بن سلول رئيس المنافقين بالمدينة ، بل خذلهم كما خذل بنى قينقاع .

واستسلم بنو النضير وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يجعلهم ويكف عن دمائهم وأن لهم ماحملت الإبل من أموالهم إلى آلة الحرب ، ففعل .

وصار اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم كى لا يسكنها المسلمون ، ولما سار اليهود نزل بعضهم بخيبر ومنهم أكابرهم حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق ومنهم من سار إلى أذرعات بالشام .

وأسلم منهم اثنان . ياسين بن عمرو ، وأبو سعد بن وهب.

ولم يخمس الرسول ﷺ ما أخذه من بنى النضير فإنه فىء لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، ومثل هذا يكون لمعدات الحرب ، وللرسول يطعم منه أهله ، ولذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل .

وذلك قول الله تعالى بعد ذكر قصتهم فى أول سورة الحشر : ﴿ مَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾[1] .

فأعطى عليه الصلاة والسلام من هذا الفىء فقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وردوا لإخوانهم الأنصار ما كانوا قد أخذوه منهم أيام هجرتهم ، وإلى ذلك يشير قوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَـٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾[2] .

****

(١) سورة الحشر : ٧ .
(٢) سورة الحشر: ٨ ، ٩ .

غزوة ذات الرقاع

" فى شهر ربيع الآخر "

بلغ رسول الله ﷺ أن قبائل غطفان بنجد وبنو ثعلبة وبنو محارب يتجهزون لحربه ، فخرج لهم فى شهر ربيع الآخر من هذا العام فى سبعمائة مقاتل وولى على المدينة عثمان بن عفان .

ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا ديار القوم فلم يجدوا فيها أحدا غير نسوة فأخذهن وبلغ ذلك رجالهم فخافوا وتفرقوا فى رؤوس الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاءوا للحرب فتقارب الناس وأخاف بعضهم بعضا .

ولما حضرت صلاة العصر وخاف ﷺ أن يغدر بهم الأعداء وهم يصلون، صلى بهم صلاة الخوف ، فألقى الله الرعب فى قلوب الأعداء وتفرقت جموعهم خائفين منه ﷺ .

غزوة بدر الأخيرة

" فى شهر شعبان "

ساد الاطمئنان المدينة بعد القضاء على بنى قينقاع وإجلاء بنى النضير واستراح المهاجرون بما أخذوه من بنى النضير ، واغتبط الأنصار وتنفسوا الصعداء بعد استقلال المهاجرين عنهم .

استدار العام بعد أحد فتذكر الرسول ﷺ قول أبى سفيان عندما فر يوم أحد: يوم بيوم بدر وموعدنا بدر العام المقبل .

فأجابه الرسول ﷺ إلى ذلك وكان بدر محل سوق تعقد كل عام للتجارة فى شعبان ، يقيم التجار فيه ثمانية أيام . فلما أهل شهر شعبان هذا العام وقريش مجدبون لم يتمكن أبو سفيان من الإيفاء بوعده ، فأراد أن يخذل المسلمين عن الخروج كى لا يتهم بخلف الموعد فاستأجر نعمان بن مسعود الأشجعى . فيأتى المدينة ويرجف المسلمين بما جمعه أبو سفيان من الأموال العظيمة فقدم نعيم المدينة

وقال للمسلمين : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [١].

ولم يلتفت ﷺ لهذا الإرجاف اتكالا على ربه . فخرج بألف وخمسمائة من المسلمين واستخلف على المدينة عبد الله بن أبى بن سلول ولم يزالوا سائرين حتى أتوا بدرا فلم يجدوا بها أحدا فأقاموا ببدر لا يشاركهم فى تجارته أحد ﴿ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [٢].

وذلك أن أبا سفيان أشار على قريش بالخروج على نية الرجوع من مسيرة ليلة أو ليلتين ظانا أن المسلمين سيتخلفون عن الخروج لتأثير إرجاف نعيم فيهم، وقد خاب ظنه لما سمع من صفوان بن أمية ، قال لأبى سفيان : قد والله نهيتك أن تعد القوم قد اجترأوا علينا وظنوا أنا أخلفناهم .

صلاة القصر للمسافر :

شرعت صلاة القصر فى السنة الرابعة وثبتت مشروعيتها بالكتاب والسنة والإجماع . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [٣] .

وعندما شرعت صلاة القصر ، قال يعلى بن أمية : قلت لعمر: مالنا نقصر وقد آمنا : فقال: سألت رسول الله رسول الله ﷺ قال : " **صدقة تصدق الله بها علينا فاقبلوا صدقته** " رواه مسلم .

ومشروعية صلاة القصر : فى حاله الخوف وعدم الأمن : ولا تقصروا إلا الصلاة الرباعية فتقصر إلى ركعتين .

فريضة التيمم :

فرض التيمم بدلا من الوضوء والغسل عند الضرورة وثبتت مشروعيته باكتاب والسنة والإجماع [٤] .

---

(١) سورة آل عمران : ١٧٣ .
(٢) سورة آل عمران : ١٤٧ .
(٣) سورة النساء : ١٠١ .
(٤) المنظومة الشكرية ج٤ ص٢٠٧ .

كاتب السر المحمدى :

كان كاتب سر النبى ﷺ حتى إجلاء بنى النضير عن المدينة من اليهود ليتسنى له أن يبعث الرسائل باللغة العبرية ، والسريانية ، ما يريده .

فلما جلا اليهود خاف النبى أن يستعمل فى أسراره غير مسلم ، فأمر بتعليم زيد ابن ثابت من شباب المدينة المسلمين اللغتين المذكورتين وأصبح كاتب سر النبى فى كل شؤونه وزيد بن ثابت هذا الذى جمع القرآن فى خلافة أبى بكر ، ثم عاد فراقب جمعه فى خلافة عثمان بن عفان فوضع مصحف عثمان .

أبو سلمة الشهيد :

كان أبو سلمة رضى اللله عنه قد أصيب من قبل فى عضدة خلال اشتراكه فى غزوة أحد، ومكث شهرا مريضا يتداوى منه فلما تماثل للشفاء بعثه الرسول ﷺ أميرا على تلك السرية (سرية أبى سلمة لبنى أسد) فى العام الرابع من الهجرة ، فلما عاد منها انتكس جرحه فمات بعدها بأيام قليلة .

ولقد تأثر الرسول ﷺ لموت أبى سلمة تأثرا شديدا ، فقد كان رضى الله عنه من السابقين فى الإسلام .

وكان من الذين هاجروا الهجرتين الهجرة الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة .

وكان فوق ذلك تربطه بالنبى ﷺ أمور مشتركة منها :

أن كلا منهما من قريش وأنهما قريبان .

فأبو سلمة أمه (بردة بنت عبد المطلب) عمة النبى ﷺ وأنهما قد رضعا معا من ثدى واحد ، فقد أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب .

زواج الرسول من أم سلمة :

تزوج النبى ﷺ من أم سلمة (هند) زوجة الشهيد أبى سلمة . قد شاركته سراء الحياة وضراءها بوفاء نادر وإيمان عميق وأنجبت من الشهيد عددا من الأولاد، فلما فرق بينهما الموت بكته بكاء مرا فكانت تقول : غريب مات فى أرض غربة والله لأبكينه بكاءً يتحدث الناس عنه .

من أجل هذا رأى النبى ﷺ بما جبل عليه من مكارم الأخلاق أن يصون هذا البيت الكريم وأن يلقى عليه ألوانا من الرعاية والتكريم فتزوج من السيدة أم سلمة وضم أولادها إلى بيته وفاء لحق أبيهم الشهيد أبى سلمة رضى الله عنه وأرضاه .

من مواليد هذا العام :

ولد الحسين رضى الله عنه بالمدينة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، وكانت أمه قد علقت به بعد أن ولدت أخاه الحسن رضى الله عنه بخمسين ليلة.

وهكذا صح النقل فى ذلك (وحنكه) الرسول ﷺ بريقه وأذن فى أذنه وتفل فى فمه ودعا له وسماه حسينا يوم السابع وعق عنه بكبش .

وقال لأمه : احلقى رأسه وتصدقى بزنة شعرة فضة كما فعلت بأخيه الحسن وكنيته (أبو عبد الله) .

روى البخارى والترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سأله رجل عن دم البعوضة .

فقال له : ممن أنت ؟ .

فقال له : رجل من أهل العراق .

فقال : انظروا يسألنى فى دم البعوضة . وقد قتلوا ابنا لرسول الله ﷺ وسمعت النبى ﷺ يقول : " هما ريحانتاى فى الدنيا ": (الحسن والحسين) .

وروت أم الفضل بن العباس رضى الله عنهم قالت : دخلت على رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله رأيت البارحة حلما منكرا .

قال : " **ما هو ؟** " .

قلت : يا رسول الله رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت فوضعت فى حجرى .

فقال رسول الله ﷺ : " خيرا رأيت تلد فاطمة غلاما فيكون فى حجرك ".

فولدت فاطمة الحسين .

قالت : فكان فى حجرى كما قال رسول الله ﷺ فدخلت به عليه فوضعته فى حجره ثم حانت منى التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تدمعان .

فقلت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله . ما يبكيك ؟ .

قال : " **جاء جبريل عليه السلام فأخبرنى أن أمتى ستقتل ابنى هذا . وأتانى بتربة من تربة حمراء** " .

روى البغوى بسنده يرفعه إلى أم سلمة أنها قالت : كان جبريل عليه السلام عند النبى ﷺ والحسين معى فغفلت عنه فذهب إلى النبى ﷺ فأخذه النبى ﷺ وجعله على فخذه فقال له جبريل عليه السلام : أتحبه يا محمد ؟ .

قال : " **نعم** " .

قال : إن أمتك ستقتله وإن شئت لأريتك تربة الأرض التى يقتل بها . ثم بسط جناحه إلى الأرض . وأراه أرضا يقال لها: كربلاء . تربة حمراء بطف العراق .

رضى الله عنه وعن أهل بيت الرسول أجمعين (١).

حصاد هذا العام

* نتائج غزوة أحد :

* من نتائج غزوة أحد أن تجمع بعض الأعراب لغزو محمد ﷺ فكانت سرايا هذا العام لتأديبهم وكسر شوكتهم حتى كانت غزوة بنى النضير وغزوة بدر الأخرى فردت للمسلمين هيبتهم .
* إجلاء بنى النضير عن المدينة أعطى المهاجرين ديارا وأرضا جديدة فانصلح حالهم وخفت تبعتهم عن الأنصار .
* خذل المنافقون بنى النضير عندما حرضوهم بعدم الجلاء عن ديارهم لأمر رسول الله ﷺ ووعدوهم بالوقوف معهم ضد المسلمين ثم تركوهم وحدهم عندما حاصرهم الرسول ﷺ وحدث قبل هذا مع المسلمين فى غزوة أحد ثم مع يهود بنى قينقاع.

---

(١) المنظومه الشكرية ج٤ .

* **من زواج هذا العام :**
* زواج الرسول من أم سلمة .
* **من مواليد هذا العام :**
* مولد الحسين بن على وابن فاطمة الزهراء .
* **وفيات هذا العام :**
* وفاة أبو سلمة .
* **العبادات :**
* فرض صلاة القصر للمسافروفرض التيمم .

العام الخامس الهجرى

أخذت الدعوة الإسلامية تزدهر وتنتشر فى شبه الجزيرة العربية وأصبحت كلمة التوحيد يشع نورها فى جميع الأرجاء وفى كل يوم تمتد فى أماكن جديدة وتعلو بها صوت الآذان خمس مرات فى اليوم : الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله محمد رسول الله ، كما ارتفعت أعلام التوحيد ترفرف فى عنان السماء.

وردت هيبة المسلمين وعلت كلمتهم ، الأمر الذى زاد من حقد بعض العرب عليهم لكثرة انتصاراتهم فأقلق مضاجعهم فتحزبوا ضد المسلمين ودعوة التوحيد .

ويعتبر العام الخامس الهجرى امتدادا للعام الرابع لكثرة غزواته وسراياه ؛ لذا فالعام الخامس الهجرى عام الجهاد الأعظم . أو عام الأحزاب .

غزوة دومة الجندل(١)

" فى شهر ربيع الأول "

سببها أن جماعة من الأعراب بدومة الجندل يظلمون كل من يمر بهم وأنهم يريدون القرب من المدينة .

(١) دومة الجندل مدينة على حدود الحجاز والشام تقع فى منتصف الطريق بين البحر الأحمر وخليج فارس بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة .

بلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج لهم فى ألف من أصحابه بعد أن ولى على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى . ولم يزل يسير الليل ويكمن النهار حتى قرب منهم ، فلما قرب منهم بلغهم الخبر فتفرقوا فهجم المسلمون على ماشيتهم ورعاتهم فأصيب من أصيب وهرب من هرب ثم نزل ساحتهم فلم يلق أحدا وبث السرايا فلم يجد منهم أحدا فرجع فرجع عليه الصلاة والسلام غانما . وصالح وهو راجع عيينة بن حصن الفزارى الذى أقطعه ﷺ أرضا يرعى فيها بهيمه . (على بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة) .

اليهود يؤلبون العرب على المسلمين :

لقد اختمرت فكرة تأليب العرب على المسلمين فى نفوس أحبار اليهود وكبرائهم وخصوصا بعد طرد بنى النضير من ديارهم ، وقد خرج حيى بن أخطب ، وسلام ابن أبى الحقيق، وكنانة بن أبى الحقيق ، ومعهم من بنى وائل هوذة بن قيس، وأبوعمار . حتى قدموا على قريش فسألت قريش حييا عن قومه.

فقال لهم : تركتهم بعد خيبر والمدينة ، حتى تأتوهم فتسيروا معهم إلى محمد وأصحابه .

وسألوه عن قرظة فقال : أقاموا بالمدينة مكرا بمحمد فأتوهم فيميلوا معكم ، فوجدوا عندهم قبولا ورغبه فى قتال محمد ﷺ وصحبه الأبرار .

اليهود يفضلون الوثنية على الإسلام :

قالت قريش لليهود وهم أهل كتاب وقد أخبر كتابهم ببعث نبى فى آخر الزمان اسمه أحمد (محمد رسول): يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول وأصحاب العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد . أفديننا خير أم دينه ؟ .

قالت اليهود : دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه [١] وفيهم يقول رب العالمين : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً . أُولَـئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً ﴾ [٢] .

---

(١) حياة محمد – ص٣٢١ .
(٢) سورة النساء : ٥١،٥٢ .

لم يكف حيى بن أخطب واليهود ما قالوه لقريش وتفضيل أصنامهم على عبادة الله وحده ، بل ذهبوا إلى غطفان ، وبنى مرة ، وبنى فزارة ، وأشجع ، وبنى سليم ، وبنى سعد، وبنى أسد . وكل من لهم عند المسلمين ثأر لتجميعهم لمحاربة محمد ﷺ وصحبه .

غزوة الأحزاب " الخندق "

خرجت الأحزاب التى جمعها اليهود لحرب المسلمين .

هذه قريش قد خرجت وعلى رأسها أبو سفيان بن حرب فى أربعة آلاف مجند وثلاثمائة جواد وخمسمائة وألف ممتط بعيره. وعقد اللواء فى دارالندوة لعثمان بن طلحة الذى قتل أبوه وهو يحمل لواء قريش فى غزوة أحد .

وهذه حشود بنى فزارة وعلى رأسها عيينة بن حصن [١] وعدتها ألف بعير مجهزة للقتال .

كما خرجت أشجع ومرة فجاء كل منهما فى أربعمائة محارب يتزعمهم الحارث ابن عوف مرة ، ومسعر بن رخيلة وأشجع وبنو سليم أصحاب بئر مؤنة فى سبعمائة رجل ، وانحاز لهم بنو سعد وأسد فصار جمعهم عشرة آلاف رجل وساروا تحت أمر أبى سفيان بن حرب .

المسلمون والغزاة :

اجتمع رسول الله ﷺ بأصحابه وتشاوروا فى مواجهة الزحف الهائل هل يخرجون لمقاتلتهم أم يكمنون بالمدينة ؟ وماذا يفعلون ؟ .

فأشار عليهم سلمان الفارسى بعمل خندق حول المدينة وتحصين مداخلها وأسرع الرسول ﷺ وأصحابه فى حفر الخندق شمال المدينة من الحرة الشرقية إلى الحرة الغربية . وهذه الحرة التى كانت تؤتى من قبلها دون بقية حدودها التى كانت مشتبكة بالبيوت والنخيل ، وقد قاس المسلمون صعوبات من حفر الخندق .

---

(١) الذى سبق ومن عليه الرسول بقطعة أرض عند عودته من غزوة دومة الجندل قبل العام. فخان الجميل وقام يقود الجيوش لحرب النبى ﷺ .

واشترك الرسول ﷺ بنفسه فى حفر الخندق ورفع التراب وهو عاصب بطنه بحجر من شدة الجوع متمثلا بشعر ابن رواحة .

اللهم لولا أنت ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا	وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا	وإن أرادوا فتنة أبينا

وتم حفر الخندق فى ستة أيام وقد حصنوا البيوت المواجهة له وأخلوا القريبة منها من النساء والأطفال إلى المنازل البعيدة عنها تحسبا لهجوم المشركين .

حصار المشركين للمدينة :

كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف ، وكان لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة ، ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة . عجب المشركون بمكيدة الخندق التى لم تكن العرب تعرفها من قبل .

فصاروا يترامون بالنبل ولما طال المطال عليهم أكره جماعة من أفراسهم على اقتحام الخندق ، ومنهم عكرمة بن أبى جهل ، وعمرو بن ود ،وضرار بن الخطاب.

خرج عمرو بن ود وكان من صناديد قريش (وكان له فى الغزوة خيل) .

فقال : هل من مبارز ؟ .

فأراد على بن أبى طالب أن يبرز له فأرسل إليه رسول الله ﷺ أن لاتبرز إليه.

فجعل عمرو ينادى : هل من مبارز ؟ .

وجعل يقول : أين جنتكم ؟ ، أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل دخلها ؟. هل من مبارز؟ .

فجاء على رضى الله عنه إلى الرسول ﷺ فقال : من يا رسول الله ؟.

فقال ﷺ : " إنه عمرو " .

قال : وإن كان عمرا فأذن له بمبارزته ونزع عمامته ﷺ عن رأسه وعمم عليا رضى الله عنه بها وقال : " امض لشأنك " .

فخرج على رضى الله عنه ، وعمرو بن ود يقول :

لقد بححت من الندا	ء لجمعكم هل من مبارز؟
ووقفت إذ وقف الشجا	ع مواقف القرن المناجز
وكذلك إنى لم أزل	متدرعا قبل الهزاهز
إن الشجاعة فى الفتى	والجود من خير الغرائز

وعندما وجد عمرو بن ود أن عليا قد نزل لمبارزته قال له : إنى والله ما أحب أن أقتلك .

فأجاب على رضى الله عنه :

لا تعجلن فقد أتاك	مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية .. وبصيرة	والصدق منجى كل فائز
إنى لأرجو أن أقيـ	م عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى	ذكرها عند الهزاهز

ثم قال : يا عمرو إنك كنت قد أخذت على نفسك عهدا أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أجبته ، إلى واحدة منها ، قال : أجل : فقال على رضى الله عنه إنى أدعوك إلى الله تعالى ورسوله ﷺ .

فقال : كرهت هذه فإنى أدعوك إلى النزال . قال : ولم يا بن أخى فما أحب أن أقتلك ولقد كان أبوك خلا لى ؟ . فقال : على رضى الله عنه أما أنا والله فأحب أن أقتلك .

فحمى عمرو وغضب من كلامه واقتحم بالسيف ونزل من على فرسه إلى الأرض وضرب وجهها ونزل إلى المبارزة وتبارز ساعة ثم ضربه على رضى الله عنه على عاتقه بالسيف ورمى جنبه إلى الأرض وتركه قتيلا ثم ركب جواده وكرَّ على ابنه حنيل فقتله ورمى عكرمة بن أبى جهل رمحه وفر هاربا .

وسقط فى الخندق نوفل بن عبد الله فاندقت عنقه واستمرت المقاومة والرماة بالنبل يوما كاملا حتى فاتت المسلمين صلاة ذلك اليوم فقضوها . وجعل عليه

الصلاة والسلام على الخندق حراسا حتى لا يقتحمه المشركون فى الليل وكان يبشر عليه الصلاة والسلام أصحابه بالنصر والظفر ويعدهم بالخير .

موقف المنافقين :

انتهز المنافقون هذه الشدة وأظهروا ما انطوت عليه ضمائرهم كما أظهروا تحيزهم لليهود والمشركين وترى بنى قريظة أن تفتح للأحزاب الطريق وتعمل على قطع المدد عن المسلمين وتكشف ظهورهم وأخذت الأحزاب تعد قوتها للقتال وتمر عشرة أيام وتحيط الأخطار بالمسلمين من كل جانب ويصف لنا القرآن هذا الموقف العظيم فى قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَآءُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَاْ . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً. وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَأَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُواْ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً ﴾ (١) .

نقض يهود بنى قريظة العهد :

اشتد الحال بالمسلمين وزادت شدتهم لما بلغهم من بنى قريظة الذين يساكنوهم فى المدينة قد انتهزوا هذه الفرصة ونقضوا عهدهم مع الرسول ﷺ ولما علم عليه الصلاة والسلام بذلك أرسل مسلمة بن أسلم ، فى مائتين ، وزيد ابن حارثة فى ثلاثمائة لحراسة المدينة ؛ خوفا على النساء والذرارى .

وقد أرسل الرسول ﷺ من الصحابة سعد بن معاذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة سيد الخزرج ، ومعهما عبد الله بن رواحة ، وخوان بن جبير ، ليقفوا على جلية الأمر .

فلما وصلوا إليهم وجدوا الشر على وجوههم ، وسبوا الرسول ﷺ والمسلمين فأراد سعد بن معاذ وكان حليف بنى قريظة أن يردهم إلى عهدهم فطلب كعب أن

---

(١) سورة الأحزاب : ٩-١٣ .

يردوا إخوانهم بنى النضير إلى ديارهم . وقال كعب عن رسول الله : لاعهد بيننا وبين محمد ولا عقد .

كان الفريقان يتشاتمان (١) ، فعادوا وأخبروا الرسول ﷺ بما حدث منهم .

موقف المسلمين :

اشتد وجل المسلمون وزلزلوا زلزالا شديدا وظنوا بالله الظنون ، وأخذ المنافقون يتكلمون بما بدا لهم ولكن الله ناصر نبيه ظاهر دينه وهيأ للمسلمين أسباب الظفر من حيث لا يعلمون .

الوقيعة بين الأحزاب : نعيم بن مسعود الأشجعى (٢) :

أسلم نعيم بن مسعود الأشجعى من غطفان سرا ، وكان صديق قريش واليهود فقدم على النبى ﷺ وأخبره بإسلامه . وأن قومه لا يعلمون .

فقال له : مرنى بأمرك حتى أساعدك .

فقال النبى ﷺ : " أنت رجل واحد وما عسى أن تفعل ؟ ولكن خذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة " .

فخرج من عنده وتوجه إلى بنى قريظة فلما رأوه أكرموه لصداقته معهم .

فقال : يا بنى قريظة تعرفون ودى لكم وخوفى عليكم وإنى محدثكم حديثا فاكتموه عنى .

فقالوا : نعم ..

فقال : لقد رأيتم ما وقع لبنى قينقاع وبنى النضير من إجلائهم وأخذ أموالهم وديارهم وأن قريشا وغطفان ليسوا منكم فهم إذا رأوا فرصة انتهزوها وإلا رجعوا إلى بلادهم ... أما أنتم فتساكنون هذا الرجل ولا طاقة لكم بحربة وحدكم فأرى أن

---

(١) حياة محمد – ص٣٢٤ .

(٢) نعيم هذا الذى بعثته قريش يبث الأراجيف فى قلوب المسلمين حتى لا يلاقوا أبو سفيان فى غزوة بدر الأخرى فى السنة الرابعة من الهجرة حتى لا ينكشف أبو سفيان .

لا تدخلوا هذه الحرب حتى تتثبتوا من قريش•وغطفان أنهم لن يتركوكم ويذهبوا لبلادهم بأن تأخذوا منهم سبعين شريفا رهائن عندكم .

فاستحسنوا رأيه وأجابوه على ذلك .

وتوجه من عندهم إلى قريش واجتمع برؤسائهم .

وقال لهم فيما قال : إن بنى قريظة : قد ندموا على ما فعلوه مع محمد ﷺ وخافوا منكم أن ترحلوا وتتركوهم معه إلا إذا أخذوا منكم رهائن سبعين شريفا ، وها هم مرسلون إليكم فاحذروهم ولا تذكروا مما قلت لكم حرفا .

ثم أتى غطفان فأخبرهم بمثل ما أخبر به قريشا .

فأرسل أبو سفيان وفدا لقريظة يدعوهم للقتال معه غدا .

فقالوا : إنا لا يمكن أن نقاتل حتى تعطونا رهائن منكم حتى لا تتركونا وتذهبوا إلى بلادكم .

فتحققت قريش وغطفان من كلام ابن مسعود ، ونفرت القلوب فخاف بعضهم من بعض .

وكان النبى ﷺ يدعوعليهم ويقول: " **اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب ، اللهم انصرنا عليهم وهذه من علامات النصر** " .

نصر المسلمين :

أجاب الله تعالى دعاء نبيه فأرسل على الأعداء ريحا عاتية فى ليلة مظلمة مخيفة ، فخاف العرب أن يتفق اليهود مع المسلمين فى هذه الليلة فأجمعوا أمرهم على الرحيل .

فقام طلحة بن خويلد فنادى العراب ،وقال : إن محمدا قد بدأكم بشر ، فالنجاة النجاة.

وقال أبو سفيان : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، ولقد هلك الكراع والخلف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا منهم ما نكره ولقينا من شدة الريح ماترون فارتحلوا فإنى مرتحل قبل أن يصبح الصبح .

ولما سمع الرسول ﷺ الضوضاء فى جيش العدو قال لأصحابه : " **لابد من حادث ، فمن ينظر لنا خبر القوم؟** " .

فسكتوا حتى كرر ذلك ثلاثا ، وكان فيهم حذيفة بن اليمان .

فقال ﷺ : " **تسمع صوتى منذ الليلة ولا تجيب** " .

فقال : يا رسول الله إن البرد شديد .

فقال : " **اذهب فى حاجة رسول الله واكشف لنا خبر القوم** " ، فخاطر رضى الله عنه بنفسه فى خدمة نبيه حتى عاد ، وأخبر أن الأعداء يرحلون .

فرار أبى سفيان وترك جيشه :

لقد بلغ من شدة خوفهم أن رئيسهم أبا سفيان كان يقول لهم: ليتعرف كل منكم أخاه وليمسك بيده حذرا أن يدخل بينكم عدو، وقد حلَّ عقال بعيره يريد أن يبدأ بالرحيل .

فقال له صفوان بن أمية : إنك رئيس القوم فلا تتركهم وتمضى .

فأذن أبو سفيان بالرحيل وترك خالد بن الوليد وجماعة ليحموا ظهور المرتحلين، وفر بنفسه [1].

وكان جلاؤهم فى ذى القعدة من هذا العام . وكان هذا من فضل الله إذ يقول: ﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2].

وقال : ﴿ إِنّ اللّهَ يُدَافِعُ عَنِ الّذِينَ آمَنُوَاْ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ كُلّ خَوّانٍ كَفُورٍ ﴾ [3].

غزوة بنى قريظة (وقعت فى أواخر السنة الخامسة)

بعد أن منَّ الله على المسلمين بنصره وارتحال الأحزاب بهزيمتهم وتركوا المدينة أراد النبى ﷺ أن يخلع لباس الحرب لكن الله أمره أن يذهب إلى بنى قريظة

---

(١) هذه ليست أول مرة يهرب فيها أبو سفيان بن حرب من ميدان القتال ، فسبق أن هرب قبل نهاية غزوة أحد وهرب من لقاء النبى فى غزوة حمراء الأسد وهرب ولم يقابل الرسول فى غزوة بدر الأخرى فى العام الرابع الهجرى .

(٢) سورة الروم : ٤٧ .

(٣) سورة الحج : ٣٨ .

الذين نقضوا العهد والمواثيق معه لتطهر الأرض من دنس هؤلاء الذين انقلبوا عليه. وأرادوا الفتك بالمسلمين لولا أن هزم الله الأحزاب .

ونادى الرسول ﷺ فى أصحابه : " **لا يصلين أحد منكم العصر إلا فى بنى قريظة** " فساروا مسرعين وتبعهم الرسول ﷺ راكبا حماره . ولواءه بيد على بن أبى طالب ، وخليفته على المدينة عبد الله بن أم مكتوم . وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف ، ولما رأى بنو قريظة جيش المسلمين ألقى الله فى قلوبهم الرعب وتحصنوا بحصونهم وحاصرهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة ، فلما رأوا لا مناص من الحرب وأنهم إذ استمروا على ذلك ماتوا جوعا ولم يحدث اشتباك بينهم إلا تراشق بالنبل والحجارة ولم يجرؤ بنى قريظة أن يخرجوا من حصونهم .

طلب بنو قريظة المشورة والتحكيم فى أمرهم :

فلما ضاق الخناق على بنو قريظة طلبوا من المسلمين النزول على ما نزل عليه بنو النضير من الجلاء بأموالهم وترك السلاح فلم يقبل الرسول ﷺ فطلبوا أن يجلوا بأنفسهم بغير سلاح ، فلم يرض أيضا ، بل كان أمر الرسول ﷺ أن ينزلوا ويرضوا بما يحكم عليهم خيرا أم شرا .

فقالوا : أرسل لنا أبا لبابة [١] نستشيره أولا ، فلما توجه إليهم استشاروه فى النزول على حكم رسول الله ﷺ .

فقال لهم : انزلوا وأومأ بيده إلى حلقه [٢] .

ندم أبو لبابة على إشارته هذه ، ويقول أبو لبابة : لم أبرح موقفى حتى علمت أنى خنت الله ورسوله فنزل من عندهم قاصدا المدينة خجلا من مقابلة رسول الله ﷺ وربط نفسه فى عمود من أعمدة المسجد حتى يقضى الله أمره فيه.

ولما بلغ الرسول بما فعل فقال : " **أما إنه لو جاءنى لاستغفرت له أما وقد فعل ما فعل فنتركه حتى يقضى الله فيه أمرا** " .

---

(١) كان من الأوس من حلفاء بنى قريظة .
(٢) يقصد الحكم عليهم بالذبح تحذيرا لهم .

عرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد على بنى قريظة أن يبايعوا محمدا [١] على دينه فيأمنوا على دمائهم وأموالهم وأبنائهم ، فرفض أصحاب كعب أن يسمعوا منه هذا الكلام وصاحوا فيه : لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل له غيره ، فعرض عليهم أن يقتلوا نساءهم وأبناءهم وأن يخرجوا إلى محمد وأصحابه رجالا غير تاركين أثقالا حتى يحكم الله بينهم وبين محمد فإن هلكوا لم يتركوا وراءهم مالا يخشون عليه وإن ظهروا اتخذوا النساء والأبناء فرفضوا هذا ، قائلين : نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم [٢].

لم ير بنو قريظة بدا من النزول على حكم رسول الله ﷺ ، وقد أرسلت قريظة إلى الأوس قائلين لهم : ألا تأخذوا لإخوانكم مثل ما أخذ الخزرج لإخوانهم.

فقالوا : يا رسول الله ألا تقبل من حلفائنا مثل الذى قبلت من حلفاء الخزرج.

فقال محمد ﷺ : " **يا معشر الأوس ألا يرضيكم أن يحكم فيهم رجل منكم؟** " .

فقالوا : بلى فاختار اليهود سعد بن معاذ سيد الخزرج .

حكم سعد بن معاذ فى بنى قريظة :

كان سعد جريحا من سهم أصابه فى غزوة الخندق ، وكان مقيما فى خيمة فى المسجد لمعالجة الجرحى ، فأرسل رسول الله ﷺ بمن يأتى به ،فحملوه على حماره والتفت عليه جماعة من الأوس يقولون له: أحسن فى مواليك كما فعل ابن أبى فى مواليه.

فقال : لقد آن لسعد ألا تأخذه فى الله لومة لائم .

ومن المعلوم أن سعد هو الذى سبق وقدم إليهم أول نقضهم عهدهم وحذرهم من سبهم للرسول ﷺ والمسلمين بغير حق .

ولما أقبل على الرسول وأصحابه وهم جلوس فقال لهم : " **قوموا إلى سيدكم فأنزلوه ففعلوا** " .

---

(١) إنه لنبى مرسل وإنه الذى تجدونه فى كتابكم .
(٢) حياة محمد ص٣٢٩ .

قالوا له : إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم .

وقال رسول الله ﷺ: " **أحكم فيهم يا سعد** " .

فالتفت سعد للجهة التى ليس فيها رسول الله ﷺ وقال : عليكم عهد الله وميثاقه أن الحكم كما حكمت ؟ .

فقالوا : نعم .

فالتفت إلى الجهة التى فيها رسول الله ﷺ وقال : وعلى من هنا كذلك ؟ وهوغاض الطرف إجلالا لرسول الله ﷺ .

فقالوا : نعم .

فقال : فإنى أحكم أن تقتل الرجال وتسبى النساء والذرية .

فقال رسول الله ﷺ: " **لقد حكمت فيهم بحكم الله يا سعد** " . وهكذا يكون جزاء الخائن الغادر .

تنفيذ الحكم فى يهود بنى قريظة :

وضعت النساء والذرية فى دار ابنة الحارث امرأة من بنى النجار ووضعت الأسرى فى دار أسامة بن زيد ، ثم خرج الرسول إلى سوق المدينة وأمر بحفر بعض الخنادق فضربت أعناقهم فى تلك الخنادق وكان يخرج بهم إليها فى جماعات وفيهم عدو الله حيى بن أخطب ، وكعب بن أسد من رؤوس القوم وأسباب الفساد وتحريض العرب على المسلمين لقتالهم وكانوا سبعمائة رجل ، وجمعت الغنائم فكانت ألف وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع وألفى رمح ووجد أثاث كثيرة وآنية كثيرة ، وقد أسلم من اليهود يومئذ أربعة فنجوا من القتل .

وخمس الرسول ﷺ الغنائم ووزع الباقى على المقاتلين .

وفاة سعد بن معاذ :

لقد زاد جرح سعد بن معاذ وانفجر بعد تمام الأمر فمات رضى الله عنه وهو الذى اهتز له عرش الرحمن[١] .

---

(١) المنظومة الشكرية ج٤ ص٣١٩.

وكان من الأنصار كأبى بكرمن المهاجرين ، إذ كان له العزم الثابت فى جميع المشاهد التى سبقت غزوة الخندق ، وكان ﷺ يحبه كثيرا ويبشره بالجنة على عظيم أعماله وإخلاصه لله ولرسوله .

العفو عن أبى لبابة :

بعد ما عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة تاب الله على أبى لبابة بقوله : ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

وقد عاهد الله ورسوله بعد ذلك على أن يهجر ديار بنى قريظة التى حدثت فيها هذه الزلة .

لقد أراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين تعودوا الغدر والخيانة ولم يبق لهم إلا بقية من كبارهم بخيبر مع أهلها، وهم الذين كانوا السبب فى حرب الأحزاب . وسيأتى اليوم الذى يقتص فيه الله للمسلمين منهم .

*** سبايا بنى قريظة :**

ريحانة بنت عمرو بن خناقه .

من سبايا بنى قريظة وقعت فى سهم محمد ﷺ عرض عليها الإسلام فأبت وأصرت على يهوديتها ، فطلب منها الزواج فرفضت .

وقالت : بل تتركنى فى ملكك فهو على وعليك .

فظلت فى ملكه كسائر نساء العرب ، وضرب عليها حجاب حتى ماتت .

وهنا نرى سماحة الإسلام وسماحة الرسول ﷺ واضحة جلية فلم تكره على الإسلام كما لم تكره على الزواج ، وهذا دليل على مدى احترام الإسلام للإنسان وللأديان السماوية وأهل الكتاب .

كما تدحض فرية الذين يقولون: إن رسول الله ﷺ كان مزواجا ، لو كان كذلك لأرغمها على الزواج منه حتى ولو كانت كارهة ؛ لأنها تحت إمرته وسلطانه وملك يمينه .

---

(١) سورة التوبة : ١٠٢ .

ولكن رسول الله ﷺ لا يتزوج إلا بأمر من الله أو لحماية عرض وصون شرف أو لمعونة أسرة فقدت عائلها كما مر بنا وسنرى ما يؤكد ذلك .

أثار غزوة الخندق :

كان لنصر المسلمين فى غزوة الخندق والقضاء على يهود المدينة بنهاية يهود بنى قريظة والقضاء على أصوات المنافقين وتوطيد سلطان المسلمين بالمدينة ، كما جعلت العرب كلها تتحدث عن قوة المسلمين وسلطانهم ، ومقام محمد بن عبد الله وقوته ورهبة جانبه . وأن رسالته للناس كافة وليست للمدينة فقط وما زال طريق الدعوة مملوء بالعقبات ، مما يدعو النبى ﷺ وأصحابه لتحمل المشقة وتحمل الصعاب فى نشر الدعوة لعبادة الله الواحد القهار .

* **من زواج هذا العام :**
* **زواج الرسول من زينب بنت جحش :**

وهى زينب بنت جحش أخت عبد الله بن جحش ، وأمها أميمة بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ وكانت قديمة فى الإسلام .

وكانت زوجة لزيد بن حارثة مولى السيدة خديجة ، وكان من سبايا الشام اشتراه حكيم بن حزام بن خويلد فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد فوهبته للرسول ﷺ قبل البعثة . وزيد ابن ثمانى سنوات فأعتقه ثم تبناه .

كان زيد بن حارثة من أحرار العرب وينتهى نسبه إلى كلب ، وكان من عجائب الاتفاق أن تخرج به أمه سعدى لتزور قومها بنى معن . وبينما هى فى الطريق انقضت عليهم خيل لبنى القين بن جسر فأسروا زيدا إلى سوق عكاظ حيث اشتراه حكيم .

وقد وجد عليه أبوه وجدا شديدا ورثاه بقوله :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل؟	أحى فيرجى أم أتى دونه الأجل؟
تذكرنيه الشمس عند طلوعها	وتعرض ذكراه قارب الطفل

وقد حج قوم من كلب فرأو زيدا فعرفهم وعرفوه فقال لهم : أبلغوا أهلى هذه الأبيات : منها

أحن إلى قومى وإن كنت نائيـا بأنى قطين البيت عند المشاعر

وحدث أن جاء بعد مدة أبوه وعمه فى فدائه .

فقال النبى ﷺ : " **خيراه** " .

فاختار الرق مع رسول الله ﷺ على حريته مع قومه .

فقال النبى ﷺ : " **يا معشر قريش أشهدكم أن زيدًا ابنى يرثنى وأرثه** " .

ثم زوجه من السيدة زينب بنت جحش ابنة عمته ، فلما خطبها رسول الله لزيد عظم ذلك على أهلها لوجود الفارق الطبقى ، فهى شريفة من الأشراف ، ذات حسب ونسب وهو من الرقيق ، وإن تبناه رسول الله ﷺ لنفسه فإن ذلك لم يلحقه بالأشراف، فنزل قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً** ﴾ (١).

فلم يروا إلا نزولا على أمر رسول الله ﷺ فقبلوا زواجها ، فلما بنى بها زيد أظهرت له من كبريائها وعظمتها ما لم يتحمله فشكاها لرسول الله ﷺ فأمره باحتمالها والصبرعليها إلى أن ضاقت به الحياة وأخبر الرسول ﷺ بالعزم على طلاقها وكرر ذلك .

كل هذا وكان رسول الله ﷺ يقول : " **أمسك عليك زوجك** " ، أى: لا تطلقها ولما كانت الحياة على هذه الحال ضربا من المحال طلقها زيد بن حارثة .

وامر الله النبى ﷺ أن يتزوج من السيدة زينب بنت جحش بعد طلاقها ، ولكن الرسول ﷺ خشى من لوم اليهود والعرب من زواجه بزوج ابنه (بالتبنى) فأخفى فى نفسه ما الله مبديه فكان يقول لزيد : " **أمسك عليك زوجك واتق الله** " .

فعتب عليه الله تعالى بقوله : ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ** ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٦ .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٧ .

فلما انقضت عدتها تزجها رسول الله ﷺ وكان ذلك لإبطال ما كانت عليه العرب من إنزال الابن بالتبنى منزلة الابن من النسب .

وفى ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيَ أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ (١) .

تحريم التبنى :

حرم الله التبنى بعد ذلك على المؤمنين لما فيه من الأضرار قال تعالى :﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ اللَّـهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّـهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ (٢).

ومن هذا الوقت صار اسم زيد هو زيد بن حارثة بعد أن كان زيد بن محمد.

الحقيقه فى هذا الزواج :

الحقيقه فى هذا الزواج هو أن زواج محمد ﷺ بزينب بنت جحش كان لصالحها هى التى استفادت منه ، فهذه الآيات التى نزلت فى هذا الزواج للإيضاح ؛ لأن زينب بنت جحش كانت من الأشراف ثم تزوجها أحد الموالى ، وهو زيد بن حارثة وإن كان الرسول قد أعتقه ثم تبناه .

فبعد أن طلقها فلن يتزوجها أى رجل حر من العرب بعد زواجها من أحد الموالى ، وهذه من عادات العرب وأنفتهم ؛ لذلك كان يريد رسول الله ﷺ بهذا الزواج القضاء على هذه العادة والقضاء كذلك على الفوارق بين الطبقات .

فأراد الله أن يزوج الرسول ﷺ بعد أن قضى على التبنى حتى لا يقال: إن محمدا تزوج طليقة ابنه بالتبنى ، وهذا كان حراما فى عرف العرب وكذلك ليحفظ الله ورسوله مكانتها بين الناس ولا يكون هذا الزواج سببا فى إهدار مكانتها وهى لم

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٧ .
(٢) سورة الأحزاب : ٤٠ .

تتزوج من شريف مثلها كما سبق ذكره فصان الله ورسوله عزتها وشرفها بزواج الرسول ﷺ منها .

اختلاق قصصا كاذبة :

ومع أن الله تعالى أنزل قرآنا فى قصة زواج زينب بنت جحش فيها الحجة القوية والدليل القاطع ، إلا أن بعض المؤرخين المستشرقين أمثال موبروارفنج ، وسير نجتر ، وفيل ، ودر منجم ، ولا منس ، وغيرهم فقد أذاعوا بعض القصص الكاذبة عن هذا الزواج مدفوعين بحقدهم على الإسلام وتأثرهم بالحروب الصليبية وما ألقت فى نفوسهم من حقد وكراهية للعرب والمسلمين .

ومن أقاويلهم: إن رسول الله ﷺ ذهب يوما لزيارة زيد فرأى زوجته مصادفة وكانت الريح قد رفعت الستر عنها فوقعت فى قلبه .

فقال : " **سبحان الله** " .

فلما جاء زوجها ذكرت له ذلك فرأى من الواجب عليه فراقها .

فتوجه إلى الرسول ﷺ وأخبره بعزمه فنهاه عن ذلك .

وهناك العديد من القصص الملفقة الأخرى .

لكن الإنسان الذى استعمل عقله واتبع المنطق السليم فى مثل هذه الأمور ليتبين له كذب هذه القصة وغيرها للآتى :

كيف يصدر هذا عن رسول كريم كرمه الله ورباه على عينه وأرسله يتلو آياته للناس ويعلمهم الكتاب والحكمة وهو القائل عن ربه : ﴿ **وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىَ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ (١) ؟.

وقوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىَ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (٢).

---

(١) سورة طه :١٣١ .

(٢) سورة القلم : ٤ .

كما أن زينب بنت جحش ابنة عمته ، يعنى أنه يعرفها منذ طفولتها وصباها وليس غريبا عنها ، فهو لو كان يريدها لنفسه لتزوجها قبل زيد وهو أكثر من زيد حسبا ونسبا وهو حر وزيد مولى له .

كانت زينب بنت جحش تفخر على نساء الرسول ﷺ وتقول : الله زوجنى من السماء ، وكانت رضى الله عنها – صوامة قوامة تعمل الخبز بيديها وتتصدق به.

توفيت سنة ست وعشرين من الهجرة ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة وهى أول من ماتت من نساء النبى ﷺ بعده ، وصلى عليها عمر بن الخطاب ودخل قبرها أسامة بن زيد ومحمد بن عبد الله بن جحش رضى الله عنهم أجمعين .

*** من تشريع هذا العام " الحجاب " " وتحريم التبنى " :**

* لقد حرم الله التبنى فى هذا العام ، كما فرض الحجاب أيضا ؛ وذلك لأن الفاحشة كانت منتشرة بين العرب فلا عاصم لانراه من الانحراف ولا عاصم لرجل من السير على هواه وهذه كانت الحياة فى الجاهلية .

ولما أتى الإسلام بتعاليمه السامية التى صانت للإنسان شرفه وعرضه وكرامته وإنسانيته وردت له آدميته .. آتى فرض الحجاب ليحفظ للمرأة أنوثتها وعفتها ويحجب عن عيون المارقين مفاتنها فلا يطمع طامع أو خائن أو منحل .

وكان عمر بن الخطاب يحبه ويذكره كثيرا .

نزلت آيات قرآنية تؤيدة خاصة بنساء النبى ﷺ وغيرهن من نساء المسلمين فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ (١) .

فقال بعضهم : أننتهى أم نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن عائشة .

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٣ .

فنزل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُوَاْ أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً ﴾ (١).

وأمر الله غير أزواج النبى من نساء المؤمنين بغض الأبصار عنهن وحفظ الفروج ، كما أمر الرجل سبحانه وتعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ ... ﴾ (٢).

وكانت النساء فى الجاهلية يبرزن مفاتنهن ، فلا تعرف الأمة من الحرة فأمر الله أن يدنين عليهن من جلابيبهن حتى لا يطمع فيهن طامع ، فقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (٣).

وبذلك أصبح المجتمع الإسلامى مصانا معافى من الانحراف الأخلاقى والسمو بالإنسان بالكامل إلى الرقى والعلو بالإنسانية والتحلى بالفضيلة والأخلاق والبعد عن الهاوية .

ونحن فى هذا العصر أحوج ما نكون لتطبيق هذه التعاليم حتى نسلم من ويلات السفور والانحلال .

****

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٣ .
(٢) سورة النور : ٣١ .
(٣) سورة الأحزاب : ٥٩ .

حصاد هذا العام

*** نتائج النصر فى غزوة الأحزاب ودومة الجندل :**

أحداث هذا العام أعطت المسلمين قوة فوق قوتهم فنصرهم فى غزوة الأحزاب ودومة الجندل ، كان لهما أثر كبير فى نفوس المسلمين إذ جعلهم الأعلون .

وخلت الطريق أمامهم من المخاوف ،وأصبح لهم عند العرب واليهود مهابة ورهبة.

* نقض بنى قريظة العهد وانضمامهم لأعداء رسول الله والمسلمين أدى إلى القضاء عليهم .
* وبذلك طهرت المدينة والبقاع التى حولها منهم وأمنت المنطقة شرهم .
* انكسرت شوكة المنافقين ولم يعد لهم وزنا كما كانوا من قبل .

*** تنظيم الحياة الاجتماعية :**

* أخذت أحكام الإسلام تزداد وتكثر على الأفراد سواء كان الرجل أو المرأة لتنظيم الحياة الاجتماعية والدينية بين المسلمين لحماية المجتمع الإسلامى من الشوائب الباقية من أدران الجاهلية .

*** التشريع :**

* فى التشريع أوضح الإسلام كيفية التعامل ومخاطبة المرأة الغريبة مع الرجل وفرض الحجاب للمرأة وعدم التبرج حتى تأمن شر الذى فى قلبه مرض .. تحريم التبنى صونا للأنساب وحفظا للحقوق وتنفيذا لحدود الله .

*** من زواج هذا العام :**

* تم زواج رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش بأمر من الله سبحانه لحماية البشرية من أخطاء الجاهلية الجاهلة ، وقد أوضحناها آنفا .

وكان هذا العام عام خير وبركة ونصر لدعوته وإعلاء لكلمته وتكميلا لتشريعه ودعوة للخروج لتحقيق غايته أنه دين الناس كافة فيأخذ رسول الله ﷺ ينشر الدعوة الإسلامية فى باقى ربوع شبه الجزيرة العربية وخارجها .

العام السادس الهجرى

يختلف العام السادس الهجرى عن العام السابق له ، ففيه انطلاقات إسلامية شملت الجزيرة العربية ، مع تطلعات لنشر الدين الإسلامى بعد أن ردت للمسلمين هيبتهم بنصرهم على الأحزاب وخلو المدينة وبطاحها من اليهود بعد القضاء على بنى قريظة ، وانخفاض صوت المنافقين .

أخذت المسيرة طريقها رافعة أعلامها وحولها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .

وفى هذه السنة أرسلت عدة سرايا إلى أنحاء شبه الجزيرة العربية كما وقعت عدة غزوات انتشر فيها الحق وزهق الباطل .

سرية محمد بن مسلمة إلى بنى بكر : " فى شهر المحرم" :

فى العاشر من المحرم أرسل النبى ﷺ محمد بن مسلمة فى ثلاثين راكبا من أصحابه للإغارة على بطن من بنى كلاب ، الذين كانوا ينزلون بالبكرات ناحية ضرية [١]، فلما وصلوا إلى بنى بكر أغاروا عليهم فقتلوا منهم عشرة وفر الباقون فاستاق المسلمون نعمهم ولم يتعرضوا لنسائهم ، ورجعوا إلى المدينة بعد تسع عشرة ليلة من خروجهم منها .

وقد بلغ ما غنمته هذه السرية من بنى بكر مائة وخمسون من الإبل وثلاثة آلف رأس من الغنم ، فقسمها الرسول ﷺ على مستحقيها .

وفى الطريق إلى المدينة قابل محمد بن مسلمة ورفاقه رجل من زعماء بنى ضيفة وهو ثمامة ين أثال الحنفى ، فأسروه وهم لا يعرفونه ، ولما قدموا به إلى رسول الله ﷺ فأحسن إليه وأكرمه ثم أطلق سراحه بعد ثلاثة أيام ، وعرض عليه الإسلام فلم يقبل .

---

(١) ضرية : اسم موضع يبعد عن المدينة سبع ليالٍ فى الطريق إلى البصرة .

ولما رأى ثمامة تلك المعاملة الكريمة من الرسول ﷺ عاد عن طيب خاطر وأعلن إسلامه بين يدى رسول الله وخاطبه بقوله : يا رسول الله والله ما كان على وجه الأرض أبغض إلى من وجهك ، وقد أصبح أحب الوجوه كلها إلى قلبى ، وما كان على الأرض دين أبغض إلى قلبى من دينك ، وقد أصبح أحب الأديان إلى قلبى، وما كان بلد أبغض إلى من بلدك ، وقد أصبح بلدك أحب البلاد إلى .

وعندما عزم على العودة إلى بلده من بمكة معتمرا أراد مشركو مكة أن يؤذوه لكنهم تركوه لاحتياجهم إلى حبوب اليمامة التى يعتبر ثمامة من أبرز زعمائها ، ومع ذلك فقد أقسم ثمامة ألا يرسل إليهم شيئا من حبوب اليمامة حتى يسلموا.

أرسل مشركو مكة إلى رسول الله ﷺ يتوسلون إليه ألا يقطع ثمامة حبوب اليمامة عنهم فقد أجهدهم القحط فاستجاب ﷺ لرجائهم وأمر ثمامة أن يعيد عليهم ما كان يرسله إليهم من حبوب اليمامة ففعل .

وهذا دليل صادق على سماحة الإسلام حينما استجاب الرسول ﷺ لرجاء مشركى مكة الذين أخرجوه هو وأصحابه تاركين ديارهم وأموالهم وأهليهم ، ثم ذهبوا لقتالهم فى ديار هجرتهم والقضاء عليهم .

فعظم الإسلام وروحه السمحة وأخلاقياته الباهرة التى جعلت رسول الله ﷺ ينسى كل هذا ويأمر ثمامة أن يعيد عليهما ما يرسله لهم من حبوب اليمامة .

كما كان لهذا الرجل الكريم ثمامة أثر كبير فى تثبيت قواعد الإسلام فى بلاده حتى بعد وفاة الرسول ﷺ ووقوفه فى وجه مسيلمة الكذاب مدعى النبوة ونهى قومه عن اتباعه .

وكان يقول لهم : إياكم والأمر المظلم الذى لا نور فيه ، إنه الشقاء كتبه الله على من اتبعه ، فأطاعه عدد كبير من قومه وثبتوا على الإسلام .

غزوة بنى لحيان فى " شهر ربيع الأول " :

فى شهر ربيع الأول من هذا العام غزا الرسول ﷺ بنى لحيان وهم الذين قتلوا عاصم بن ثابت [1] وإخوانه ، وقد كان رسول الله ﷺ حزينا عليهم متشوقا للقصاص

---

(١) أصحاب سرية الرجيع فى السنة الرابعة .

من عدوهم فأمر أصحابه بالتجهز لقتالهم ولم يظهر لهم مقصده كما هى عادته ﷺ فى غالب الغزوات لتخفى الأخبار عن الأعداء .

وولى على المدينة ابن أم مكتوم وسار فى مائتى راكب وعشرين فارسا .

ولم يزل سائرا حتى مقتل أصحاب الرجيع عاصم وإخوانه فترحم عليهم ودعا لهم ، ولما سمع به بنو لحيان تفرقوا فى الجبال فأقام عليه الصلاة والسلام بديارهم يومين يبعث السرايا فلا يجدون أحدا .

ثم أرسل بعض أصحابه ليأتوا عسفان (وهو موضع قرب مكة) حتى يعلم بهم أهل قريش فيداخلهم الرعب فذهبوا إلى كراع الغميم ، وهو جبل جنوب عسفان بثمانية أميال ثم رجع ﷺ إلى المدينة بعد أن غاب عنها أربع عشرة ليلة وهو يقول : " **آيبون تائبون لربنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى الأهل والمال** " .

سرية الغمر " شهر ربيع الأول "

فى شهر ربيع الأول أرسل ﷺ عكاشة بن محصن على رأس أربعين راكبا لم يغيروا على بنى أسد ؛ لأنهم كانوا يؤذون المسلمين عند مرورهم بهم.

ولما وصل عكاشة إلى ماء يقال له : الغمر إليهم هربوا وقد خلوا ديارهم ودخل المسلمون ديارهم فوجدوا رجلا نائما فأمنوه على حياته بشرط أن يدلهم على ماشية القوم ، فدلهم عليها فاستاقوها وكانت زهاء مائتى بعير ، ثم قدموا إلى المدينة دون أن يلقوا حربا من أعدائهم .

غزوة الغابة(ذى قرد) " فى شهر ربيع الأول "

وسببها أن الرسول ﷺ كان له عشرون ناقة ترعى فى الغابة [١] فأغار عليها عيينة بن حصن فى أربعين راكبا واستلبها من راعيها فجاءت الأخبار إلى رسول الله ﷺ والذى بلغه الخبر سلمة بن الأكوع وكانت له مهارة فى رمى النبل ، وهو

---

(١) اسم مكان .

أحد رماة الأنصار وكان سريع الجرى فأمره الرسول عليه الصلاة والسلام بأن يخرج فى أثر القوم ليشغلهم بالنبل حتى يدركهم المسلمون فخرج يشتد فى أثرهم حتى لحقهم وجعل يرميهم بالنبل فإذا وجهت الخيل نحوه رجع هاربا فلا يلحق به فإذا دخلت الخيل بعض المضايق علا الجبال فرمى عليهم الحجارة حتى ألقوا كثيرا مما بأيديهم من الرماح ليخففوا عن أنفسهم حتى لا يلحقهم الجيش ، ولم يزل سلمة كذلك حتى تلاحق به جيش الرسول ﷺ فحصل بين الفريقين مناوشات قتل فيها مسلم واحد ومشركان واستنقذ المسلمون غالب السلاح وهرب أولئك القوم بالبقية ثم رجع بعد خمس ليال .

سرية محمد بن مسلمة إلى ذى القصبة (١)

" فى شهر ربيع الأول "

بلغ الرسول ﷺ أن أهل ذى القصبة يريدون الإغارة على ماشية المسلمين التى ترعى بالهيفاء قرب المدينة ، فأرسل إليهم محمد بن مسلمة فى عشرة من المسلمين، فورد ديارهم ليلا فكمن لهم المشركون حينما أحسوا بقدومهم وانتظروا عليهم حتى ناموا .

ثم أحدقوا بهم وكان عددهم يقارب المائة فلم يشعرالمسلمون إلا والنبل قد غشيهم فتواثب المسلمون إلى أسلحتهم وأخذوا يقاتلون أعداءهم قتالا عنيفا ، ولكن الأعداء تكاثروا عليهم وقتلوهم جميعا سوى محمد بن مسلمة الذى تركوه وبه رمق من حياة بعد أن ظنوه قد مات .

ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة .. وقد أرسل النبى ﷺ أبو عبيدة بن الجراح ومعه أربعون رجلا لكى يقتص من أهل ذى القصبة .

فلما وصل أبو عبيدة وصحبه إلى ديارهم وجدوهم قد تشتتوا فاقتحموا منازلهم وغنموا ما فيها من حيوان ومتاع ثم رجعوا إلى المدينة ، فقسم النبى الغنائم على مستحقيها .

---

(١) ذى القصبة : اسم مكان على بعد أربعة وعشرين ميلا من المدينة فى طريق الربذه .

سرية زيد إلى بنى سليم : "فى شهر ربيع الآخر"

أرسل النبى زيد بن حارثة فى جمع من أصحابه للإغارة على بنى سليم ؛ لأنهم كانوا قد انضموا إلى جيوش المشركين يوم الأحزاب ، كما أنهم كانوا يؤذون المسلمين عند مرورهم بديارهم .

فسار عليهم زيد حتى بلغ الجموم [1] ، فلما شارف على ديارهم بمن معه وجدهم قد تفرقوا ، ولم يبق سوى عدد قليل منهم ، ووجدوا هناك امرأة من مزينة فدلتهم على محال بنى سليم ، فأصاب المسلمون من تلك نعما وشاء ، وأسروا من لقيهم من رجالها ومن بينهم زوج تلك المرأة .

فلما عاد زيد بالأسرى والغنائم إلى المدينة وهب النبى ﷺ للمرأة نفسها وزوجها، وقسم الغنائم على مستحقيها .

سرية زيد إلى العيص

" فى شهر جمادى الأولى "

علم رسول الله ﷺ أن عيرا لقريش أقبلت من الشام تريد مكة . فبعث فى طلبها مائة وسبعين من فرسان المسلمين يقودهم زيد بن حارثة .

وأسرع زيد ومن معه لتلبية ما كلفهم به الرسول ﷺ وساروا حتى وصلوا إلى العيص ، وهناك التقوا بعير قريش فأخذوها بما فيها من فضة كثيرة لصفوان بن أمية ، وأسروا ناسا ممن كانوا فى حراستها ، ثم قفلوا راجعين إلى المدينة ومعهم العير والأسرى .

وكان من بين السرى أبو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت الرسول ﷺ فاستجار أبو العاص بزوجته فأجارته ونادت فى الناس حين صلى بهم النبى ﷺ الفجر بقولها : أيها الناس إنى قد أجرت أبا العاص .

---

(١) الجموم : اسم مكان على يسار بطن نخل على بعد أربعة أميال من المدينة .

وبعد أن انتهى النبى ﷺ من صلاته أقبل على الناس فقال : " **أيها الناس هل سمعتم ما سمعت ؟** ".

قالوا : نعم .

قال : " **والذى نفسى بيده ما علمت بشىء من هذا حتى سمعت ما سمعتم ، المؤمنون يد واحدة يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجارت** " .

ثم قال لزينب : " **أكرمى مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له** " .

وكان هذا سبب إسلامه ودخوله فى دين الله كما سبق أن ذكرنا .

سرية زيد إلى بنى ثعلبة

" فى شهر جمادى الآخر "

بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة على رأس خمسة عشر رجلا للإغارة على بنى ثعلبة الذين قتلوا أصحاب محمد بن مسلمة ، وكانوا يقيمون بالطرق [(١)].

فتوجه زيد بن حارثة ورفاقه إلى رحالهم وعندما علم بنو ثعلبة بقدومهم فروا من وجوههم، وتركوا ماشيتهم ومتاعهم فغنمها المسلمون وعادوا إلى المدينة .

وكان شعار هذه السرية [(٢)] أمت ، أمت ، والمراد منها التفاؤل بالنصر . بعد الأمر بالأمانة مع حصول الغرض من الشعار ، فإنهم جعلوا هذه الكلمة علامة بينهم يتعارفون بها لأجل ظلمة الليل .

سرية زيد إلى جذام

" فى شهر جمادى الآخر " :

وسبب هذه السرية ، أن دحية الكلبى رضى الله عنه كان قادما من بلاد الروم ، ومعه تجارة له وهدايا ، أهداها إليه قيصر الروم ، فلقيه فى الطريق الهنيد بن

---

(١) الطرق على بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة وهى اسم لنبع ماء .
(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقانى ج ٢ ص ١٥٨ .

عارض ، وابنه فى ناس من جذام عند جسمى (موضع وراء وادى القمر) فاستلبوا منه كل شىء كان معه، فسمع بذلك نفر من بنى الضبيب وهم رهط رفاعة بن زيد الجذامى فأعادوا لدحية متاعه ممن انتهبه منه ، وكان رفاعة قد أسلم وأخذ من النبى كتابا دعا به قومه إلى الإسلام فأسلموا .

وبعد أن عاد دحية إلى المدينة أخبر الرسول ﷺ بما حدث له من الهنيد وأشياعه فغضب الرسول ﷺ وبعث زيد بن حارثة فى خمسمائة رجل منهم دحية ، فكان زيد ومن معه يسيرون الليل ويكمنون النهار . وكان معهم دليل من بنى عذرة كى يرشدهم إلى أماكن القوم .

ووصل زيد ومن معه إلى ديارهم مع الفجر فشنوا عليهم الغارة وقتلوا الهنيد وابنه ، وأخذوا ماشيتهم فبلغت ألفا من الإبل وخمسة آلاف من الغنم وأسروا مائة من النساء والصبيان .

وعلم رفاعة بن زيد الجذامى بذلك فرحل فى نفر من قومه إلى النبى ﷺ فرفع إليه كتابه الذى كتبه له ولقومه عند إسلامه .

فقال ﷺ : " **كيف أصنع بالقتلى ؟** " .

فقال أبو يزيد بن عمر : اترك لنا يا رسول الله من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمى هاتين .

فقال ﷺ : " **صدق أبو يزيد** " .

ثم بعث معهم على بن أبى طالب إلى زيد بن حارثة وأمره أن يخلى بينهم وبين حرمهم وأموالهم .

فتوجه على إلى زيد فبلغه أمر رسول الله ﷺ فنادى زيد فى الناس فاجتمعوا إليه فقال لهم : من كان معه شىء من سبى أومال فليرده ، فهذا أمر رسول الله قد أمرنى بذلك ، ثم رد لبنى جذام كل ما أخذ منهم.

سرية زيد لبنى فزارة

" فى شهر رجب "

وسبب هذه السرية أن بنى فزارة تعرضوا لزيد وهو راجع بتجارة من الشام فسلبوا ما معه وكادوا يقتلونه ، فلما وصل زيد إلى المدينة أخبر النبى ﷺ بما كان منهم ، فأرسله إليهم ليقتص منهم وكانوا يقيمون فى وادى القرى(١).

واستطاع زيد وصحبه أن ينتصروا على أعدائهم ، وأن يقتلوا عددا كبيرا منهم وأن يأسروا بعض زعمائهم وكان من بين الأسرى امرأة ذات مكانة كبيرة فيهم ، وقد استوهبها النبى ممن أسرها وافتدى بها أسيرا مسلما كان بمكة ، وكانت هذه السرية فى رجب ، وقيل : إنها كانت فى رمضان .

غزوة بنى المصطلق

" فى شهر شعبان (٢) "

وسببها أن الحارث بن ضرار سيد بنى المصطلق (وهم بطن من خزاعة) ساعد قريشا على حرب المسلمين فى غزوة أحد ، وكان يجمع الجموع لحرب النبى ﷺ ، فخرج له ﷺ فى جمع كبير وولى على المدينة زيد بن حارثة وجعل لواء المهاجرين مع أبى بكر ، ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة ، ومن نسائه عائشة ، وأم المؤمنين أم سلمة (٣) .

وخرج معه بعض المنافقين طمعا فى أن يصيبوا شيئا من عرض الدنيا فيهم عبد الله بن أبى .

وفى أثناء الطريق التقى الرسول ﷺ وأصحابه بجاسوس لبنى المصطلق فسأله عن جيش العدو ، فلم يجب فأمر بقتله ، ولما بلغ الحارث رئيس جيش المشركين

---

(١) موضع قريب من المدينة على طريق الحجاز من جهة الشام .
(٢) ذكرت بعض السير: أن هذه الغزوة حدثت فى شعبان من السنة الخامسة .
(٣) وقيل : إن أم سلمة لم تخرج فى هذه الغزوة .

بمجيء المسلمين إليه ، وأنهم قتلوا جاسوسه دخل فى قلبه وقلب جيشه الرعب حتى تفرق عن بعضه ، ولما وصل جيش المسلمين المريسيع (اسم مكان) تصادف وجود الفريقان للقتال بعد أن عرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فلم يقبلوا فتراموا بالنبل ساعة ثم حمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد فلم يتركوا لرجل من عدوهم مجالا للهرب بل قتلوا عشرة منهم وأسروا باقيهم مع النساء والذرية واستاقوا الإبل والشياه وكانت الإبل ألفى بعير والشياه خمسة آلاف ، وكان فى نساء المشركين بريرة بنت الحارث سيد القوم وقد أخذ السبايا وكانت نحو مائتى بنت وزعت على المسلمين .

زواج الرسول من بريرة (جويرية)

تزوج رسول الله ﷺ ، بريرة بنت الحارث وقد سماها جويرية ، وكانت أيمن امرأة على قومها الذين كانوا من أعز العرب فأراد النبى ﷺ أن يجعل المسلمين يمنون بالعتق على من معهم من أسرى قومها فتزوجها ، وإذ ذاك قال المسلمون : (أسرى رسول الله لا ينبغى أسرهم فى أيدينا) .

فمنوا عليهم بالعفو وكان من نتيجة من هذا الكرم العظيم أن أسلم بنو المصطلق جميعا ودخلوا فى دين الله أفواجا .

وقفة : دروس مستفادة :

" النادرة الأولى "

لنا وقفة بعد غزوة بنى المصطلق ، حدث أنه كان لعمر بن الخطاب أجيرا فى الجيش يقود فرسه فأوردهم على الماء مع أحد رجال الخزرج فضرب حليفا للخزرج حتى سال دمه فاستنجد ، وقال : يا معشر الأنصار .

وقال أجير عمر : يا معشر المهاجرين .

فاجتمع من الفريقين عدد كبير وكادوا يقتتلون لولا أن خرج عليهم الرسول ﷺ وأخبر الخبر فكلم المضروب حتى أسقط حقه وبذلك سكنت الفتنة بين الفريقين.

سمع ذلك عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين ، الذى خذل الرسول فى غزوة أحد، كما خذل حلفاؤه من بنى النضير وبنى قريظة ، النداء فثار ما فى نفسه من حقد وكراهية للمهاجرين من المسلمين .

فقال غاضبا لمن عنده من الخزرج : ما رأيت كاليوم مذلة أو قد فعلوها نافرونا فى ديارنا ، والله ما نحن والمهاجرين إلا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .

وقال لمن عنده : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم سهاما للمنايا دون محمد فأيتمتم أبناءكم وقللتم وكثروا ، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عنده .

وكان فى مجلسه شاب حديث السن قوى الإيمان اسمه زيد بن أرقم فأخبر رسول الله ﷺ الخبر فتغير وجهه وقال : " **يا غلام لعلك غضبت عليه فقلت ما قلت؟** " .

فقال : والله يا رسول الله سمعته .

قال له : " **لعله أخطأ سمعك** " .

فاستأذن عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ فى قتل عبد الله بن أبى بن سلول ، أو يأمر أحدًا غيره بقتله .

فقال النبى ﷺ: " **كيف يا عمر إذا تحدث الناس بأن محمد يقتل أصحابه؟** " .

وكلم رجل من الأنصار عبد الله بن أبى فى أن يطلب من رسول الله ﷺ الاستغفار ، فلوى رأسه واستكبر ، وهنا نزلت سورة المنافقين التى فضحت عبد الله ابن أبى الذى كذب ما نسب إليه وعجل الرسول بالعودة إلى المدينة ومعه الغنائم وقد أنزل الله فيهم قوله تعالى : ﴿ **هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنفِقُوا عَلَىَ مَن عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىَ يَنفَضّوا وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ السّمَاوَاتِ وَالأرض وَلَكِنّ المُنَافِقِينَ لاَ يَفقَهُونَ . يَقُولُونَ لَئِن رّجَعنَآ إِلَى المَدِينَةِ لَيُخرِجَنّ الأعَزّ مِنهَا الأذَلّ وَلِلّهِ العِزّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلمُؤمِنِينَ وَلَكِنّ المُنَافِقِينَ لاَ يَعلَمُونَ** ﴾ (١) .

---

(١) سورة المنافقون : ٧ ، ٨ .

ولما بلغ عبد الله [١] بن عبد الله بن أبى بن سلول ذلك استأذن رسول الله ﷺ فى قتل أبيه ، إذ ذهب إلى الرسول ﷺ يقول : يا رسول الله وإنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى ، فيما بلغك منه ، فإن كنت فاعلا فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علم الخزرج ما كان بها من رجل أبر بأبيه منى وإنى أخشى أن تأمر غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتله ، فأقتل رجلا مؤمنا بكافر فأدخل النار ، فأمر الرسول ﷺ بالإحسان إليه [٢] .

هذا هو خلق رسول الله ﷺ فى أن يحسن حتى لمن خان عهده .

النادرة الثانية :

وهى أفظع من الأولى ، وهى رمى السيدة عائشة رضى الله عنها زوج رسول الله ﷺ ، بالإفك فاتهموها بصفوان بن المعطل السلمى ؛ وذلك أنهم لما رجعوا من غزوة بنى المصطلق ودنوا من المدينة أذن رسول الله ﷺ ليلة بالرحيل .

وكانت السيدة عائشة قد ذهبت لقضاء حاجتها حتى جاوزت الجيش ، فلما قضت شأنها أقبلت إلى راحلتها فلمست صدرها فإذا عقد لها كان فى رقبتها انقطع فرجعت تلتمس عقدها فحبسها طلبه ، فأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونها فاحتملوا هودجها ظانين أنها فيه ، (وكانت النساء إذ ذاك خفافا لم يغشهن اللحم) فلم يستنكروا خفة الهودج إذ كانت خفيفة .

وكانت عائشة جارية حديثة السن فجاءت منزل الجيش بعد أن وجدت عقدها وليس هناك داع ولا مجيب فغلب عليها النوم فنامت فى مكانها .

وكان إلذى يسير خلف الجيش يتفقد ضائعه صفوان بن المعطل السلمى فأصبح عند منزلها فعرفها ؛ لأنه كان رآها قبل الحجاب ، فاسترجع ، فاستيقظت باسترجاعه وسترت وجهها بجلبابها فأناخ راحلته وأركبها من غير أن يتكلما بكلمة .

ثم انطلق يقود بها الراحلة حتى وصل الجيش وهو نازل للراحة .

---

(١) عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول أسلم ووالده ما زال على النفاق .

(٢) حياة محمد – ص٣٤٢ .

فقامت قيامة أهل الإفك وقالوا ما قالوا فى عائشة وصفوان ، والذى تولى كبير الإفك عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين .

ولما قدموا المدينة مرضت عائشة شهرا والناس يفيضون فى قول أهل الإفك وهى لا تشعر بشىء .

حديث أهل الإفك :

وقالوا ما قالوا فى عائشة بنت الصديق وصفوان المؤمن الحسن الإيمان ، والذى تولى ذلك عبد الله بن أبى ، المنافق فأخذ يشفى غلته فأذاع الحديث حسان ابن ثابت ، وحمنة أخت زينب بنت جحش ، ومسطح بن أثاثة ، وأم مسطح .

الرسول يعرف الحديث :

بلغت الأخبار رسول الله ﷺ ما اضطرب لها حتى أنه يمر على حجرة السيدة عائشة وهى مريضة فلا يقول لها سوى : " **كيف حالكم ؟** " .

وهو الذى كان يرق لها إذا مرضت ، مما جعلها فى ريب عظيم .

فلما نقهت خرجت هى وأم مسطح بن أثاثة أحد أهل الإفك لقضاء حاجتها فعثرت أم مسطح فى فرطها .

فقالت : تعس مسطح .

فقالت عائشة : بئس ما قلت .. أتسبين رجلا شهد بدرا ؟ .

فقالت : يا هنتاه ؛ أولم تسمعى ما قالوا ؟ .

فسالتها عائشة عن ذلك فأخبرتها .

فازدادت مرضا على مرضها ، ولما مر عليها الرسول ﷺ كعادته استأذنته أن تمرض فى بيت أبيها فأذن لها .

فسألت أمها عما يقول الناس .

فقالت : يا بنيتى هونى عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها .

فقالت عائشة : سبحان الله ، أوقد تحدث النـاس بهـذا ؟ وبكـت تلـك الليلـة حتـى أصبحت لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم .

مشورة الرسول لأهله :

أخذ رسول الله ﷺ يستشير كبار أهل بيته فى هذا الأمر فيما يفعل .

فقال أسامة بن زيد لما يعلمه من براءة السيدة عائشـة : أهلـك أهلـك ، ولا نعلـم عليهن إلا خيرا .

أما على بن أبى طالب فقال : لم يضيق الله عليك ، والنساء سـواها كثير وسـل الجارية تصدقك .

فدعا ﷺ بريرة جارية عائشة وقال لها : " **هل رأيت شيئا يريبك؟** " .

فقالت : والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمضه ، غير أنهـا جاريـة حديثة السن تنام عن عجينها فتأتى الدواجن فتأكله .

الرسول يخطب الناس :

قام ﷺ من يومه ، فصعد المنبر والمسلمون مجتمعون وقال : " من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى ؟ والله مـا علمـت علـى أهلـى إلا خـيرا ، ولقـد ذكـروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما يدخل على أهلى إلا معى " .

فقال سعد معاذ : أنا يا رسول أعذرك منه فإن كـان مـن الأوس ضربـت عنقـه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك .

فقام سعد بن عبادة الخزرجى وقال : كذبت . لعمرو الله لا تقتل ولا تقدر علـى قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل .

فقام أسيد بن حضير وقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمرو الله لنقتلنه فإنك منـافق وتجادل عن المنافقين .

وكانت تكون فتنة بين الأوس والخزرج ، لولا أن رسول الله ﷺ نزل من فـوق المنبر وخفقهم حتى سكتوا .

الرسول فى بيت أبى بكر :

ظلت عائشة لا يرقأ لها دمع ، هى وأبويها حتى دخل الرسول ﷺ وجلس .

وقال : " **أما بعد : يا عائشة إنه بلغنى عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله ، وتوبى إليه فإن العبد إذا اعترف وتاب تاب الله عليه** " .

فتقلص دمع عائشة وقالت لأبويها : أجيبا رسول الله .

فقالا : والله ما ندرى ما نقول ؟ .

فقالت : إنى والله علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم أنى بريئة لا تصدقونى ، ولئن اعترفت بأمر والله يعرف أنى منه بريئة لا تصدقونى ، فوالله لا أجد لى ولكم مثلا إلا أبا يوسف حيث قال : ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** ﴾ [1]ثم تحولت واضطجعت على فراشها.

براءة السيدة عائشة :

لم يزل الرسول ﷺ فى مجلسه حتى نزل عليه الوحى بقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [2] .

فسرى عن الرسول ﷺ وهو يضحك ويبشر عائشة بالبراءة .

---

(١) سورة يوسف : ١٨ .

(٢) سورة النور : ١١-٢١ .

فقالت لها أمها : قومى واشكرى رسول الله ﷺ .

فقالت : لا والله لا أشكر إلا الذى برأنى .

جزاء القاذف :

لقد نزل عقاب الذين يقذفون المحصنات بغير علم والذين يريدون أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين والمؤمنات ، وكان حد القذف ثمانين جلدة .

يقول تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[(١)].

عقاب أهل الإفك :

أمر رسول الله أن يجلد أهل الإفك ثمانين جلدة وهى حد القاذف .

وكانوا ثلاثة حمنة بنت جحش ، ومسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت (وهو شاعر فحل فى عصره) .

وكان أبو بكر ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه ، فلما تكلم بالإفك قطع عنه نفقته .

فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[(٢)] .

فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : بل نحب يا رسول الله . وأعاد النفقة على مسطح .

يقول السير وليم مور تعليقا على هذا الحديث (أى حديث الإفك) : إن حياة السيدة عائشة قبل هذا الحادث وبعده تدعونا إلى القطع ببراءتها وعدم التردد فى إدحاض أية شبهه أثيرت حولها[(٣)].

---

(١) سورة النور : ٤ .

(٢) سورة النور : ٢٢ .

(٣) حياة محمد – ص٣٥١ .

وأضاف يقول :

فهذه مضار المنافقين الذين يدخلون بين الأمم مظهرين لهم المحبة وقلوبهم مملوءة حقدا يتربصون الفتن فمتى وجدول لها بابا ولجوه .

تلك شهادة مستشرق غربى استشفها بفطرته مستدلا عنها بقرائن قوية ثابتة استمدها من حياة السيدة عائشة ، وكان من الواجب أن تعيها تلك العقول الغافلة والقلوب الحاقدة ولكن حقدت القلوب وعمت العقول .

اعتذار حسان بن ثابت :

اعتذر حسان بن ثابت الشاعر عما بدر منه فى حق السيدة عائشة فى حديث الإفك ، وأبدى أسفه والصفح فى قصيدة عصماء تحكى عذره وتشيد بالسيدة عائشة وبحسبها ونسبها وطهارتها وطهرها من كل دنس وسوء وباطل وأن الذى قيل فى حقها باطل وليس له أساس من الصحة .. وأنشد يقول :

عقيلة حى من لؤى بن غالب	كرام المساعى مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله ضمها	وطهرها من كل سوء وباطل
فإن كنت قد قلت الذى قد زعم	فلا رفعت سوطى إلى أناملى
وكيف وودى ماحييت ونصرى	لآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم	تقاصر عنه سورة المتطاول
فإن الذى قد قيل ليس بلائط	ولكنه قول امرئ بى جاهل

وكان لذكاء رسول الله ﷺ وحسن تصرفه ومواجهة الأمور بحكمة وتدبير فى وقت دقيق وظروف حرجة ، ثم عفوه عن مرتكبى هذه الأفعال فى الوقت الذى هم يستحقون فيه أشد العقاب وتنفيذ حد القاذف ، لهودليل قاطع على نفسية طيبة مؤمنة وروح قيادية واعية وكرم أخلاق ، وكيف لا والله سبحانه هو الذى اختاره ورباه على الإيمان والخلق الكريم وجعله رحمة للعالمين .

سرية دومة الجندل

" فى شهر شعبان "

استدعى النبى ﷺ عبد الرحمن بن عوف وأقعده بين يديه ، وعممه بيده ، وبعثه على رأس سبعمائة رجل إلى بنى كلب فى دومة الجندل .

وأوصاه النبى ﷺ قبل خروجه من المدينة بقوله : " **اغز باسم اللـه وفـى سـبيل الله ، فقاتل من كفر بالله لا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليدا** " .

ثم قال له : " **إن استجابوا لك فتزوج ملكهم** " فسار عبد الرحمن بجيشـه حتـى بلغ دومة الجندل ، فمكث ثلاثة أيـام يدعـو أهلهـا للإسـلام ، فأسـلم فـى اليـوم الثـالث رئيسهم الأصبغ بن عمرو الكلبى ، وكان نصرانيا وأسلم معه عدد كبير مـن قومـه ، ومن بقى منهم على دينه أخذت منه الجزية .

ثم تزوج عبد الرحمن بن عوف تماضر بنت الأصبغ تلبية لوصيـة رسـول اللـه ﷺ وقدم بها إلى المدينة وأنجبت له ولده أبا مسلمة .

وأمثال هذه المصاهرات تعتبر من أعظـم الأسـباب لتوطيـد الـود والمحبـة بيـن القبائل كما أنها عامل من عوامل انتشار الإسلام بين الناس .

سرية على إلى فدك [١] : " فى شهر شعبان "

بعث رسول الله على بن أبى طالب على رأس مائة من المسلمين لتأديب بنـى سـعد من بكر بفدك ؛ وذلك لأنهم كانوا يجمعون الجيوش لمساعدة يهود خيبر على المسلمين .

وسار على بجيشه حتى وصل لفجح (اسم مكان به ماء بين خيبر وفدك) فوجدوا به رجلا .

فقالوا له : ما أنت ؟ .

فقال : أطلب شيئا ضل منى .

فسألوه : هل لك من علم بما وراءك من جمع بنى سعد ؟

قال : لا علم لى به .

فلما شدوا عليه أقر أنـه جاسـوس لهـم بعثـوه إلـى خيـبر ليعـرض علـى يهودهـا نصرهـم مقـابل أن تجعلـوا لهـم مـن تمرهـم كمـا جعلـوا لغـيرهم . ثـم أخـبرهم علـى سرحهم : فأغار المسلمون عليها وأخذوا خمسمائة بعير وألفى شاة .

---

(١) فدك : قرية بينها وبين المدينة ست ليالٍ من جهة خيبر .

أما بنو سعد عندما علموا بمقدم المسلمين ولوا الأدبار منهزمين ليس معهم سوى نسائهم وأبنائهم .

ثم عاد على وأصحابه إلى المدينة ، وقسم الرسول الغنائم على مستحقيها .

سرية قتل أبى رافع " فى شهر رمضان "

تعقب المسلمون بعد قضائهم على بنى قريظة بسبب غدرهم ، كل من عرف بعداوته للإسلام ، وكان على رأس اليهود الذين آذوا المسلمين (أبو رافع أبى الحقيق) فقد أعان غظفان وغيرهم من مشركى العرب بالمال الكثير ليحاربوا الرسول ﷺ وكان من زعماء اليهود البارزين الذين حزبوا الأحزاب للقضاء على الدعوه الإسلامية وأتباعها .

وكانت الأوس والخزرج تتسابقان على عمل ما يرضى رسول الله ﷺ ؛ لذا استأذنت الخزرج فى قتل أبى رافع بن الحقيق ؛ وذلك لما أصابت الأوس كعب بن الأشرف .

قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبدا فتذكروا من رجل لرسول الله ﷺ فى العداوة كابن الأشرف .

فذكروا ابن أبى الحقيق وهو بخيبر ،فاستأذنوا رسول الله ﷺ فى قتله فأذن لهم.

فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر منهم : عبد الله بن عتيك أميرهم ، ومسعود بن شنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربعى، وخزاء بن الأسود [١] .

وصلت السرية حصن أبى رافع بأرض الحجاز فانطلقوا حتى دنوا من حصنه وقد غربت الشمس ورجع الناس بمواشيهم التى ترعى وتسرح ويروى بنا بقية القصة عبد الله بن عتيك فيقول : قال عبد الله لأصحابه : اجلسوا أماكنكم فإنى منطلق ومتلطف لعلى أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى

---

(١) سيرة ابن هشام ج٣ ص٤٣ طبعة الحلبى .

حاجة حتى لا يعرف ، وقد دخل الناس ، فهتف البواب يـاعبد اللـه إن كنـت تريـد أن تدخل فإنى أريد أن أغلق البـاب ، فدخلت فكمنت فلما دخل النـاس وأغلق البـواب الباب ، ثم غلق الأغاليق (أى المفاتيح) على وتد .

قال ابن عتيك : فقمت إليها فأخذتها ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يسمر عنده الناس ليلا للتحدث فى مختلف الأمور ؛ لأنه زعيم خيبرالأكبر .

فلما ذهب عنه أهل سمرة صعدت إليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقـت علـى مـن داخل قلت : إن القوم أحسوا بى لم يخلصوا على حتى أقتله.

فانتهيت إليه فإذا هو فى بيت مظلم وسط عياله لا أدرى خصوص المكان الذى هو فيه .. فقلت : يا أبا رافع لأعرف موقفه .

قال : من هذا ؟

فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة بالسيف وأنا دهش (أى: حيران) فما أغنت شيئا .

وصاح أبو رافع فخرجت من البيت فمكثت غـير بعيد ثم دخلت عليه ـ كأنى أغيثه وغيرت صوتى فقلت : ما هذا يا أبا رافع؟ قال : لأمك الويل ، إن رجلا فى البيت ضربنى قبل بالسيف .

قال عبد الله : فضربته ضربة أثخنته ، أى جرحته جرحا بليغا ، ولم أقتله.

قال :ثم وضعت ضبيب السيف فى بطنه حتى دخل فى ظهره فعلمت أنى قتلته.

فجعلت أفتح الأبواب بابا بابا حتى انتهيت إلـى درجة لـه فوضعت رجلى وأنا أرى أنى قد انتهيت إلى الأرض ؛ لأنه كان رضى الله عنه ضعيف البصر (كما جاء فى بعض الروايات) فوقعت فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب .

فقلت : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته أم لا .

فلما صاح الديك قام الناعى على السور .

فقال : أنعى إليكم أبا رافع تاجر أهل الحجاز .

قال : فانطلقت إلى أصحابى فقلت : النجاة ، أى أسرعوا فقد قتل الله أبا رافع.

فانتهيت إلى رسول الله ﷺ فحدثته بما وقع .

فقال : " **ابسط رجلك** " .

فبسطتها فمسحها فكأنما لم أشتكها قط .

وفى رواية أخرى عن ابن عتيك . قال : قدمنا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر .

فقال : " **أفلحت الوجوه** " [1] .

وبمقتل أبى رافع دب الرعب فى قلوب يهود خيبر ، وزالت عن طريق الإسلام عقبة كأداء طالما آذت المسلمين وكان مقتله كتمهيد لفتح خيبر .

سرية قتل أسير

" فى شهر رمضان وشوال "

بعد مقتل أبى رافع بن أبى الحقيق تولى أسير بن رزام زعامة يهود خيبر ، فأخذ أسير هذا يجمع بنى غطفان ليعقد معهم العقود ،والاتفاقيات ليكونوا معه عندما يشتبك مع المسلمين فى حرب وأخذ يشجع اليهود بعد ذلك على الحرب وغزو النبى ﷺ فى عقر داره .

ولما بلغ رسول الله ﷺ ذلك أرسل هذه سرية من ثلاثة من المسلمين على رأسهم عبد الله بن رواحة ليعرفوا أخبار أسير بن رزام .

وصل عبد الله بن رواحة إلى ناحية خيبر ودخل فى حائطها ، دون أن يفطن إليه أحد وفرق زملائه على الحصون ، وأخذ الجميع يستطلعون الأخبار حتى عرفوا أن أسير بن رزام يجمع الجموع لغزو المسلمين فى المدينة .

---

(١) صحيح البخارى (باب قتل أبى رافع) ج٥ص١١٧ ، وهناك روايات أخرى فى قتل أبى رافع، ولكن نرى أصحها ما ورد فى البخارى ـ شرح المواهب اللدنية للزرقانى ج٢ص١٧٠ .

ولما تم لعبد الله وزملائه الثلاثة التأكد من صحة ما سمعوا ذهبوا إلى الرسول ﷺ فأخبروه الخبر.

رأى النبي - ﷺ - بحسن سياسته أن يرسل إلى أسير بن رزام من يدعوه إلى القدوم على المدينة لمفاوضته فيما يريد .

وندب لتلك المهمة ثلاثين رجلا برئاسة عبد الله بن رواحة رضى الله عنه فوصلوا إلى خيبر فى شوال من نفس السنة .

فلما دخلوا على أسير بن رزام قالوا له : نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له ؟ .

قال : نعم ولى منكم مثل ذلك .

قالوا له : إن رسول الله ﷺ قد بعثنا إليك ليستعملك على خيبر ويحسن إليك .

فطمع فى ذلك ، واستشار بعض اليهود فى الخروج إلى المدينة فخالفوه ولكنه خرج ومعه ثلاثون رجلا من اليهود ، وخرج معه المسلمون .

فلما كانوا (بالقرقرة) ندم أسير على خروجه إلى المدينة ، وحاول أن يستل سيفه ليغدر بالمسلمين .

ففطن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه له وهو يريد السيف .

فقال له : أغدر يا عدو الله ، ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضرب (أسير) عبد الله ابن أنيس بمخراش فى يده ،أى بآلة من شجر الجبال ، الذى يتخذ منه القسى فشجه.

ومال كل رجل من المسلمين على صاحبه من اليهود فقتله، إلا رجل واحد أفلت على رجليه .

ولم يصب من المسلمين أحدا ثم قدموا إلى الرسول ﷺ فحدثوه بما جرى لهم مع (أسير) ورجاله .

فقال ﷺ : " **قد نجاكم الله من القوم الظالمين** " .

وبمقتل أسير بن رزام تخلص المسلمون من يهودى طاغية أراد أن يغزوهم فى دارهم ، وأظهر الغدر للمسلمين فجنى على نفسه بغدره وظلمه .

سرية كرز إلى العرينين

" فى شهر شوال "[١]

فى شهر شوال من هذه السنة قدم على رسول الله ﷺ ثمانية نفر من قبيلتى عكل وعرينة فأظهروا إسلامهم وبايعوا الرسول ﷺ وكانوا سقاما مصفرة ألوانهم ، منتفخة بطونهم .

فقالوا : يا رسول الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، وإن هواء المدينة لا يوافقنا .

فأمر لهم النبى ﷺ بزود من الإبل معها راع وأمرهم بالبقاء معها فى مرعاها بالصحراء ليشربوا من ألبانها ففعلوا .

فلما عادت إليهم عافيتهم ، وصحتهم كفروا بعد إسلامهم وعدوا على الإبل فاستاقوها ثم انقضوا على الراعى فقتلوه وقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك فى لسانه .

فلما بلغ ذلك الرسول ﷺ بعث فى إثرهم كرز بن جابر فى عشرين راكبا فلحقوا بهم فأسروهم جميعا ثم عادوا بهم إلى المدينة ، فأمر النبى ﷺ بأن يمثل بهم كما مثلوا بالراعى .

فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت عيونهم وتركوا فى ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم ، وقد نهى النبى ﷺ بعد ذلك عن المثلة .

وهكذا يكون جزاء الغادرين الذين يقابلون الإحسان بالإساءة وكرم المعاملة باللؤم والخيانة والاعتداء .

حنين المسلمين إلى الكعبة :

انقضت ست سنوات من الهجرة والمسلمون يتحرقون شوقا ، يريدون زيارة الكعبة ويريدون الحج والعمرة وإذ هم على هذا الشوق يقول لهم رسول الله ﷺ : إنه رأى رؤيا أنهم يدخلون المسجد الحرام محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون .

---

(١) مكان على بعد سبعة أميال من خيبر .

فما كاد القوم يسمعون أنهم سيدخلون المسجد الحرام حتى هللوا وكبروا بحمد الله .

وانتشر الخبر كالبرق فى المدينة وبين القبائل ، ودعوة الرسول سائر القبائل للحج .

دعوة الرسول سائر العرب للحج

استنفر الرسول ﷺ الأعراب غير المسلمين الذين هم حول المدينة ليكونوا معه فى الخروج إلى حج البيت الحرام آمنين غير مقاتلين .

فخرج عليه الصلاة والسلام بمن معه من المهاجرين والأنصار ، وكانت عدتهم ألفا وخمسمائة وبعض الأعراب وأبطأ البعض الآخر على النبى ﷺ وتخلصوا بقولهم: شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا .

سار النبى ﷺ وولى على المدينة عبد الله بن أم مكتوم وأخرج معه زوجته أم سلمة لعمل العمرة وأخرج الهدى لتعلم قريش أنه لم يأت لحربهم ولم يكن مع أصحابه شيء من السلاح سوى سيوف فى قرابها .

مسيرة رسول الله ﷺ

" فى شهر ذى القعدة "

سار الركب المحمدى حتى وصل عسفان [1] فجاء رجل من بنى كعب فسأله ﷺ عن قريش .

فقال : إن قريش قد أجمعت رأيها أن يصدوا المسلمين عن مكة وأن لا يدخلوها عنوة أبدا وتجهزوا للحرب وأعدوا خالد بن الوليد فى مائتى فارس طليعة لهم لصد المسلمين .

فقال عليه الصلاة والسلام :"**هل من رجل يأخذ بنا على طريق غير طريقهم؟**" .

فقال رجل من قبيلة تدعى أسلم :أنا يا رسول ، فسار بهم فى طريق وعرة ثم خرج إلى مكان سهل يملك مكة من أسفلها .

---

(١) مكان على مرحلتين من مكة .

فلما رأى خالد ما فعل المسلمون رجع إلى قريش وأخبرهم الخبر ، ولما وصل ﷺ إلى ثنية المراد (مهبط الحديبية) بركت ناقته فزحزحوها وزجروها فلم تقم .

فقالوا : خلأت القصواء (أى حزنت) .

فقال ﷺ : "**ما خلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل، والذى نفس محمد بيده لا تدعونى قريش بخصلة فيها تعظم حرمات الله إلا أجبتهم إليها**".

مع أن المسلمين لو قاتلوهم فى مثل هذا الوقت لظفروا بهم ولكن الله سلم وأراد أن يكون هذا البيت حرما آمنا تأتى إليه المسلمون من جميع الأقطار ويوطدون دعائم أخوتهم ورابطتهم فيه ، فكف أيدى المسلمين عن قريش وأيدى قريش عن المسلمين حتى لا تنتهك حرمات هذا البيت .

ثم أمرهم ﷺ بالنزول فى أقصى الحديبية وهناك جاء رسول قريش .

رسول قريش :

وهناك جاء بديل بن ورقاء الخزاعى رسولا من قريش ، يسأل عن سبب مجىء المسلمين فأخبره ﷺ بمقصده ، فلما رجع بديل إلى قريش وأخبرهم بذلك اتهموه ولم يثقوا به ؛ لأنه من قبيلة خزاعة الموالية للرسول ﷺ .

وقالوا : أيريد محمد أن يدخل علينا جنوده معتمرا وتسمع العرب أنه قد دخل علينا فى جنوده معتمرا عنوة وبينا وبينه من الحرب ما بيننا ؟ والله لا كان هذا أبدا وفينا عين تطرف.

فأرسلوا بعده جليس بن علقمة سيد الأحابيش وهم حلفاء قريش ، فلما رآه ﷺ قال : " **هذا من قوم يعظمون الهدى ابعثوا فى وجهه حتى يراه** " ففعلوا واستقبله الناس يلبون ، فلما رأى جليس ذلك رجع وقال : سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا ، أتحج لخم وجذام وحمير ، ويمنع عن البيت ابن عبد المطلب، هلكت قريش ورب الكعبة، إن القوم أتوا معتمرين ، فلما سمعت قريش منه ماقال . قالوا له : جليس ، إنما أنت أعرابى لا علم لك بالمكائد ، ثم أرسلت عروة بن مسعود الثقفى سيد أهل الطائف . فتوجه إلى رسول الله ﷺ .

وقال : يا محمد قد جمعت الناس ثم جئت أهلك وعشيرتك لتحاربهم بمن معك ، لقد خرجت قريش لتعاهد الله أن لا تدخل عليهم عنوة أبدا وأيم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك .

فساءه أبو بكر وقال له : نحن ننكشف عنه ؟ ويحك .

وكان عروة يتكلم وهو يمس لحية رسول الله ﷺ ، فكان المغيرة بن شعبة يقرع يده إذا أراد ذلك.

ثم رجع عروة وقد رأى ما يصنع الرسول ﷺ وأصحابه لا يتوضأ وضوءا إلا كادوا يقتتلون عليه ويتمسحون به ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون النظر إليه .

فقال عروة لقريش لما وصلهم : والله يا معشر قريش لقد جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى عظمته ، فما رأيت ملكا فى قومه مثل محمدا فى أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا ، فانظروا رأيكم ، فاقبلوا ما عرض عليكم فإنى لكم ناصح ، مع أنى أخاف ألا تنصروا عليه .

فقالت قريش لا تتكلم بهذا ، ولكن نرده هذا العام ويرجع إلى قابل .

وكان النبى ﷺ قد اختار عثمان بن عفان رسولا من عنده لقريش يخبره بمقصده هذا .

وقد استأذن عثمان بن عفان ومعه عشرة من الصحابه الرسول ﷺ فى زيارة أقاربهم ، وأمر ﷺ أن يأتى عثمان المستضعفين من المؤمنين بمكة فيبشرهم بقرب الفتح ، وأن الله ناصر دينه .

فدخل عثمان مكة فى جوار أبان بن سعد الأموى فبلغ ما حمل .

فقالوا : إن محمد لا يدخل علينا عنوة أبدا ، ثم طلبوا منه أن يطوف بالبيت.

فقال : لا أطوف ورسول الله ﷺ ممنوع .

ثم إنهم حبسوه فشاع عند المسلمين أن عثمان قد قتل .

فقال النبى ﷺ حين سمع ذلك : لا نبرح حتى نناجزهم الحرب .

بيعة الرضوان :

هنا دعا الرسول ﷺ الناس للبيعة على القتال فبايعوه تحت الشجرة (سميت بشجرة الرضوان) هناك على القتال حتى الموت ، فشاع أمر هذه البيعة فى قريش فداخلهم منها رعب عظيم ، وكانوا قد أرسلوا خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص ليطوفوا بعسكر المسلمين علهم يصيبون منهم على غرة ، فأسرهم حارس الجيش محمد بن مسلمة وهرب رئيسهم ، ولما علمت قريش بذلك جاء جمع منهم وأخذوا يناوشون المسلمين حتى أسرمنهم اثنا عشر رجلا وقتل من المسلمين واحد .

وفى هذه البيعة يقول الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّـهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً** ﴾ [١] .

صلح الحديبية " مارس ٦٢٨ "

خافت قريش وأرسلت سهيل بن عمرو للتفاوض فى الصلح، فلما جاء قال : يامحمد إن الذى حصل ليس من رأى عقلائنا بل شىء قام به السفهاء منا فابعث إلينا بمن أسرت.

فقال ﷺ : "**حتى ترسلوا من عندكم** " وعندئذ أرسلوا عثمان والعشرة الذين معه، ثم عرض عليهم سهيل الشروط التى تريدها قريش وهى :

أولا : وضع الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنوات .

ثانيا : من جاء المسلمين من قريش يردونه ، ومن جاء قريشا من المسلمين لا يلزمون برده .

ثالثا : أن يرجع النبى من غير عمرة هذا العام ، ثم يأتى العام المقبل فيدخلها بأصحابه بعد أن تخرج قريش منها فيقيم بها ثلاثة أيام ليس مع أصحابه من السلاح إلا السيف فى القراب والقوس .

---

(١) سورة الفتح : ١٨ .

رابعا : من أراد أن يدخل فى عهد محمد من غير قريش دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل فى حلف قريش دخل فيه .

قبول الشروط :

قبل عليه الصلاة والسلام هذه الشروط رغم قسوتها فى نظر المسلمين الذين داخلهم منها أمر عظيم .

وقالوا : سبحان الله كيف نرد إليهم من جاءنا مسلما ولا يردون من جاءهم مرتدا ؟

فقال عليه الصلاة والسلام : " **إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم فرددناه فسيجعل الله له فرجا ومخرجا** " .

أما الأمر الثالث : فهو صد المسلمين عن الطواف بالبيت .

فكان أشد تأثيرا فى قلوبهم ؛ لأن الرسول أخبرهم أنه رأى فى منامه أنهم دخلوا البيت آمنين .

وقد سأل عمر أبا بكر رضى الله عنه عن ذلك وقال : كيف يقبل هذا المسلمون أن يردوا عن الطواف بالبيت ، وقد رأى فى منامه أنهم دخلوا البيت آمنين .

فقال أبو بكر : وهل ذكر أنه فى هذا العام ؟!

كتابة شروط الصلح :

قام على بن أبى طالب بكتابة شروط الصلح بين الطرفين ، فأملاه رسول الله ﷺ (بِسمِ اللّهِ الرّحمَنِ الرّحيمِ) .

فقال سهيل : اكتب (باسمك اللهم) فأمره الرسول بذلك . ثم قال : " **هذا ما صالح عليه محمد رسول الله** " .

فقال سهيل : لو نعلم أنك رسول الله ما خالفناك فاكتب (محمد بن عبد الله) فأمر عليه السلام بمحو ذلك وكتابة (محمد بن عبد الله) فامتنع على بن أبى طالب، فمحاها النبى ﷺ بيده وكتب نسختان نسخة لقريش وأخرى للمسلمين .

تنفيذ شروط الصلح :

بعد كتابة الشروط جاء المسلمون أبو جندل بن سهيل وكان من المسلمين الممنوعين من الهجرة ، فجاء المسلمون ليحموه فقال له ﷺ : " **اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، إنا قد عقدنا بين القوم صلحا ، وأعطيناهم على ذلك عهدا فلا نغدر بهم** " .

وقدم أبو بصير من مكة إلى المدينة مسلما ينطبق عليه العهد برده إلى قريش ؛ لأنه خرج بغير إذن مولاه ، فكتب أزهر بن عوف والأخنس بن شريق إلى النبى ﷺ كى يرده وبعثا بكتابهما مع رجل من بنى عامر ومعه مولى لهم .

قال النبى : " **يا أبا بصير إنا قد أعطينا لهؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصح لنا فى ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق إلى قومك** " .

قال أبو بصير : يا رسول الله أتردنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى؟ ، فكرر عليه النبى قوله .

فانطلق مع الرجلين حتى إذا كان بذى الحليفة ، سأل أخا بنى عامر أن يريه سيفه ، وما أن استوت قبضته فى يده حتى علا به العامرى فقتله ، فرجع المولى يعدو ناحية المدينة حتى أتى النبى ﷺ .

فلما رآه قال : " **إن هذا الرجل قد رأى فزعا** " .

ثم قال للرجل : " **ويحك ، ما بك ؟** " .

قال : قتل صاحبك . ثم ما برح حتى طلع أبوبصير متوشحا السيف موجها حديثه إلى رسول الله وهو يقول : يا رسول الله ، وفت ذمتك وأوى الله عنك أسلمتنى بيد القوم وقد امتنعت بدينى أن أفتن فيه أو يعبث بى ولم يجب رسول الله إعجابا به .

سمع بعض المسلمين بمكة بما فعله أبو بصير ففر عدد منهم بلغ السبعين رجلا قطعوا الطريق على تجارة قريش من ناحية البحر "الساحل" إلى الشام ، ولما جاءت

قريش ذلك لم تحرص على المسلمين الموجودين والمحتجزين بها بعد خطر أبو بصير وأتباعه وتنازلت قريش عن الشرط الثانى الخاص بهذا .

فرت أم كلثوم بنت عتبة بن أبى معيط بعد الهدنة فخرج أخواها عمارة ، والوليد يطلبان إلى رسول الله ﷺ أن يردها عليهم بحكم عهد الحديبية . ولكن رسول الله ﷺ أبى ورأى أن هذا العهد لا يسرى على النساء حكمه ، إن النساء إذا استجرن وجبت إجارتهن ونزل قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا جَآءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلاَ تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

وبمقتضى هذا الصلح دخلت قبيلة خزاعة فى عهد الرسول ﷺ ودخل بنو بكر فى عهد قريش .

العمرة :

بعد أن تم توقيع الصلح وانتهى الأمر ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يتحللوا من العمرة بحلق الرؤوس ونحر الهدى فعظم ذلك عليهم حتى أنهم لم يبادروا بالامتثال .

فدخل النبى ﷺ على أم سلمة أم المؤمنين وقال لها : " **هلك المسلمون . أمرتهم فلم يمتثلوا** " .

فقالت : يا رسول الله أعذرهم فقد حملت نفسك أمرا عظيما فى الصلح فرجع المسلمون من غير فتح بذلك مكروبون ، ولكن اخرج يا رسول الله وابدأهم بما تريد فإن رأوك سبقوك .

وتقدم الرسول ﷺ إلى الهدى فنحر وحلق ففعلوا ، ثم رجع المسلمون إلى المدينة وقد أمن كل فريق الآخر ، وقد علم الصحابة أن رأى رسول الله ﷺ كان

---

(١) سورة الممتحنة : ١٠ .

أفضل حيث كان فيه أمن للمسلمين ، إذ كان بينهم كفار خرجوا مع الرسول ﷺ للعمرة .

ففرح المسلمون بهذا الصلح حتى قال أبو بكر رضى الله عنه : ما كان فى الإسلام أعظم من فتح الحديبية .

ويقول عزَّ وجلَّ فى هذا الشأن : ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً . لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً** ﴾ [1].

بعث عمرو لقتل أبى سفيان [2] :

يقول ابن سعد وغيره: إن أبا سفيان بن حرب جلس يوما فى نادى قومه فقال: ألا يذهب رجل إلى محمد فيقتله فنستريح منه فإنه يمشى فى الأسواق .

فأتاه رجل من الأعراب .

فقال : لقد وجدت أشجع الرجال قلبا ، وأشدهم بطشا ، وأسرعهم شدا ، فإن أنت قويتنى خرجت إليه حتى أغتاله [3] .

فسر أبا سفيان لحديث الأعرابى ، وقال له : أطو أمرك عن الناس ثم أعطاه بعيرا ونفقة أجرا له على أداء مهمته .

وصل الأعرابى إلى المدينة وأخذ يسأل عن رسول الله ﷺ حتى وصل إليه فعقل راحلته ثم توجه إلى الرسول ﷺ وهو فى مسجد بنى عبد الأشهل ، فلما رآه رسول الله ـ ﷺ قال : " **إن هذا الرجل ليريد غدرا وإن الله حائل بينه وبين ما يريد** " .

ثم أقبل الرجل لينحنى على رسول الله ﷺ فجذبه أسيد بن حضير من إزاره فسقط الخنجرعلى الأرض ، فارتاع الرجل وانقض عليه أسيد فخنقه خنقا شديدا فقال رسول الله ﷺ للأعرابى : "**اصدقنى من أنت ؟** ".

---

(١) سورة الفتح : ١ ، ٢ .
(٢) يقول ابن سعد: إن هذا البعث كان قبل حلف الحديبية .
(٣) طبقات ابن مسعود ج٢ ص٨٨ بتصرف .

فقال الرجل : أنا آمن إن صدقتك ؟ .

قال : " **نعم** " .

فأخبره بأمره وبما قاله أبو سفيان فخلى عنه رسول الله ﷺ .

فقال الأعرابى : والله يا محمد ما كنت أخاف الرجال فما هو إلا أن رأيتك حتى ذهب عقلى ، وضعفت نفسى ثم إنك اطلعت على ما هممت به حتى لم يعلمه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق ، وأن حزب أبى سفيان حزب الشيطان ،ثم أسلم.

أرسل رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمرى ،وسلمة بن أسلم إلى أبى سفيان.

وقال لهما : " **إن أصبتما منه غرة فاقتلاه** " .

فخرجا حتى أتيا مكة ليلا فاتجها شطر المسجد الحرام ليطوفا به قبل أن يؤديا ما أرسلا من أجله ، فعرف عمرو أحد رجال مكة فصاح قائلا : هذا عمرو بن أمية ما جاء إلا بشر .

وأخذ الناس يتجمعون للقبض عليه ، فلما أيقن عمرو أنه لن يستطيع أن يصل إلى أبى سفيان بعد ، هرب هو وصاحبه ورجعا إلى المدينة .

وفى الطريق لقى عمرو بن أمية رجلا لقريش فقتله ، ثم قتل آخر أيضا عندما كان يقول :

ولست بمسلم ما دمت حيا ولست أدين دين المسلمين

ثم لقى جاسوسين على المسلمين لقريش فقتل أحدهما وأسر الآخر ولما عاد إلى النبى ﷺ قص عليه مادار فضحك ودعا له بخير .

مكاتبة الملوك والأمراء :

بعد صلح الحديبية [١] استقرت الأمور فى المدينة وأخذ الرسول ﷺ يكاتب الملوك والأمراء خارج شبه الجزيرة العربية وقد اتخذ لذلك خاتما من فضة . وكان نقشه (محمد رسول الله) .

---

(١) كسرى: لقب يطلق على كل ملك يحكم الفرس .

وممن كاتبه كسرى ملك الفرس ، وقيصر ملك الروم ، والنجاشى ملك الحبشة ، والمقوقس ملك مصر ، وغيرهم .

كتاب كسرى [1] ملك الفرس :

كسرى أول الذين كاتبهم رسول الله ﷺ والذى كان فى عصره هو (أبرويز بن هرمز بن أنوشروان) وكان ملكا شديد البطش ، نافذ الرأى ، قد بلغ من الظفر ومسالمة الدهر حدا لم يبلغه ملك من الملوك كان ملكة ثمانى وثلاثون سنة .

ومن أمره أنه كان إذا ركب ، ركب معه رجلان فيقولان له ساعتئذ: أنت عبد ولست برب . فيشير برأسه أى نعم . فركب يوما فقالا له ذلك فلم يشر برأسه . فشكواه لصاحب الشرطة فركب يعاتبه .

وكان كسرى قد نام ؛ فلما وقع صوت حوافر الخيل فى أذنه استيقظ فدخل عليه صاحب الشرطة فقال : أيقظتمونى ، إنى رأيت كأنه رقى بى فوق سبع سموات فوقفت بين يدى الله تعالى ؛ وإذا رجل بين يديه عليه إزار ورداء فقال لى : سلم مفاتيح خزائن الأرض إلى هذا ألست المأمور بكذا فلم تفعل ؟ وإنى أردت أن أقولها فأستردها منه فأيقظتمونى .

وصاحب هذا الإزار والرداء هو نبينا محمد ﷺ .

حامل الرسالة :

بعث عليه الصلاة والسلام عبد الله بن حذافة بن قيس السهمى ومعه كتاب.

نص الكتاب :

بِسمِ اللّهِ الرّحمَنِ الرّحِيمِ

من محمد رسول الله النبى . إلى كسرى عظيم الفرس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله . وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله . أدعوك بدعاية الله عزَّ وجلَّ فإنى رسول الله إلى الناس كافة لأنذر

---

(١) وقد جزم العلامة المنصور فرأى أن النبى ﷺ أرسل هذه المكاتبات غرة المحرم سنة سبع من الهجرة قبل الخروج إلى خيبر بأيام لصحيح البخارى ٢ / ٨٧٢ ، ٨٧٣ .

من كان حيا ويحق القول على الكافرين . فأسلم تسلم . فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك .

فلما قرأ الكتاب مزقه وقال : يكتب إلى بهذا وهو عبدى .. فبلغ هذا رسول الله ﷺ فقال : " مزقه مزق الله ملكه " . أو قال : " اللهم مزق ملكه كل ممزق " .

الأمر بأخذ الرسول إلى كسرى :

كتب كسرى إلى باذان ، وهو حاكم اليمن وتابع له أن ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز . رجلين جلدين يأتيانى به .

فبعث إليه رجلين خرجا حتى قدما إلى المدينة على رسول الله ﷺ فقالوا له : إن ملك الملوك كسرى كتب إلى باذان أن يبعث إليك من يأتيه بك . وقد بعثنا إليك لتنطلق معنا فإن فعلت كتبنا فيك إلى ملك الملوك ينفعك . ويكف عنك به . وإن أبيت فهو من قد علمت ، وهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك .

فقال لهما : " ارجعا حتى تأتيانى غدا " . وأتى رسول الله ﷺ الخبر بأن الله سلط على كسرى ابنه فقتله .

فقالا : هل تدرى ما تقول ؟ .

فإنا قد خفنا منك . وما هون أيسر من هذا . أفنكتب عنك ونخبر الملك؟ .

قال : " نعم أخبراه ذلك عنى وقولا له: إن دينى وسلطانى سيبلغ ما بلغ ملك كسرى " .

وقولا له : " إن أسلمت أعطيتك الناس تحت يديك وملكتك على قومك " .

فخرجا من عنده حتى بلغا باذان فأخبراه الخبر فقال : والله ما هذا كلام ملك وإنى لأرى الرجل نبيا .فإن كان ما قال حقا فهو نبى مرسل فإن لم يكن فسيرى فيه رأيا .. فلم يلبث أن قدم عليه كتاب شيرويه وفيه :

أما بعد :

فإنى قد قتلت كسرى ولم أقتله إلا غضباً لفارس مما كان إستحل من قتل أشرافهم فإذا جاءك كتابى هذا فخذ لى الطاعة ممن قبلك وانظر إلى الرجل [١] الذى كتب لك فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمرى فيه .

قال باذان : إن هذا الرجل لرسول الله حقاً . فأسلم وأسلمت الأنباء من فارس.

٢- كتاب الرسول إلى قيصر[٢] الروم :

والذى كاتبه به النبى ﷺ هو : هرقل . قيصر الروم . والذى حمل الكتاب . إليه. دحية الكلبى . أمره ﷺ أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليوصله للملك.

نص الكتاب

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من محمد بن عبد الله . إلى هرقل عظيم الروم .

سلام على من اتبع الهدى . أما بعد :-

فإنى أدعوك بدعاية الإسلام . أسلم تسلم يؤتيك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الاريسيين (أى الفلاحين) ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا تعبدوا إلا الله ولا تشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ؟

شهادة هرقل للنبى :

لما وصل كتاب محمد ﷺ إلى قيصر الروم « هرقل » نظر فيه . وقال انظروا لنا من قومه أحداً نسأله عنه . وكان أبو سفيان بن حرب بالشام مع رجال من قريش فى تجارة .

---

(١) الرجل . هو رسول الله ﷺ .

(٢) قيصر لقب يطلق على كل من حكم وملك الروم .

فجاءت رسل قيصر لأبى سفيان ودعوه لمقابلة الملك . فأجاب . ولما قدموا عليه فى القدس . قال لترجمانه : سلهم أيهم أقرب نسباً لهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى الله . فقال أبو سفيان . أنا . لأنه لم يكن فى الركب من بنى عبد منـاف غيره . فقال قيصر . أدن منى .

ثم أمر بأصحابه فجعلوا خلف ظهره . ثم قال لترجمانه . قل لأصحابه إنما قدمت هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى وقد جعلتكم خلفه كيلا تخجلوا من رد كذبه عليه إذا كذب . قال أبو سفيان : فوالله لولا الحياء من أن يأثروا على كذباً لكذبت عنه .

ثم سأله كيف نسب هذا الرجل فيكم ؟ . قال أبو سفيان : هو فينا ذو نسب ، قال هل تكلم بهذا القول أحد منكم قبله ؟ .

قال : لا .

قال : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ .

قال : لا .

قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟

قال : لا .

قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟

قال : بل ضعفاؤهم .

قال : فهل يزيدون أم ينقصون ؟

قال : بل يزيدون .

قال : هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه ؟ .

قال : لا .

قال : هل يغدر إذا عاهد ؟ .

قال : لا . ونحن الآن منه فى ذمة لا ندرى ما هو فاعل فيها ؟ .

قال : فهل قاتلتموه ؟ .

قال : نعم .

قال : فكيف حربكم وحربه ؟ .

قال : الحرب بيننا وبينه سجال . مرة لنا ومرة علينا .

قال : فيم يأمركم ؟

قال : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً . وينهى عما كان يعبد آباؤنا ويأمر بالصلاة ، والصدق ، والعفاف . والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة فقال الملك : إنى سألتك عن نسب فزعمت أنه فيكم ذو نسب . وكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها .

وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله ؟. فزعمت أن لا . فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتم بقول قيل قبله .

وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ . فزعمت أن لا . فقلت: إنه ليذر الكذب على الناس . ويكذب على الله .

وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم .فقلت: ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل.

وسألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فقلت: يزيدون . وكذلك الإيمان حتى يتم .

وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه؟ . فقلت : لا. وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك : هل كان من آبائه من ملك؟ . فقلت : لا. فلو كان من آبائه ملك لقلت: رجل يطلب ملك أبيه .

وسألتك هل قاتلتموه؟ . فقلت : نعم وإن الحرب بينكم وبينه سجال وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة .

وسألتك بماذا يأمر؟ . فزعمت . أنه يأمر أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمر بالصلاة والصدق . والعفاف . والوفاء بالعهد . وأداء الأمانة .

وسألتك وهل يغدر فذكرت : أن لا وكذلك الرسل . لا تغدر . فعلمت أنه نبى . وقد علمت أنه مبعوث . وإن كان ما كلمتنى به حقاً فسيملك موضع قدمى هاتين . ولو أعلم أنى أخلص إليه لتكلفت ذلك .

قال أبو سفيان : فعلت أصوات الذين عنده وكثر لفظهم فلا أدرى ما قالوا .

وأمر بنا فأخرجنا . فلما خرج أبو سفيان مع أصحابه قال : لقد بلغ أمر ابن أبى كبشة أن نجافى ملك بنى الأصفر .

ولما سار قيصر الروم إلى حمص أذن لعظماء الروم فى دسكرة له ثم أمر بأبوابها فأغلقت ثم قال : يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبى؟ . فحاصوا حيصه حمر الوحوش واندفعوا إلى الأبواب فوجدوها مغلقة . فلما رأى قيصر نفرتهم . قال : ردوهم علىّ فقال لهم : إنى قلت مقالتى أختبر بها شدتكم على دينكم . فسكنوا له ورضوا عنه فغلبه حب ملكه على الإسلام.

ورد دحية رداً جميلاً . ولم يفعل بكتاب النبى ولا رسوله ما فعل كسرى حيث مزق الكتاب .

٣- كتاب الرسول إلى أمير بصرى :

والذى حمل الكتاب الحارث بن عمير الأزدى . فلما بلغ مؤتة وهى قرية من عمل البلقاء بالشام تعرض له شرحبيل بن عمرو النسائى . فقال له : أين تريد؟ . قال: الشام . قال : لعلك من رسل محمد ؟ . قال : نعم . فأمر به فضربت عنقه . ولم يقتل للنبى ﷺ غيره . وقد وجد لذلك ﷺ وجداً شديداً .

٤- كتابه ﷺ إلى أمير دمشق :

وجه عليه الصلاة والسلام شجاع بن وهب إلى الحارث بن أبى شمر أمير دمشق من قبل هرقل . وكان يقيم بغوطتها (موضع بالشام كثير الماء والشجر معروف بغوطة دمشق) .

****

نص الكتاب :

بِسْمِ اللـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبى شمر :

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق .

وإنى أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى ملكك .

فلما قرأ الكتاب رضى به . وقال من ينزع ملكى منى ؟ . واستعد ليرسل جيشاً لحرب المسلمين وقال : لشجاع أخبر صاحبك بما ترى . ثم أرسل إلى قيصر يستأذنه فى ذلك . وصادف أن كان عنده دحية فكتب قيصر إليه يثنيه عن هذا العزم ويأمره أن يهيئ (بإيليا) ما يلزم لزيارته . فإنه بعد أن قهر الفرس نذر زيارتها . فلما رأى الحارث كتاب قيصر . صرف شجاع بن وهب بالحسنى ووصلة بنفقة وكسوة .

٥- كتابه ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط :

بعد أن انصرف النبى من الحديبية . قال: أيها الناس . أيكم ينطلق بكتابى هذا إلى صاحب مصر وأجره على الله . فوثب إليه . حاطب بن أبى بلتعة . وقال : أنا يا رسول الله . فقال : بارك الله فيك يا حاطب .

وهذا نص الكتاب :

بِسْمِ اللـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من محمد بن عبد الله ورسوله ، إلى المقوقس [١] عظيم القبط

سلام على من اتبع الهدى . أما بعد :

فإنى أدعوك بدعاية الإسلام . اسلم تسلم يؤتك أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم كل القبط ﴿ قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىَ كَلَمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاّ اللّـهَ وَلاَ

---

(١) واسمه جريج بن متى .

نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(١) .

فسار حاطب بالكتاب حتى بلغ مصر فلم يجده بها فذهب إلى الإسكندرية وأعطاه كتاب رسول الله ﷺ . فلما قرأه قال ما نعلم إن كان نبياً أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده . فقال حاطب : ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتى رفعه الله إليه . قال المقوقس : أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم . ثم قال : إنى نظرت فى أمر هذا النبى فوجدت أنه لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الغائب المستور ، والإخبار بالنجوى . وسأنظر . ثم كتب الرد .

رد المقوقس على كتاب النبى :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

إلى محمد بن عبد الله : من المقوقس عظيم القبط .

سلام عليك ؛ أما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه وقد علمت أن نبياً قد بقى . وكنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد ألزمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم فى القبط ، وبثياب وأهديت إليك بغلة تركبها . والسلام .

الهدية :

وكانت الهدية عبارة عن جاريتين مارية بنت شمعون وأختها سيرين . وكانت مارية أحسن جميلات مصر تليها أختها .

قبل رسول الله ﷺ الهدية . أخذ مارية لنفسه وقد حلت له بملك اليمن ، وأهدى أختها سيرين إلى حسان بن ثابت ، وأنجبت له عبد الرحمن بن ثابت ، والبغلة

---

(١) سورة آل عمران : ٦٤ .

وكانت تسمى الدلدل ، وكانت شهباء اللون ولم يكن لها مثيل لدى العرب ، وفرس مسرج ملجم سمى بميمون ، وحمار أشهب وسمى بيغفور . وعسل أبيض من مدينة بنها ، وعشرون ثوباً من قباطى مصر ، وألف مثقال من الذهب ، وجانب من العود، والمسك ، ثم طبيب . قال له الرسول ﷺ : (ارجع إلى أهلك . فلا حاجة لنا بك . نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع) . وكذلك عبد يقال له: مأيور كان أخاً لمارية وقد أسلم كما أسلمت الجاريتان قبل أن تصلا إلى المدينه على يد حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه . أما المقوقس فما زال على دينه .

عودة المهاجرين من الحبشة :

عامل النجاشى أصحمة ملك الحبشة المسلمين الغارين يدنهم من قريش قبل الهجرة الكبرى خير معاملة وأحسن ضيافتهم ولما أستتب الأمر بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة عاد حوالى أربعون من المهاجرين وظل بالحبشة حوالى خمسين أو ستين .

٦- مكاتبات الرسول إلى النجاشى :

أرسل عليه الصلاة والسلام برسالتين إلى النجاشى إلى النجاشى أصحمة ملك الحبشة يدعوه فى الأولى إلى الإسلام ، وفى الثانية لزواجه من أم حبيبة بنت أبى سفيان الذى ارتد زوجها بعد أن هاجر معها إلى الحبشة وقام بهما عمرو بن الضمرى .

نص كتاب دعوة النجاشى للإسلام :

بِسْمِ اللـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من محمد رسول الله إلى النجاشى الأصحم ملك الحبشة . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه ، كما خلق آدم بيده ، وإنى أدعو إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته وأن تتبعنى ، وتؤمن بالذى جاءنى فإنى رسول الله ﷺ ، فلأبعثن إليك ابن عمى جعفر أو نفر معه من المسلمين فإذا جاءك

فأقرهم ودع التجبر وإنى أدعوك وجنودك إلى الله عزّ وجلّ ، وقد بلغت ونصحت ، فأقبل نصيحتى ، والسلام على من اتبع الهدى ... السلام على من اتبع الهدى .

استلام النجاشى كتاب الرسول ﷺ :

وصل عمرو بن أمية الضمرى الحبشة وقابل النجاشى أصحم وقرأ كتاب رسول الله ﷺ ووصفه على عينيه ، ونزل عن سريره . فجلس على الأرض .. وقيل: إنه أسلم . لأنه كان مسيحياً نسطورياً . (مذهب نسطور) قائم على التوحيد وينكر الوصية . فمن قوله : (لا تقولوا مريم أم الله لأنها من البشر ويستحيل أن يولد الإله من البشر) .

(ونسطور هذا كان رجلاً جليل القدر متجرا فى الديانه المسيحية . وكان له أتباع كثيرون من القساوسة ، لكنه اضطهد لعقيدته ونفى ...) .

فإذا عقيدة النجاشى كما وضح هى عقيدة نسطور فالأرجح [١] أنه أسلم عندما عرض عليه الإسلام رسول الله ﷺ . وقرأ عليه جعفر بن أبى طالب سورة مريم ، وقول عيسى : ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً . وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾ – إلى قوله تعالى : ﴿ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [٢].

وهذا ما يوافق مذهبه . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ . نعى للناس النجاشى اليوم الذى مات فيه . وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات . ومعلوم أن النبى ﷺ لا يصلى على غير مسلم ..

رد النجاشى على كتاب الرسول ﷺ :

إلى محمد رسول الله .. من النجاشى الأصحم بن أبحر .
سلام عليك ورحمة الله وبركاته الذى لا إله إلا هو الذى هدانى للإسلام .
أما بعد .

فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى . فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت . وقد عرفنا ما بعثت به ، وقد قربنا ابن

(١) جاء فى البخارى وغيره أنه أسلم .
(٢) سورة مريم : ٣٠ – ٣٦ .

عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقاً ومصدقاً . وقد بايعت ابن عمك [١] وأسلمت على يديه لله رب العالمين ..

غير أنه لم يستطع حمل كثيرين من شعبه على الإسلام .

٧- كتابه إلى حاكم البحرين :

كتب الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام بعث إليه العلاء بن الحضرمى فكتب المنذر إلى رسول الله ﷺ يقول فيه :

أما بعد يا رسول الله ، فإنى قرأت كتابك على أهل البحرين . فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ، ودخل فيه ، ومنهم من كرهه ، وبأرضى مجوس ويهود ، فأحدث إلى فى ذلك أمرك فكتب إليه رسول الله ﷺ .

نص الكتاب :

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد فإنى أذكرك الله عزَّ وجلَّ ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ، ومن نصح لهم فقد نصح لى ، وإن رسلى قد اثنوا عليك خيراً ، وإنى قد شفعتك فى قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب ، فأقبل منهم ، وإنك مهما تصلح فلم نعزلك عن عملك ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية .

٨- كتابه إلى هوذة بن على صاحب اليمامة :

نص الكتاب :

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ، من محمد رسول الله إلى هوذة بن على ، سلام على من اتبع الهدى واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم ، وأجعل لك ما تحت يديك .

(١) كان النبى ﷺ قد طلب من النجاشى أن يرسل جعفرًا أو من معه من مهاجرى الحبشة فأرسلهم فى سفينتين مع عمرو بن أمية الضمرى .

قام بهذا الكتاب سليط بن عمرو العامرى ، فلما أتاه أنزله وحياه ، وقرأ عليه ، فرد عليه رداً دون رد ، وكتب إلى النبى ﷺ ، ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ، والعرب تهاب مكانى ، فاجعل لى بعض الأمر أتبعك ، وأجاز سليطاً بجائزة ، وكساه أثوباً من نسج هجر ، فقدم بذلك كله على النبى ﷺ فأخبره ، وباد ما فيه يديه فلما انصرف رسول الله ﷺ . من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بأن هوذة مات ، فقال النبى ﷺ : أما إن اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبى ، يقتل بعدى ، فقال قائل : يارسول الله من يقتله ؟ فقال : أنت وأصحابك . فكان ذلك .

٩- كتابه إلى ملك عمان . جيفر وأخيه عيد ابنى الجلندى :

نص الكتاب :

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيم من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعيد ابنى الجلندى. سلام على من اتبع الهدى أما بعد ، فإن أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما ، فإنى رسول الله ﷺ إلى الناس كافة ، لأنذر من كان الاسلام حيا ويحق القول على الكافرين ، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما ، وإن أبيتما ، أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل وخيلى تحل بساحتكما ، وتظهر نبوتى على ملككما .

حمل الكتاب عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وأوصله للملك وأخيه وعرفا فحواها وعرفا منه كل ما أراد أن يعرفاه عن الإسلام ونبى الإسلام ومما قاله للملك: وأنت إن لم تسلم اليوم وتبعه توطئك الخيل والرجال..) فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً .

زواج هذا العام :

١- زواجه ﷺ من مارية القبطية :

تزوج رسول الله ﷺ من مارية القبطية . وكانت لها مكان عظيم فى قبط مصر وهى جميلة بيضاء . وقد حلت للنبى ﷺ بملك اليمين وحولها إلى مال له بالعالية كان من أموال بنى النضير . فكانت فيه فى الصيف وفى خرافة النخيل فكان يأتيها هناك .. وكانت بعد إسلامها حسنة الدين .. وولدت له غلاماً ، أسماه إبراهيم .

وتوفت رضى الله عنها فى خلافة عمر بن الخطاب . وكان عمر يجمع الناس بنفسه لشهود جنازتها وصلى عليها رضى الله عنها .

٢- زواجه ﷺ من أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب :

تزوج رسول الله ﷺ من أم حبيبة رضى الله عنها هى بنت أبو سفيان بن حرب وأخت معاوية . وكانت قد هاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش إلى الحبشة وقد كان مسلماً . ولكن عبثت به الشقاوة فتنصر وهو بالحبشة . فلما تنصر انفصلت عنه زوجته أم حبيبة .. فأرسل النبى ﷺ إلى النجاشى ليزوجه أم حبيبة . ووكله فى العقد عليها ويبعث بها إليه مع من عنده من المسلمين .

أرسل النجاشى جارية له اسمها إبرهة إلى أم حبيبة تخيرها بخطبة رسول الله ﷺ إياها . فسرت بذلك سروراً عظيماً . وطلبت منها أن توكل من يزوجها فوكلت خالد بن سعيد بن العاص ، فزوجها . ثم دفع النجاشى بأربعمائه دينار صداقها إلى خالد ، ودفعها خالد إلى أم حبيبة . فأعطت منها إبرهة خمسين مثقالاً . ولكنها رفضت وامتنعت من أخذها . وقالت إبرهة: قد أمرنى الملك أن لا آخذ منك شيئاً . وأنا صاحبة دهن الملك وثيابه .. وقد صدقت محمداً رسول الله ، وآمنت به . وقالت إبرهة لأم حبيبة : وحاجتى إليك أن تقرئيه منى السلام . قالت : نعم . قالت أم حبيبة: فخرجنا فى سفينتين .. ولما قاربنا المدينة فركبنا الظعن [1] للمدينة . فوجدنا رسول الله ﷺ بخير ، فخرج من خرج إليه . وأقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله ﷺ فدخلت إليه.. فكان يسألنى عن النجاشى . وقرأت من إبرهة السلام ، فرد ﷺ، فسلم عليها .

وقد أراد رسول الله ﷺ بزواجه من أم حبيبة أن يستميل أباها أبا سفيان إلى الإسلام لزعامته قريش ، ويحفظ لها كرامتها بعد أن هجرها زوجها الذى ارتد عن الإسلام .

٣- زواج حسان بن ثابت من سيرين أخت مارية القبطية المصرية التى أهداهما المقوقس عظيم قبط مصر إلى النبى ﷺ فقبل مارية وأهدى سيرين إلى

---

(١) اظهرت بيعة الرضوان قوة المسلمين التى أشاعت الرعب فى قلوب القريشيين وألقت بهم الفزع والخوف من محمد وصحبه .

حسان بن ثابت بعد أن أسلمت وحسن إسلامها . وأنجبت منه عبد الرحمن بـن ثـابت رضى الله عنهم .

حصاد هذا العام

نتائج الغزوات والسرايا :

كان هذا العام عام الأحداث والانطلاقات والبعوث لتأديب الأعراب الذين ساندوا قريشاً واليهود الذين اليوا قريشاً وحرضوهم على قتـال المسلمين ، فكـان لهـا الأثـر العظيم فى ظهور مواقـف أبـرزت قـوة الإسـلام والمسـلمين أخـافت العـرب واليهـود والمشركين والمنافقين .

الحنين إلى مكة :

زاد شوق رسول الله ﷺ والمهاجرين إلى مكة فدعى رسـول اللـه ﷺ كل مـن يقـدر علـى الذهـاب معـه لأداء الحـج فليـأتى معـه منعـت قريـش دخولهـم للحـج ، ورجوعهم هذا العام بعد توقيع صلح الحديبية .

نتائج خروج الرسول للحج :

كان صلح الحديبية بداية خطوات النصر وأول طريق الفتح الأعظم . كما زادت الثقة فى نفوس المسلمين ، وإخضاع قريش لرغبتهـم فـى دخـول مكـة للحـج ، وأداء العمرة من العام القادم .

مكاتبة الملوك والأمراء :

فى ظل هدنة صلح الحديبية وفى زمن الهدنة . انطلق رسول الله ﷺ بالرسـالة المحمديـة مـن المحليـة إلـى العالميـة فكـانت مكاتبـات الملـوك والأمـراء خـارج شـبه الجزيرة العربية هى أول خطوة لدعوتهم إلى الإسلام .

ما كان لمحمد ﷺ أن يقـدم علـى مثـل هـذه الخطـوة العظيمـة الجريئـة ودعوتـه محفوفة بالأعداء والأخطار فى الداخل وملوك غلاظ شداد على تخوم بـلاده الخـارج إلا إذا كان واثقاً من نصر ربه وقوة إيمانه بنشر دينه والفتح الأعظم .

نتيجة المكاتبات :

معرفة مواقف الملوك والأمراء من الدعوة .

أ – إسلام بعض الملوك والأمراء وبعضاً من شعوبهم وهم :

١– ملكى عمان . ٢– أمير اليمامة . ٣– والنجاشى ملك الحبشة.

ب – تعاطف ومسالمة بعض الملوك النبى ﷺ .

١– هرقل ملك الروم . ٢– المقوقس عظيم قبط مصر.

جـ – جفاء بعض الملوك وعداوتهم للإسلام وقيامهم بأساليب خيبر وبعض الأعراب على المسلمين .

د – مهدت هذه المكاتبات لفتح الأقطار المحيطة بشبه الجزيرة العربية ثم نشر الإسلام وإنطلاقه إلى جميع أنحاء العالم فيما بعد .

ويمكن القول: أن العام السادس الهجرى أول بشائر النصر وأول خطوة على طريق الفتح الأعظم .

من نتائج غزوة بنى المصطلق :–

* الفتنة . حديث الإفك (رمى المحصنات) .

* تشريع . جزاء قاذف المحصنات الغافلات .

من زواج هذا العام :

* زواجه ﷺ من بربرة –جويرية بنت الحارث بن ضرار سيد نبى المصطلق.

* زواجه ﷺ بما ملكت يمينه من مارية القبطية المصرية .

* زواجه ﷺ من أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب زعيم قريش .

* زواجه حسان بن ثابت من سيرين المصرية أخت مارية القبطية .

العام السابع الهجرى

كان لصلح الحديبية الذى وقعه رسول الله ﷺ مع قريش فى العام السادس الهجرى ، آثار هامة . فقد استطاع الرسول ﷺ أن يؤمن جنوب الجزيرة العربية من جهة قريش بموجب هذه الهدنة التى أعطت الفرصة للمسلمين أن يعملوا على تقوية صفوفهم أكثر من ذى قبل ، ويعدون العدة لملاقاة أى إغارة عليهم من جهة الشمال ، وخصوصاً بعد أن أرسل الرسول ﷺ الرسائل إلى الملوك والحكام خارج الجزيرة العربية والتى أثارت ثورة بعضهم .

وأصبح من المتوقع أن يستعين هرقل ملك الروم وكسرى ملك الفرس الذين أجلاهم الرسول عن ديارهم وقضى عليهم . بالإضافة إلى الخصومة القائمة بين المسلمين واليهود .

فكان لابد إذا من القضاء على اليهود حتى لا تقوى شوكتهم وحتى لا يسارعوا إلى الإستعانه بغطفان أو بغيرها من القبائل المعادية للإسلام لغزو محمد ﷺ .

ومن ناحية أخرى فإن يهود خيبر كانوا يتوقعون غزو محمد ﷺ لهم . فنصح بعضهم بتأليف قوة من يهود وادى القرى وتيماء لغزو المدينة . دون الإعتماد على العرب ، وآخرون يفكرون فى توقيع حلف مع رسول الله ﷺ . يمحو ما ثبت من كراهيتهم فى نفوس المسلمين بعد اشتراك حُيى بن أخطب . وجماعة اليهود معه فى تأليب الأحزاب لغزو المدينة .

وكان لقتل سلام بن أبى الحقيق واليسير بن رزام من زعماء خيبر على يد المسلمين . ما دفع اليهود بالإتصال بغطفان والاستعانه بهم عندما ترامى لهم اعتزام محمد ﷺ على غزوهم .

ولكن مهما كانت قوة غطفان وخيبر فلن تستطيع أن توقفا مسيرة التوحيد والدعوة للإسلام .

خيبر :

تقع خيبر على بعد ستة وستون ميلاً من الشمال الغربى من المدينة وهى عبارة عن واحة كبيرة . وسكانها من اليهود وهى ذات حصون ومزارع ونخيل كثير .

وحقول قمح . ويسكن شعبها فى بيوت حصينة وسط هذه المزارع وكانت خيبر مركزا للدسائس . وخصوصاً اليهود الذين هاجروا إليها . وكانوا أعظم مهيج للأحزاب ضد الرسول ﷺ فى غزوة الخندق . وبعدها كانوا يحالفون الأعراب ضد المسلمين .

وتتكون خيبر من ثلاثة حصون رئيسية . وهى حصون النطاه ، وحصون الكتيبة ، وحصون الشق .

زحف المسلمين على خيبر :

فى شهر المحرم

بعد رجوع النبى ﷺ من الحديبية وأقام بالمدينة ذا الحجة ثم بعضا من المحرم من السنة السابعة ثم خرج فى بقية المحرم إلى خيبر .

وكان معه ألف وستمائة من الصحابة الذين شهدوا الحديبية ، ومائتا فرس . وخرج معه من نسائه أم سلمة وهى التى خرجت معه فى الحديبية . واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى وجاء المخلفون عنه فى غزوة الحديبية ليؤذن لهم رجاء الغنيمة . فقال عليه الصلاة والسلام لا تخرجوا معى راغبين فى الجهاد . أما الغنيمة فلا أعطيكم منها شيئاً . وكان الله وعد رسوله ﷺ . عند انصرافه من الحديبية بمغانم كثيرة . كما قال تعالى فى سورة الفتح ﴿ **وَعَدَكُمُ اللّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ** ﴾ .

ثم سار المسلمون متوجهين لخيبر وكان فيهم عامر بن الأكوع وهو عم سلمه ابن عمرو بن الأكوع . وكان اسمه سنان : فقال له رسول الله ﷺ : انزل يا ابن الأكوع فخذ لنا من حسناتك (أى من أخبارك وأشعارك) فنزل يرتجز ويقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
إنا إذا قوم بغوا علينا ... وقد أرادوا فتنة أبينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله ﷺ يرحمك الله . فقال : عمر بن الخطاب وجبت والله يارسول الله . لو امتعتنا به . فقتل يوم خيبر شهيداً على ما سيأتى بيانه .

ولما وصل جيش المسلمين إلى خيبر كانوا ليلا . فأخذوا يهللون ويكبرون ويدعون . فقال عليه الصلاة والسلام : « ارفقوا بأنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً . إنكم تدعون سميعاً قريباً . وهو معكم » فلما أصبحوا قال : رسول الله ﷺ : الله أكبر خربت خيبر .

سير المعركة :

حاصر المسلمون خيبر وحصونها المبنية . وقد أشار على اليهود زعيمهم سلام ابن مشكم بأن يدخلوا عيالهم وأموالهم فى حصون الكتيبة . وجمعوا المسلمون فى حصون النطاه . فبدأ عليه الصلاة والسلام بحصون النطاه . وعسكر المسلمون شرقيها بعيداً عن مدى النبل . وأمر عليه الصلاة والسلام يقطع نخيلهم حتى قطعوا حوالى أربعمائة نخلة . ليرهبهم حتى يسلموا . ولما رأى عليه الصلاة والسلام تصميم اليهود على الحرب نهى عن القطع وحصون اليهود الثلاثة كانت مقسمه إلى الأقسام الآتية :

أولاً : حصن النطاه وينقسم إلى : حصن ناعم ، وحصن الصعب بن معاذ وحصن قلعة الزبير .

الثانى : حصن الكتيبة : وينقسم إلى : حصن أبى . وحصن الريئ .

الثالث : حصن الشوق : وينقسم إلى : حصن القموص . وحصن الوطيح . وحصن السلالم .

فى ميدان القتال :

بدأ القتال عليه الصلاة والسلام بحصن ناعم . بالمراماة . وكان لواء المسلمين بيد أحد المهاجرين فلم يصنع فى ذلك اليوم شيئاً وفيه قامت مناوشات شديدة . وفيه قتل سلام بن مشكم وجرح عدد من المسلمين وتولى الحارث بن أبى زينب قيادة

اليهود وخرج من حصن ناعم يريد منازلة المسلمين . فرده بنو الخزرج واضطروه أن يرتد إلى الحصن على أعقابه وقد دار قتال عنيف استبسل فيه المسلمون حتى فتحوا حصن ناعم وقتل الحارث بن أبى زينب . كما استشهد عند هذا الحصن محمود بن مسلمة وأخوه محمد بن مسلمة ، وعامر بن الأكوع لما قدم . ملك خيبر واسمه مرحب يخطر بسيفه يقول .

قد علمت خيبر أنى مرحب   شاكى السلاح بطل مجرب

أطعن أحياناً وحيناً أضرب   إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز له عامر رضى الله عنه وقال :

قد علمت خيبر أنى عامر   شاكى السلاح بطل مغامر

فاختلفا بضربتهما فوقع سيف مرحب فى ترس عامر . وصار عامر يضع سيفه فى أسافل مرحب لأن سيفه كان قصيراً . فرجع سيفه على نفسه فكلمه كلما شديداً . وكانت فيها روحه رضى الله عنه .

وكان المسلمون قد شكوا فيه وقالوا إنما قتله سلاحه حتى أن راح ابن أخيه [١] يسأل رسول الله ﷺ عن ذلك وأخبره بقول الناس فقال رسول الله ﷺ : وكذب من قال ذلك إنه لشهيد وله أجره مرتين وصلى عليه فصلى عليه المسلمون .

وصار بعد ذلك اليوم يغدو كل يوم مع بعض الجيش للمناوشة . ويخلف على العسكر أحد المسلمين حتى إذا كانوا فى الليلة السابقة حارس الجيش . وهو عمر بن الخطاب برجل يهودى خارج فى جوف الليل . فأتى به إلى رسول الله ﷺ . ولما أدرك الرجل الرعب . قال : إن أمنتمونى أدلكم على أمر فيه نجاحكم . فقالوا : قل لنا وقد أمناك . فقال : إن أهل هذا الحصن أدركهم الملل والتعب وقد تركتهم يبعثون أولادهم إلى حصن الشوق . وسيخرجون لقتالكم باكر . فإذا فتح عليكم هذا الحصن غدا فإنى أدلكم على بيت به منجنيق ودبابات وهى آلات تتخذ للحروب . فتدفع فى سور الحصن فيثقبونه وهم فى جوفها . ودروع وسيوف . يسهل عليكم بها فتح بقية

---

(١) سلمة بن عمرو بن الأكوع ، أى : عينيه .

الحصون . فإنكم تنصبون المنجنيق وتدخل الراجل تحت الدبابات فيثقبون الحصن فتفتحونه من يومكم .

فقال عليه الصلاة والسلام ، لمحمد بن مسلمه على مسمع من الصحابة ساعة أعطى الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبانه . لا يولى الدبر يفتح الله عزَّ وجلَّ على يديه فيمكنه من قاتل أخيك . فبات المهاجرون والأنصار كلهم يتمنونها حتى قال عمر بن الخطاب : ما تمنيت الإمارة إلا ليلتئذ .

فلما كان الغد سأل عليه الصلاة والسلام عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه. فقيل له: إنه أرمد فأرسل من يأتيه به ، ولما جاء تفل فى عينيه فشفاهما الله كأن لم يكن بها شىء . ولم يرمدا بعد ذلك أبداً . ثم أعطاه الراية ؛ فقال علىّ أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا .

فقال رسول الله ﷺ : أنفذ على رسلك حتى تنزل ساحتهم ثم ادعهم للإسلام فإن لم يطيعوا لك بذلك فقاتلهم فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم .

فتوجه علىّ مع المسلمين للقتال وهناك وجدوا اليهود متجهزين فخرج يهودى وطلب البراز فقتله على . ثم خرج مرحب ملك خيبر السالف الذكر وكان أشجع القوم لابسا درعين ومتقلداً بسيفين ومعتما بعمامتين وصار يرتجز ويقول . كما قال أولا :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحيانا وحينا أضرب إذا الحرب أقبلت تلهب

فبرز له وأجابه يقول :

أنا الذى سمتنى أمى حيدره [١] كليث غابات كرية المنظره
أو فيهمو بالصاع كيل السندره [٢]

---

(١) حيدره : معناه الأسد .
(٢) كيل السندره : كيل جراف غراف .

ثم ضربه ضربة بالسيف شق بهـا مغفره وعمامتـه . وفلـق رأسـه . حتـى أخذ السيف بالأضراس وقتله .

فخرج أخوه ياسر فقتله الزبير بن العوام . ثم حمل المسلمون على اليهـود حتـى كشفوهم عن مواقعهم وتبعوهم حتى دخلوا الحصن بالقوة وانهزم الأعداء وفروا إلـى الحصن الذى يليه وهو حصن الصعب بعد أن غنم المسلمون من حصن نـاعم كثيراً من الخبز والتمر ثم تتبعوا اليهود إلى حصن الصعب فقاتل عنـه اليهـود قتـالاً شـديداً حتى هزموا اليهود فتبعوهـم حتـى فتحـوا عليهـم الحصـن فوجـدوا غنـائم.كثيرة مـن الطعام . فأمر عليه الصلاة والسلام مناديـاً: يقـول كلـوا واعلفـوا دوابكـم ولا تـأخذوا شيئاً. وقد سار الذين انهزموا فى هـذا الحصـن إلـى حصـن قلـة . فتبعهـم المسـلمون وحاصروهم ثلاثة أيام حتى استصعب عليهم فتحه .

وفى اليوم الرابع دلهم رجل يهودى على جداول الماء التى يسـتقى منهـا اليهـود فمنعوها عنهم فخرجوا وقاتلوا قتالاً شديداً انتهى بهزيمتهم وفروا إلى حصن الشـوق. فتبعهم المسلمون وبدأوا بحصن أبى . فخرج أهله وقاتلوا قتـالاً شـديداً أبلـى فيـه أبـو دجانة الأنصارى بلاء حسناً حتى تمكن من دخول الحصن . عنوة ووجـد المسـلمون فيـه أثاثـاً كثيراً ومتاعـاً وغنمـاً وطعامـاً . وهـرب المنهزمـون إلـى حصـن الـبرئ فتحصنوا به أشد التحصيـن . وكـان أهلـه أشـد اليهـود رميـاً بـالنبل والحجـارة حتـى أصاب رسول الله بعض منه . فنصب المسلمون عليهم المنجنيق فوقع فى قلب أهلـه الرعب وهربوا منه من غير عناء شديد فوجـد المسـلمون أوانـى لليهـود مـن نحـاس وفخار فقال ﷺ اغسلوها واطبخوا فيها ثـم تتبـع المسـلمون بقايـا اليهـود إلـى حصـن الكتيبة . وبدأوا بحصن القموص فحاصروهم عشرين ليلـة . ثـم فتحـه اللـه علـى يـد علىّ بن أبى طالب ومن هذا الحصن سبيت صفية بنت حيى بن أخطب .

ثم سار المسلمون لحصار حصنى الوطيح والسـلام فلـم يقـاوم أهلهـا بـل سـلموا طالبين حقن دمائهم وخلوا من أرض خيـبر بذراريهـم لا يصطحـب الواحـد منهـم إلا ثوباً واحداً على ظهره . فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك .

الغنائم :

وغنم المسلمون من هذين الحصنين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية ووجدوا صحفاً من التوراة فسلموها لطالبها وهذا دليل على تسامح الدين الإسلامى .

وقد أمر عليه الصلاة والسلام بقتل كنانة بن أبى الحقيق لأنه أنكر على حيى بن أخطب وقد عثر عليها المسلمون فوجدوا بها أساور ودمالج وخلاخل وقرط وخواتيم الذهب . وعقود الجواهر والزمرد وغير ذلك .

وبذلك انتهى فتح خيبر وقد كان فى شهر صفر .

شهداء خيبر :

استشهد من المسلمين خمسة عشر رجلاً .

قتلى اليهود :

وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلاً .

محاولة سم النبى ﷺ :

سمت اليهودية الشاة للنبى ﷺ وأهدتها إليه واسمها زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم وأخت مرحب انتقاماً لقتل أبيها وزوجها وأخويها وعندما وضع الطعام أمامه أخذ منها مضغة فلاكها ثم لفظها حين أخبره الفخذ أنها مسمومه وابتلع بشر بن البراء لقمة . فقال رسول الله ﷺ ارفعوا أيديكم وأرسل إلى اليهودية .

فقال : هل سممت هذه الشاة ؟.

قالت : نعم .

قال لها : ما حملك على ذلك ؟.

قالت : إن كنت نبياً يطلعك الله . وإن كنت كاذبا فأريح الناس منك وقد استبان لى أنك صادق . وأنا أشهدك ومن حضرك أنى على دينك وأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فعفا عنها ﷺ ولم يعاقبها (١) .

---

(١) ويقول بعض الرواة : إن زينب بنت الحارث قد قتلت فى بشر الذى مات مسموماً وقد تركت هذه الفعلة فى نفوس المسلمين آثاراً عميقة إذ جعلتهم لا يثقون فى اليهود .

وتوفى من أصحابه الذين أكلوا معه بشر بن البراء رضى الله عنه واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة .

إسلام الأسود الراعى :

كان الأسود أجيراً لرجل من يهود خيبر على غنم . فأتى رسول الله ﷺ وهو محاصر بعض حصون خيبر ، ومعه غنمه . فقال : يا رسول الله أعرض على الإسلام فعرض عليه فأسلم . فلما أسلم قال : يا رسول الله إنى كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم . وهى أمانة عندى ، فكيف أصنع بها . ؟ قال : اضرب فى وجوهها فإنها سترجع إلى ربها أو كما قال .

فقام الأسود فأخذ حفنة من الحصى فرمى بها فى وجوهها . وقال : ارجعى إلى صاحبك . فوالله لا أصحبك أبداً . فخرجت متجمعة كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن . ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله وما صلى لله صلاة قط .

فأتى به رسول الله ﷺ . فوضع خلفه وغطى بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقالوا: يا رسول الله لم أعرضت عنه ؟قال : إنه معه الآن زوجته من الحور العين . ثم صلى عليه ودفنه..

النهى عن نكاح المتعة :

ونهى عليه الصلاة والسلام وهو بخيبر عن نكاح المتعة وهو النكاح لأجل وقد كان حلالاً فى الجاهلية واستعمل فى بدء الإسلام حتى حرمه الشرع فى هذه السنة كما نهى أيضاً عن أكل لحوم الحمر الأهلية فأكفأ المسلمون قدورها بعد أن نضجت ولم يطعموها .

رجوع مهاجرى الحبشة :

بعد أن من الله على المسلمين بفتح خيبر . قدم من الحبشة جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ومن معه من المسلمين وهم ستة عشر رجلاً . فتلقى النبى ﷺ

جعفراً . وقبل جبهته وعانقه . وقام له ثم قال ﷺ : ما أدرى بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟ .

صلح أهل فدك . وهم يهود :

لما علم يهود فدك [١] بنصر المسلمين على يهود خيبر خافوا أن تدور الدوائر عليهم فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك .

فقدمت عليه رسلهم فقبل ذلك منهم فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة . لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركب بصرف ما يأتيه منها لأبناء السبيل .

غزوة وادى القرى [٢] :

ووادى القرى قرب المدينة كان به جماعة من اليهود . وحدث أنه لما انصرف ﷺ من خيبر نزل وادى القرى بعد العصر قبل الغروب وحاصرهم ﷺ أربعة أيام ، وهيأ أصحابه للقتال .

فقتل منهم أحد عشر رجلاً . وفتحها عنوة . وغنمه الله وأصحابه أموالهم .

وكثيراً من الأثاث والمتاع . وقسم رسول الله ﷺ ما أصابه على أصحابه وترك الأرض والنخيل بأيدى اليهود. وعاملهم عليها وولاها عمرو بن سعيد بن العاص .

صلح يهود تيماء [٣] :

لما علم أهل تيماء ما بلغهم من فتح وادى القرى ذهبوا لمصالحة رسول الله ﷺ على الجزية . فصالحهم وولى عليهم يزيد بن أبى سفيان . وكان إسلامه يوم فتحها .

تسامح الرسول مع اليهود :

بعد أن انهار سلطان اليهود . خفت بغضاء المسلمين والأنصار خاصة لهم . وتغاضوا عن رجوع بعضهم إلى المدينة (يثرب) .

---

(١) فدك بلدة يهودية بالقرب من خيبر .

(٢) وادى القرى مكان بالقرب من المدينة وحدثت هذه الغزوة عند عودته ﷺ من خيبر لذا لم تذكر فى بعض النظم لأن بعضهم يجعل غزوة خيبر وغزوة وادى القرى واحده لأنه لم يرجع من خيبر حتى غزاها .

(٣) بلد معروفة بين المدينة والشام على سبع مراحل من المدينة .

وأوصى النبى ﷺ معاذ بن جبل بألا يفتن اليهود عن يهوديتهم . ولم يفرض الجزية على يهود البحرين . وإن ظلوا متمسكين بدين آبائهم .

وصالح بنى غازية ، وبنى عريض على أن لهم الذمة ، وعليهم الجزية وعلى الحملة . ودان اليهود لسلطان المسلمين ، وتضعضع فى بلاد العرب مركزهم . حتى اضطروا إلى مهاجرة تلك البلاد وكانوا من قبل بها أعزة .

هناك قول يقول: إنه تم جلاؤهم فى حياة الرسول ﷺ وقول آخر يقول بعد وفاته.

سرايا هذا العام :

بعد عودة النبى ﷺ من خيبر قضى بقية الخريف والشتاء فى المدينة . وفى أثناء هذه المدة بعث السرايا والبعوث لإعلاء كلمة الله . وتأديب الغادرين . فكانت فى شهر شعبان ، ورمضان من هذا العام .

سرية عمر إلى هوازن (١)

(فى شهر شعبان)

أرسل الرسول ﷺ عمر بن الخطاب ومعه ثلاثون راكب وكان معهم دليل من بنى هلال لكى يدلهم على منازل القوم .

ولما وصل عمر بن الخطاب إلى ديارهم وجدهم هربوا منها ومعهم ماشيتهم وذراريهم . بعد أن أحسوا بقدوم المسلمين . ولما يئس عمر ومن معه من العثور على أحد منهم قفل راجعاً إلى المدينة .

سرية أبى بكر الصديق إلى بنى فزارة :

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق ومعه جماعة من المسلمين لقتال بنى فزارة لأنهم كانوا يؤذون المسلمين .

فوصلها أبو بكر ليلاً وفى الصباح أغار عليهم وقاتل وقتل كل من جاء إلى نبع الماء وقد قتل وسبى منهم عدداً كبيراً .

---

(١) هوازن بناحية ترية اسم مكان على أربع ليال من مكة على طريق صنعاء ونجران .

ومن ضمن هذه السبايا امرأة لها ابنة جميلة قد أسرها سلمة فوهب أبو بكر الابنة الجميلة إلى سلمة . ولما رجع الجميع المدينة طلب رسول الله ﷺ من سلمة أن يهبه المرأة . فوهبها له سلمة وهو لم يكشف لها ثوب (١) .

وقد أخذ هذه المرأة الجميلة وأرسلها إلى مكة لتفدى بها عدداً من المسلمين كانوا أسرى عند قريش بتلك المرأة .

سرية بشير إلى بنى مرة

(فى شهر شعبان)

أرسل النبى ﷺ بشير بن سعد الأنصارى على رأس ثلاثين رجلاً من الصحابة لقتال بنى مرة بفدك . فلما وصلوا إلى ديارهم لم يجدوا إلا الرعاة فسأل عن بنى مرة فقالوا له: إنهم فى نواديهم .

فاستاق بشير ومن معه النعم راجعين إلى المدينة . ولما عاد أهل بنى مرة من الخارج ساروا خلفهم حتى أدركوهم ليلاً فباتوا يرمونهم بالنبل حتى نفدت أصحاب بشير وأصيب من أصيب وولى منهم من ولى واستشهد من استشهد . وسقط بشير جريحاً بين القتلى . فلما أمسى الليل تحامل على نفسه وذهب إلى المدينة وأخبر الرسول ﷺ بما حدث له ولأصحابه .

سرية غالب إلى أهل الميفعة (٢)

(فى شهر رمضان)

أعد رسول الله ﷺ مائة وثلاثون راكب أمر عليهم غالب بن عبد الله الليثى . وأرسلهم إلى أهل الميفعة . وهم بنو عوال وبنو عبد بن ثعلبة . وكان دليل المسلمين إلى ديار القوم . ياسر مولى رسول الله ولما وصلوا إلى ديارهم قتلوا عدداً منهم . ثم استاقوا ما غنموه من إبل وشاة إلى المدينة .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ٤ ص ٢٢ طبعة بيروت بتصريف .
(٢) مكان مرتفع من الأرض على بعد ثمانية برد من المدينة نجد .

ويقول صاحب المواهب وابن اسحاق وابن سعد : أسامة بن زيد قتل نهيك بن مرداس بعد أن قال: لا إله إلا الله :فقال أسامة: يا رسول الله: إنما قالها تعوذاً من القتل.

فقال له رسول الله: هلا شققت عن قلبه فنظرت إليه فتعلم أصادق هو أم كاذب؟

فقال أسامة : لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله [١] .

ويرى الإمام البخارى والحاكم أن قتل أسامة لهذا الرجل لم يكن فى هذه السرية. وإنما كان فى سرية أخرى كانت فى السنة الثامنة وكان هو أميرها .

سرية بشير إلى غطفان :

لما علم رسول الله ﷺ أن عيينه بن حصن قد أعد جماعة من غطفان كانوا مقيمين قريباً من خيبر للإغارة على المدينة .

أعد عليه الصلاة والسلام سرية من ثلثمائة رجل وأمر عليها بشير بن سعد وقد عقد له لواء . وأمره أن يسير إلى هوازن ليعرف جموعها .

ولما بلغ عيينة وهوازن أن بشيراً وأصحابه قد اقتربوا من ديارهم هربوا . فدخل المسلمون ديارهم وأخذوا ما فيها من نعم وماشية وقد عثروا على جاسوس لعيينة فقتلوه . ثم التقوا بجمع من أتباع عيينة فقاتلوهم وأجبروهم على الفرار بعد أن أسروا منهم رجلين عادوا بها مع الغنائم إلى المدينة وهناك أسلما بين يدى رسول الله ﷺ فاطلق سراحهما .

سرية السلمى إلى بنى سليم
(فى شهر ذى الحجة)

أرسل النبى ﷺ ابن أبى العوجاء السلمى على رأس خمسين رجلاً إلى بنى سليم لتأديبهم على إيذائهم للمسلمين .

فلما بلغهم دعاهم للإسلام فلم يقبلوا ثم قاتلهم قتالاً مريراً رغم كثرتهم . واستشهد الكثير ولم ينج منهم سوى قائدهم ابن أبى العوجاء بعد أن جرح جرحاً

---

(١) شرح المواهب للزرقانى جـ٢ ص٢٢١ .

بالغاً. وعاد إلى المدينة فى أول يوم من شهر صفر من السنة الثامنة . ولما علم ذلك رسول الله ﷺ حزن حزناً شديداً .

عمرة القضاء

(فى شهر ذى القعدة)

التسمية :

سميت بالقضاء . قال مالك والشافعى والجمهور ، لأن النبى ﷺ قاضى قريشا سنة الحديبية . فالمراد بالقضاء الفصل الذى وقع عليه الحكم فيها لأنها قضاء عن العمرة التى صد عنها لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها .

وقال أبو حنيفة وأحمد : إن من صد عن البيت فعليه القضاء فهى تسمية على ظاهره .

الخروج للعمرة :

لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر أقام بها شهرى ربيع وجمادى ورجب وشعبان ورمضان وشوال .

ثم خرج من ذى القعدة من السنة السابعة فى الشهر الذى صدت فيه قريش والمشركون . بالحديبية معتمراً عمرة القضاء . مكان عمرته التى صدوه عنها . وتنفيذ الشرط من شروط الصلح .

أمر رسول الله ﷺ أن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية . وخرج معهم غيرهم أيضاً . فكانوا ألفين سوى النساء والأطفال وساق معه ﷺ ستين بدنة وحمل السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فارس خوفاً من غدر أهل مكة . فلما سمع به أهل مكة خرجوا واصطفوا له عند دار الندوة لينظروا إلى أصحابه .

دخول الكعبة :

فلما دخل رسول الله ﷺ الكعبة أدخل رداءه تحت إبطه الأيمن ورد طرفه على يساره . فأظهر منكبه الأيمن وغطى الأيسر . ثم نزل إلى الكعبة .

فقال لأصحابه : رحم الله أمرأ أراهم اليوم من نفسه قوة . ثم استلم الركن وخرج يهرول أصحابه معه حتى إذا واراه البيت عنهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الحجر الأسود . ثم هرول كذلك ثلاثة أشواط والمسلمون يطوفون معه .

ثم سعى رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة على راحلته . وبعد فراغه نحر هديه عند المروة وحلق هناك .

ثم أمر مائتين من أصحابه أن يذهبوا إلى أصحابه ببطن ياجج يقيمون على السلاح ويأتي الآخرون ليقضوا نسكهم . ففعلوا . وأقام ﷺ بمكة ثلاثاً كما شرطت قريش فى صلح الحديبية (الهدنة) .

فلما كان الظهر من اليوم الرابع جاءه سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبدالعزى فقالا ننشدك العهد أن تخرج من عندنا فرد عليهما سعد بن عبادة رضى الله عنه فأسكته ﷺ ، وأذن بالرحيل . وهذا من مكارم أخلاقه الشريفة ﷺ .

من تشريع هذا العام :

أ - تحريم نكاح المتعة .

ب - تحريم أكل لحوم الحمر الأهلية .

من زواج هذا العام :

لما أتم الله الظفر والنصر للمسلمين فى هذه الغزوة [1] جمع رسول الله ﷺ السبى . فكان نصيب دحية الكلبى صفية بنت حيى بن أخطب سيد بنى النضير وكانت امرأة حسناء فتنافس الناس فيها .

زواجه ﷺ

من صفيه بنت حيى بن أخطب :

فلما تنافس الناس فيها . جاء رجل إلى النبى ﷺ وقال : يا نبى الله أعطيت دحية صفية سيدة بنى قريظة والنضير . وإنها لا تصلح إلا لك . فقال أدعوه بها . فقال : لدحية خذ جارية من السبى غيرها . فأخذ أخت كنانة بن الربيع من أبى

---

(١) غزوة خيبر .

الحقيق زوج صفية . وكانت صفية بنت حيي من سبط هارون أخي موسى عليهما السلام . فاصطفاها لنفسه ثم أعتقها وتزوج بها .

وقد علمت أنه أخذها لأنها بنت ملك من ملوكهم ليحفظ لها مكانتها وقد أسلمت رضي الله عنها . وصارت من أمهات المؤمنين .

زواجه من ميمونة :

لما رأت ميمونة ما رأت من أمر المسلمين في عمرة القضاء هوت إلى الإسلام نفسها ، وصفت روحها به . وكانت وقتئذ في السادسة والعشرين من عمرها . وكانت خالة خالد بن الوليد. فقالت ميمونة لأختها أم الفضل زوج العباس بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ الذي فاتح الرسول في أمرها وعرض عليه أن يتزوجها . وكانت أم الفضل موكلة من أختها ميمونة في تزويجها . ولكن أم الفضل أقامت زوجها العباس مقامها في تزويج أختها .

قبل رسول الله ﷺ الزواج من ميمونة . وأصدقها أربعمائة درهم . وتزوجها .

وكانت مدة العمرة قد انتهت وكان الرسول ينوي البقاء بعض الوقت ولكنه أنجز وعده ورحل عن مكة ، وترك ميمونة وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة حتى آتاه بها (بسرق) فبنى بها رسول الله ﷺ .

وميمونة أم المؤمنين آخر أزواج النبي عمرت بعده خمسين سنة ، وطلبت أن تدفن حيث بنى بها .

حصاد هذا العام

يعتبر العام السابع الهجري عام تثبيت أقدام الإسلام وانتشاره ورفع أعلامه إلى عنان السماء متشابكة مع المآذن التي تعلن للدنيا أن الله أكبر ولا شريك له والدين كله لله وتدعوهم للصلاة .

من نتائج غزوة خيبر :

كسر شوكة اليهود ودخول بعضهم في الإسلام ومصالحة البعض الآخر للنبي ﷺ .

تأمين الجبهة الشمالية بعد بسط يد المسلمين عليها . كما سبق تأمين الجبهة الجنوبية بعد صلح الحديبية .

كما قضت السرايا على البقية الباقية من المتمردين على الإسلام .

أثر عمرة القضاء :

كسر شوكة قريش وضياع سلطانها وزعامتها للعرب .

تغير حال المسلمين بعد عمرة القضاء إذ بعثت الثقة والقوة فى نفوسهم .

أعطت الدعوة الإسلامية القوة والمسلمين الدفعة القوية للأقدام والإستمرار فى نشر الدعوة مؤذورين بنصر الله وتوفيقه .

تغير الكثير من مفهوم من على غير دين الرسول ﷺ وثبت لهم أن دينه دين الحق وأنه ليس بشاعر ولا بساحر ولا بكاهن وإنما هو نبى الله ورسوله بعثه الله للناس كافة .

اعتناق القرشيين الإسلام :

قال خالد بن الوليد لعكرمة بن أبى جهل الذى فزع لقوله عندما سمعه يقول : لقد استبان لكل ذى عقل أن محمداً ليس بساحر ، ولا بشاعر وأن كلامه كلام رب العالمين فحق على كل ذى لب أن يتبعه . ثم أعلن خالد إسلامه ، كما أسلم عمرو ابن العاص وعثمان بن طلحة ، وميمونة التى تزوجها الرسول ﷺ .

من تشريع هذا العام :

أ – حرم الله نكاح المتعة ، الذى كان متبعا فى الجاهلية قبل الإسلام حفظاً للشرف والنسب .

ب – كما حرم سبحانه وتعالى أكل لحوم الحمر الأهلية حماية للإنسان من شرها .

من زواج هذا العام :

أ – زواج رسول الله ﷺ ، من صفية بنت حيى بن أحطب سيد بنى النضير بعد أن أعتقها ليحفظ لها مكانتها وقدرها لأنها بنت ملك وهى من سبط هارون أخ موسى عليهما السلام .

ب – زواجه ﷺ من ميمونة رضى الله عنها وأرضاها لعلو مكانتها وإعلاء قدرها وتشريفاً لها لدخولها الإسلام طواعية عن حب وهداية وصفاء نفس وطيب خاطر فكان جزاؤها الجزاء الأوفى .

العام الثامن الهجرى

اشتد شوق رسول الله ﷺ وزاد أمله فى انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية. فكانت أنظاره تتجة إلى أعلى جهة الشمال . لبلاد الشام ، والبلاد المجاورة.

لذلك لم تمض أشهر على مقامه ﷺ بالمدينة بعد عودته من عمرة القضاء . وبعد أن استتب له الأمر فى الجنوب بصلح الحديبية . ثم فى الشمال القضاء على اليهود فى غزوة خيبر . وبالسرايا التى قامت بعدها لتأديب المنحرفين عن طريقه. والتى واصل إرسالها فكانت البعوث والسرايا هذا العام امتدادا لها .

سرية غالب إلى بنى الملوح

(فى شهر صفر)

أرسل رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثى فى بضعة عشر رجلا إلى بنى الملوح وهم قوم من العرب يسكنون الكديد (١) فسار القوم حتى التقوا بالحارث بن مالك الليثى المعروف بابن البرصاء ، وكان خصما لدوداً للمسلمين فأسروه . فقال لهم : ما جئت إلا للإسلام . فقالوا : إن تكن مسلما لم يضرك رباط ليلة . وإلا استوثقنا منك . ثم شدوا وثاقه وتركوا معه رجلا منهم وقالوا له:إن نازعك فاجتز رأسه .

وساروا إلى بنى الملوح حتى إذا ما خيم الليل دخلوا عليهم واشتاقوا النعم والشاة وخرج الصريخ إلى القوم فجاءهم ما لا قبل لهم به . ولكن الله مَنَّ على المسلمين فأرسل سيلا شديدا حال بينهم وبين عدوهم حتى صار المشركون يرون أفعالهم تساق وهم لا يقدرون على ردها . ورجع غالب ، المدينة ظافرا . وكان شعاره أمت أمت .

سريه غالب إلى فدك

(فى شهر صفر) فى سبتمبر سنة ٦٢٩ م

بعد انتصار غالب على بنى الملوح بعثه رسول الله ﷺ فى مائتى رجل فى شهر صفر أيضاً ، ليقضوا على بنى مرة بفدك وهم الذين قضوا على سرية بشير بن سعد فساروا حتى وصلوا لها وهناك خطب فيهم غالب فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

---

(١) الكديد : اسم ماء بين عسفان وعديد .

أما بعد فإنى أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وأن تطيعونى ولا تخالفوا لى أمراً بأنه لا رأى لمن لا يطاع . ثم آخى بين الجند وقال لهم : إذا كبرت فكبروا. فلما أحاطوا بالجند وكبر . كبروا وجردوا السيوف وشدوا عليهم حتى مطلع الفجر فلم يفلت منهم أحد واستاقوا نعمتهم فكان لكل واحد من الغزاة عشرة من الإبل .

سرية شجاع إلى بنى عامر

(فى شهر ربيع الأول)

أرسل النبى ﷺ شجاع بن وهب الأسدى ومعه أربعة وعشرون رجلا إلى جمع هوازن يقال لهم: بنو عامر وكانوا يقيمون بالسيء [١] . وأمر أن يغير عليهم لإساءتهم إلى المسلمين .

فخرج شجاع بأصحابه فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى صبح القوم وهم غافلون فأغار عليهم . وأصاب منهم غنائم كثيرة .

ثم عاد إلى المدينة بعد أن غاب عنها خمس عشرة ليلة . وبلغ نصيب الغازى منهم من هذه الغنائم خمسة عشر بعيراً أو ما يعادلها من الغنم .

سرية كعب إلى ذات أطلاح

(فى شهر ربيع الأول)

بعث النبى ﷺ كعب بن عمير الغفارى فى خمسة عشر رجلا إلى ذات أطلاح من أرض الشام من وراء وادى القرى : فكانوا يسرون الليل ويكمنون النهار حتى انتهوا إلى ديار القوم . فرآهم رجل منهم فأسرع إلى القوم وأخبرهم بقلة عدد المسلمين.

وعندما تلاقى كعب بأعدائه دعاهم إلى الإسلام فأبوا أن يستجيبوا له ثم دار قتال بين الفريقين واستشهد أصحاب كعب بعد أن قاتلوا قتال الأبطال ولكن كثرة الأعداء غلبتهم وجرح كعب وظنه المشركون أنه قد مات وبعد انتهاء المعركة قد تحامل

---

(١) السيء: موضع على خمس ليالى من المدينة. وقيل هو: اسم ماء على ثلاثة مراحل من مكة.

على نفسه وذهب إلى المدينة وقص الأخبار على النبى ﷺ الذى تأثر كثيرا . وهم بإرسال سرية لتأديبهم ولكنه علم له أنهم رحلوا إلى ديار أخرى .

سرية مؤتة [(١)] سنة ٦٢٩ ميلادية

(فى شهر جمادى الأولى)

أطلق بعض المؤرخين على سرية مؤتة اسم غزوة . وإذ لم يخرج إليها رسول الله ﷺ لكثرة جيش المسلمين وسميت غزوة فى البخارى .

أسباب سرية مؤتة :

كان رسول الله ﷺ . قد أرسل الحارث بن عمير الأزدى بكتابه ﷺ إلى أمير بصرى من جهه هرقل . فلما وصل إلى أرض مؤتة قصدى له شرحبيل بن عمر الغسانى . أحد أمراء هرقل على الشام . وقال له : أين تريد؟ قال الحارث : أريد الشام . فقال له شرحبيل : لعلك من رسل محمد ﷺ ؟ : قال: نعم .

فأمر به فأوثق رباطاً ثم قدمه فضرب عنقه . ولم يقتل لرسول الله ﷺ أحد من الرسل سوى الحارث رضى الله عنه . وكذلك قتل أصحاب سرية كعب فى ذات أطلاح وفروا بعد ذلك فجهز عليه الصلاة والسلام جيشاً لتأديبهم . فجمع ثلاثة آلاف للقتال أمر عليهم زيد بن حارثة .

سير الجيش :

بعد أن استعد الجيش للخروج قال ﷺ . أمير الناس زيد بن حارثة فإن قتل فجعفر بن أبى طالب فإن قتل فعبد الله بن رواحة . فإن قتل فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم . ثم عقد النبى ﷺ لواء أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة وأوصاه ومن معه بأن يسيروا حتى ينتهوا إلى المكان الذى قتل فيه الحارث فيدعو من هناك إلى الإسلام . فإن استجابوا لهم تركوهم وإلا قاتلوهم.

---

(١) مؤتة : قرية بأدنى البلقاء من أرض الشام على مرحلتين من بيت المقدس

خرج الجيش[1] وعسكر خارج المدينة على بعد ثلاثة أميال منها . وخرج رسول الله ﷺ مشيعاً والناس خلفه حتى بلغ ثنية الوداع فوقف يودعهم . وكان مما قاله لهم :

« أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً ، اغزوا بسم الله من كفر بالله وأعداءكم بالشام ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً ولا كبيراً فانياً ولا تقطعوا شجرة ولا تهدموا بناء [2] .

ودعا لهم رسول الله ﷺ . وقال الناس . صحبكم الله ورفع عنكم وردكم إلينا صالحين . فقال عبد الله بن رواحة [3] .

لكنني أسأل الرحمن مغفرة	وضربةً ذات فرغ تقذف الزبدا
أوطعنة بيدى حران مجهزة	بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثي	أرشده الله من غازٍ وقد رشدا

ثم أقبل عبد الله بن رواحة على رسول الله ﷺ . فودعه ثم قال .

أنت الرسول فمن يُحرم نوافله	والوجه منه فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن	فى المرسلين ونصراً كالذى نصروا
إنى تفرست فيك الخير نافلة	فراسة خالفت فيك الذى نظروا

ثم سار الجيش على بركة الله حتى وصل معان من أرض الشام وأرض مؤتة مقتل الحارث بن عمير . وفى أثناء ذلك فكر قواد الجيش الثلاثة فى مباغتة العدو على عادة النبى ﷺ.

استعداد الروم :

تطايرت أخبار قدوم جيش المسلمين إلى الشام حتى أسرع شرحبيل حاكم الشام بالاستعداد فجمع ما يقرب من مائة ألف من أتباعه . ثم أرسل إلى هرقل فأمده بمائة

---

(١) كان فى الجيش خالد بن الوليد متطوعا ليدل بحسن بلائه فى الحرب على حسن إسلامه .

(٢) شرح المواهب للزرقانى جـ ٢ ص ٢٦٩ .

(٣) الروحة الأنفة – فى شرح سيرة ابن هشام جـ٧ ص١٠ .

ألف أخرى من الروم وممن كان قد انضم لهم من قبائل لخم . وجذام وبهراء . وأصبح عد الأعداء ما يقرب من مائتى ألف والمسلمين ثلاثة آلاف .

ويقول البعض: إن هرقل هو الذى كان على رأس هذا الجيش . وقد نزل الجيش فى مآب بأرض البلقاء .

المسلمون يتشاورون فى الموقف :

انعقاد المجلس العسكرى :

أخذ المسلمون يتفاوضون فيما بينهم : فيما يفعلونه أيرسلون بطلب النجدة من رسول الله ﷺ ويبلغونه بما هم فيه . كاد الجمع يتفق على هذا لولا أن عبد الله بن رواحة . وقف خطيباً فى الناس فقال: (يا قوم والله إن التى تكرهون للتى خرجتم إياها . تطلبون . (وهى الشهادة) . وإنا لا نقاتل الناس بقوة ولا عدد وكثرة . وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله به . فإنما هى إحدى الحسنيين . إما الظهور على العدو وإما الشهادة .

تأثر الناس بما قاله ابن رواحة ، وتعاهدوا على القتال فى سبيل الله وقال بعضهم لبعض : لقد صدق والله ابن رواحة .

القتال : ومضوا [١] للقتال فلقوا هذه الجموع المتكاثرة فقاتل زيد بن حارثة رضى الله عنه قتال الأبطال حتى استشهد .

الراية فى يد جعفر :

بعد استشهاد زيد بن حارثة أخذ الرأية من يده جعفر بن أبى طالب وكان فى الثالثة والثلاثين من عمره .. فأخذ يقاتل قتال الأبطال المغاوير وهو يقول .

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها
والروم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

---

(١) نزل المسلمون بالبلقاء من أرض الشام لقيتهم جيوش هرقل من الروم والعرب عند قرية مشارف ثم انحاز المسلمون إلى مؤتة لأنهم رأوها أفضل مكان للتحصين والحماية .

على إذ لاقيتها ضرابها

وعندما أحاط به المشركون وهو على فرسه ترجل عنهـا . واندفـع علـى قدميـه وسط الصفوف يهوى بسيفه على رؤوس أعدائه حتى سقط شهيداً .

قال الإمام البخارى عن ابن عمر قال : (كنت فى تلـك الغـزوة فالتمسنا جعفـر ابن أبى طالب فوجدناه فى القتلى . ووجدنا فى جسده بضعا وتسعين مـا بيـن طعنـة برمح ورمية بسهم) . وفى رواية (وما وجدنا منها شيئاً فى ظهره) .

وقال ابن هشام : (وحدثنى من أثق به من أهل العلم أن جعفر بـن أبـى طـالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت . فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنـه بعضديـه [1] حتـى قتـل . فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث يشاء .

ويقال: إن رجلا من الروم يومئذ ضربه . فقطعه نصفين [2] .

الراية فى يد عبد الله بن رواحة :

ثم أخذ الراية من بعد جعفر عبد الله بن رواحة ، فتقدم بهـا وهـو يـتردد بعـض التردد ، ولكنه بعد قليل تشجع وأخذ يقاتل القوم وهو يقول : مخاطبا نفسه .

أقسـمت يـا نفـس لتنزلنـه	طائفـة أو لتكرهنـه
إن أجلب الناس وشدوا الرنـة	مـالى أراك تكرهينـه الجنـة
لطالمـا قـد كنـت مطمئنـة	هل أنـت إلا نطفـة فـى شـنة؟
يـا نفـس إلا تقتلـى تموتـى	هذا حمـام المـوت قـد صليـت
ومـا تمنيـت فقـد أعطيـت	إن تفعلـى فعلهمـا هديـت

أى : إن تفعلى فعل جعفر وزيد تهتديين إلى الخير . ثـم أقـدم علـى القتـال . ثـم اقتحم بفرسه المعمعة ولم يزل يقاتل رضى الله عنه حتى استشهد .

روى أنه فى خلال ذلك أتاه ابن عم له بقطعة من اللحم فناولهـا إيـاه وقـال لـه: خذها يا عبد الله لتشد بها صلبك . فإنك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت .

---

(١) احتضنه أخذه فى حضنه .
(٢) سيرة ابن هشام – ج٣ ص٤٣٤ .

فأخذها من يده ثم كاد يقتطع منها قطعة حتى رأى ناحية من الناس قد اشتد فيها القتال . فقال لنفسه . وأنت فى الدنيا . ثم ألقى قطعة اللحم من يده ورمى بنفسه فى المعمعة وما زال يقاتل حتى الشهادة .

وأخذ الراية بعده ثابت بن أرقم . أخو بنو عجلان فصاح فى الناس : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم . فقالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل .

خالد . أمير الجيش : وقد هم بعض المسلمين بالرجوع إلى الوراء . فقال لهم عقبة بن عامر : يا قوم يقتل الإنسان مقبلا خير من أن يقتل مدبراً فتراجعوا . واتفقوا على تأمير خالد بن الوليد فقاتلهم خالد بن الوليد قتالا شديداً . وكان لم يمض على إسلامه إلا ثلاثة شهور .

حكمة خالد وإنقاذ الجيش :

وكان مما دل على مهارته الحربية : أن خالف ترتيب العسكر فجعل الساقة مقدمة والمقدمة ساقة والميمنة ميسرة والميسرة ميمنة . وفى رواية أخرى . أنه وزع عدداً غير قليل من رجاله فى خط طويل من مؤخرة جيشه أحدثوا إذا صبح الناس من الجلبة ما أدخل عدوه أن مدداً جاءه من عند النبى ﷺ .

وإذا كان ثلاثة آلاف قد فعلوا بالروم الأفاعيل فى اليوم الأول . وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . فما عسى أن يصنع هذا المدد .

أخذ خالد بن الوليد يرجع إلى الوراء حتى انحاز إلى مؤتة ثم مكث يناوش الأعداء سبعة أيام ثم تحاجز الفريقان . لأن الروم ظنوا أن المدد يتوالى على المسلمين وخافوا أن يجروهم إلى وسط الصحارى حيث لا يمكنهم التخلص وبذلك انقطع القتال وانسحب خالد بجيشه وفرح الروم لنجاتهم بهذا الانسحاب .

بعد معركة لم ينتصر فيها الروم وانتصر المسلمون وإن كان حقا كذلك فإن عددهم لم ينتصر عليهم فيها [١] .

---

(١) حياة محمد ص ٤٠٨ .

وصول أخبار الجيش المدينة :

علم النبى ﷺ ما حدث فى ساحة القتال وما حدث للأمراء الثلاثة قبل رجوع الجيش إلى المدينة . ونادى فى الناس . ثم صعد المنبر . وعيناه تذرفان وقال :

أيها الناس . باب خير . باب خير : " أخبركم عن جيشكم هذا الغازى . أنهم انطلقوا ، تلقوا العدو فقتل زيد شهيداً فاستغفروا له . ثم أخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيداً فاستغفروا له . ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحه وأثبت قدميه حتى قتل شهيداً فاستغفروا له . ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء . وهو أمير نفسه . ولكنه سيف من سيوف الله فآب بنصره) . (فمن يؤمئذ سمى خالد سيف الله .)

مواساة الرسول ﷺ :

جاء رجل فقال: يا رسول الله إن نساء جعفر يبكين فأمره أن ينهاهن فذهب الرجل ثم عاد . فقال : قد نهيتهن فلم يطعن فأمره فذهب . ثانيا ثم جاء فقال : والله لقد غلبنن . فقال ﷺ . أحث فى أفواههن التراب .

وفى رواية أن النبى ﷺ واس آل جعفر حيث جاءهم فى منزل جعفر وقال لزوجه . أسماء بنت عميس رضى الله عنهما (لا تقولى هجراً ولا تضربى خداً . وقال : لا تفعلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم).

أخرج الإمام عن عبد الله بن جعفر أنه قال (جاءنا النبى ﷺ . بعد ثلاث من موت جعفر : فقال : لا تبكوا على أخى بعد اليوم وادعوا لى ابن أخى ، قال عبد الله ، فجيء بنا كأننا أفراخ . فقال : ادعوا إلى الحلاق فجيء بالحلاق فحلق رءوسنا ثم قال ﷺ . أما محمد فشبيه بعمنا أبى طالب . وأما عبد الله ، فشبيه خلقى وخلقى. ثم أخذ بيدى فأشالها . وقال : ثلاث مرات : (اللهم أخلف جعفر أخى فى أهله وبارك لعبد الله صفقة يمينه . قال عبد الله : وجاءت أمنا فذكرت له يتمنا وجعلت تحزنه... فقال النبى ﷺ : العيلة تخافين عليهم . وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة .)

وعندما استقبل ﷺ . أسرة زيد ، ورأى بنتاً له تبكى بكى لبكائها ، فقال له سعد ابن عبادة: يا رسول الله ما هذا ؟.

فقال . صلوات الله عليه . هذا شوق الحبيب إلى الحبيب . إنما هى عبرات الصديق بفقد صديقه .

غضب أهل المدينة :

لما بلغ الخبر أهل المدينة حزنوا حزناً شديداً . واعتقد الكثير منهم أن الجند قصروا فى أداء واجبهم فى ساحة القتال فإن انحياز خالد بالجيش هزيمة ولكن رسول الله ﷺ أراهم أن ذلك من مكائد الحرب وأثنى على خالد بمهارته رضى الله عنه وعن سائر أصحاب رسول الله .

وقد وصل جيش المسلمين المدينة فلما اقتربوا تلقاهم النبى ﷺ . والمسلمون وجعل الصبيان يحثون على الجيش التراب ويقولون : يا فرار فررتم من الموت فى سبيل الله !!) . فقال رسول الله ﷺ : (ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار . إن شاء الله)[1] .

قال ابن إسحاق : (قالت أم سلمة زوج النبى . ﷺ لأمرأة سلمة بن هشام بن العاص : مالى لا أرى سلمة يحضرون الصلاة مع رسول الله ﷺ.ومع المسلمين ؟.

فقالت امرأة سلمة : والله ما يستطيع أن يخرج كلما خرج صاح به الناس يافرار فررتم من الموت فى سبيل الله . حتى قعد فى بيته فما خرج [2] .

آثار غزوة « سرية » مؤتة :

رغم هذه النتيجة . فإن القبائل العربية المتاخمة للشام نظرت إلى نضال المسلمين بإعجاب شديد . وكان من ذلك أن أحد زعمائهم . مروة بن عمرو الجذامى وكان قائدا من جيش الروم . مالبث أن أعلن إسلامه . فقبض عليه بأمر من هرقل

---

(١) سيرة ابن هشام جـ٣ ص ٤٣٥ .

(٢) سيرة ابن هشام جـ٣ ص١٣٩ .

بتهمة الخيانة . وكان هرقل على أستعداد للأفراج عنه إذا هو عاد إلى المسيحية . بل كان استعداد أن يرده إلى مركز القيادة الذى كان فيه لكن مروة أبى وأصر على إبائه وعلى إسلامه فقتل [١] .

ازداد إنتشار الإسلام فى قبائل نجد المناجمة للعراق والشام حيث كان سلطان الروم فى ذروته .

كانت غزوة مؤتة بداية لفتح الشام بعد جولات انتهت بسقوط دولة الروم على أيدى المسلمين فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه . كما كان صلح الحديبية بداية لقضاء العمرة . ثم الفتح الأعظم ودخول رسول الله ﷺ مسقط رأسه وتطهير الكعبة من الأصنام .

سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل

(فى شهر جمادى الآخرة)

كان لغزوة مؤتة أثرها الكبير إذ جعلت بعض الأشقياء من الأعراب فى شمال الجزيرة يهونون من شأن المسلمين الأمر الذى جعل جماعة من قبيلة قضاعة يجتمعون للإغارة على المدينة .

علم رسول الله ﷺ ذلك . فدعا عمرو بن العاص فقال له : يا عمرو ، إنى أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك . فقال عمرو : يا رسول الله . إنى لم أسلم رغبة فى المال . فقال ﷺ : نعم المال الصالح للرجل الصالح .

ثم عقد له النبى ﷺ لواء أبيض . وجعل معه راية سوداء وبعث معه ثلثمائة من خيار المهاجرين والأنصار . وأمرهم بالسير إلى مشارق الشام ويصل عمرو إلى ذات السلاسل [٢] . وهناك يعلم أن أعداء المسلمين جمعوا لهم جمعاً كبيراً فأرسل

---

(١) حياة محمد ص ١٩٨ .

(٢) اسم موقع وراء وادى القرى بينه وبين المدينة عشرة أيام . قيل : سمى بذلك لأن هناك رمل بعضه فوق بعض كالسلاسل . وقيل: إن هناك نبع ماء يقال له : سلسل .

إلى النبى ﷺ يطلب المدد فأمده بمائتين من خيار الصحابة فيهم أبو بكر وعمرو على رأسهم أبو عبيدة . وأوصاه النبى ﷺ أن يكونا جميعاً ولا يختلفا .

فوصل جيش المسلمين إلى ديار أعدائه فمزق شملهم . وطارد القبائل الموالية للروم حتى أجلاها عن منازلها . وأرسل إلى النبى عوف بن مالك الأشجعى بريدا يخبره بما ظفروا به على أعدائهم .

أمور أدت إلى مساءلة القائد :

وقد حدثت بعض الأمور أثناء السرية منها أن رجالاً من الجيش أرادوا إيقاد نار فمنعهم عمرو ، فأنكر عليه عمر بن الخطاب ، فقال أبو بكر : إنما بعثه رسول الله علينا رئيساً لمعرفته بالحرب أكثر مِنَّا فلا تعصه . فامتثل . ولما حلوا بساحة الأعداء حملوا عليهم فلم يكن أكثر من ساعة حتى تفرق الأعداء منهزمين ، فجمعوا غنائمهم وأرادوا اتباع أثرهم فمنعهم قائدهم . ثم رجعوا إلى المدينة . وبينما هم فى الطريق أدركت عمرو بن العاص جناية فى ليلة باردة فلما أصبح قال : إن أنا اغتسلت هلكت والله يقول : ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة . ثم تيمم وصلى . ثم أمر بالسير حتى إذا وصلوا المدينة قام رسول الله ﷺ يسأل عن أبناء سفرهم كما هى عادته . فأخبروه بما نقموه من عمرو بن العاص عن نهبهم عن إيقاد النار ونهيهم عن اتباع العدو وصلاته جنبا فسأله عليه الصلاة والسلام عن ذلك . فقال: منعتهم عن إيقاد النار لئلا يرى العدو قلتهم فيطمع فيهم ، ونهيتهم عن اتباع العدو لئلا يكون له كمين . وصليت جنباً لأن الله يقول : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ . وإن اغتسلت هلكت فتبسم عليه الصلاة والسلام . وأثنى على عمرٍ خيراً .

سرية أبى عبيدة إلى جهينة

(فى شهر رجب)

أرسل النبى ﷺ أبا عبيدة عامر بن الجراح فى ثلاثمائة رجل من أصحابه إلى حى من جهينة بالقبلية [١] . التى تسكن البحر . وزود عليه الصلاة والسلام هذا

---

(١) القبلية : اسم موضع بينه وبين المدينة خمس ليال .

الجيش جرابا من التمر . فساروا حتى إذا وصلوا الساحل أقاموا فيه نحو نصف شهر ينتظرون العدو وقد فنى زادهم حتى أكلوا الخبط [١] إلى أن تقرحت أشداقهم وفى القوم الكريم ابن الكريم قيس بن سعد بن عبادة فنحر لهم ثلاثة جزر فى كل يوم جزور . وفى اليوم الرابع أراد أن ينحر فنهاه رئيسه أبو عبيدة . لأن قيسا كان أخذ تلك الجزر بدين على أبيه ، فخاف أبو عبيدة ألا يفى له أبوه بما استدان . فقال قيس: أترى سعداً يقضى ديون الناس ويطعم فى المجاعة ولا يقضى دينا استدانه لقوم مجاهدين فى سبيل الله ؟! ولما يئسوا من لقاء عدوهم رجعوا إلى المدينة .

من عطاء الله :

قال صاحب المواهب عند ما زاد عليهم القحط : (وأخرج الله لهم من البحر دابة تسمى العنبر فأكلوا منها وتزودوا ورجعوا إلى المدينة . ولم يلقوا كيداً ولا حرباً. بعد أن كانوا ينتظرون العدو خمسة عشر يوماً [٢] فلما أخبروا النبى ﷺ . بذلك قال لهم : (هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شىء من لحمه فتطعمونا؟ ، فأعطوه مما بقى منه معهم فأكل منه . ﷺ [٣] .

وقال قيس بن سعد لأبيه: كنت فى الجيش فجاعوا ؟ قال: انحر . قال: نحرت . قال : ثم جاعوا ؟ . قال : انحر . قال : نحرت . قال : ثم جاعوا ؟ قال : انحر . قال : نهيت .

وسميت هذه السرية بسرية الخبط . لأكلهم فيها الخبط . أو سرية سيف البحر أى ساحل البحر لأن المسلمين عسكروا هناك على ساحل البحر .

سرية أبى قتادة إلى نجد
(فى شهر شعبان)

بعث رسول الله ﷺ . أبا قتادة بن ربعى الأنصارى ومعه خمسة عشر رجلاً إلى بطن غطفان بأرض نجد . وأمره بأن يشن الغارة عليهم لإيذائهم المسلمين

---

(١) الخبط . ورق شجر السلم . هو شجر عظيم له شوك .
(٢) جاء فى الصحيح أنهم لبثوا شهراً ، وفى البخارى أنهم كانوا ينتظرون عير القريش .
(٣) شرح المواهب للزرقانى جـ ٢ ص ٣٨٤ .

فخرج أبو قتادة ومن معه فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى وصلوا إلى ديار أعدائهم فهاجموهم . وقتلوا من برز منهم ، ثم استاقوا كثيراً من إبلهم وماشيتهم فكان ما غنموا من الإبل مائتى بعير ومن الغنم ألفى شاة ثم عادوا ظافرين إلى المدينة . بعد أن أدبوا الخائنين والمتمردين .

سرية أبى قتادة إلى بطن أضم

(فى شهر رمضان)

أرسل النبى ﷺ . أبا قتادة فى ثمانية نفر إلى أضم وذلك لأنه ﷺ . عندما هم بفتح مكة أراد أن يلفت نظر المشركين بأنه لا يريد التوجه إلى مكة . وإنما يريد التوجه إلى ذلك المكان . فيأخذ المشركين على غرة كما يأمن المشركون جانب المسلمين فلا يستعدون لملاقاتهم .

وكان فى السرية رجل يدعى محلم بن جثامة الليثى . فمر بهم عامر بن الأضبط الأشجعى فسلم على أبى قتادة ومن معه بتحية الإسلام . فأمسك عنه القوم عند ذلك . ولكن محلم بن جثامة حمل عليه وقتله وسلبه بعيره ومتاعه . فلما قدمت السريه على رسول الله ﷺ . وأخبرته الخبر غضب غضباً شديداً .

وأنزل الله قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىَ إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ [النساء:٩٤] .

غزوة الفتح الأعظم : (فتح مكة)

كان الرسول ﷺ يتطلع إلى مكة فى شوق ولهفة إلى يوم الفتح الأعظم . وكان يعلم أن العرب لا تضخع إلا بفتح مكة ودخولها فى دين الله . ولا تنقاد العرب حتى تنقاد مكة .. ولكن كان يمنعه من فتحها صلح الحديبية والعهد الذى بينه وبين قريش.. ولكن الله إذا أراد أمراً هيأ له الأسباب . فجعل المشركين ينقضون العهد الذى دخلت بموجبه قبيلة خزاعة فى حزب النبى ﷺ وقبيلة بكر فى حزب قريش

وأصبح لكل قبيلة ما للجهة التى انضمت إليها من حقوق وواجبات . والمحافظة على صلح الحديبية وتنفيذه .

نقض العهد :

كان بين قبيلة خزاعة وقبيلة بكر دماء فى الجاهلية وجاء الإسلام فكمنت نارها فلما كانت الهدنة . وقف رجل من بكر يبتغى بهجاء رسول الله ﷺ على مسمع من رجل خزاعى . فقام الأخير وضربه فحرك بذلك الأحقاد الكافية فتذكر بنو بكر بثأرهم فاستعانوا بأوليائهم من قريش فساعدهم عكرمة بن أبى جهل وأغاثهم بالرجال والسلام ثم توجهوا إلى خزاعة وهم آمنون فقاتلوهم وقتلوا منهم ما يربوا على العشرين وفرت خزاعة إلى دار بديل بن ورقاء تشكو إليه نقض قريش وبنى بكر عهدهم مع رسول الله ﷺ .

استصراخ خزاعة بالرسول ﷺ :

سارع عمرو بن سالم الخزاعى إلى رسول الله ﷺ يستنصره فلما وصل المدينة وجلس بين يدى رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد بين الناس وجعل يقص عليه ما حدث قال : (نصرت يا عمرو بن سالم والله لأمتعكم مما أمتع نفسى به) . أما قريش فإنهم لما رأوا أن ما عملوه نقضاً للعهود التى أخذت عليهم فندموا على ما فعلوا .

أبو سفيان بن حرب مبعوث قريش للرسول :

ركب أبو سفيان بن حرب زعيم قريش راحلته متوجهاً إلى المدينة يطلب توثيق العهد وأن يزيد فى المدة . ولما وصل المدينة ذهب إلى بيت رسول الله ﷺ حيث زوجته أم المؤمنين أم حبيبه ابنة أبى سفيان هذا . لعله يجد عندها من الأخبار ما يستفيد به عند مقابلته لرسول الله ﷺ . فلما دخل بيت أم حبيبة وقد أراد أن يجلس على فراش النبى ﷺ فطوته عنه [١] .

---

(١) أى : منعته من الجلوس .

فقال أبو سفيان لابنته : يا بنيتى أرغبت به عنى ؟ فقالت : ما كان لك أن تجلس على فراش رسول الله وأنت مشرك نجس . فقال : لقد أصابك بعدى شر ثم خرج من عندها .

وأتى النبى ﷺ فى المسجد وكلمه فى العهد وإطالة مدته . فقال ﷺ : (هل كان من حدث؟) قال : لا فقال : (فتحت على مدتنا وصلحنا) ولم يزد عن ذلك . فقام أبو سفيان .

وكلم أبا بكر ليكلم له رسول الله . فأبى . فكلم عمر بن الخطاب . فأغلظ له الرد .وقال : أنا لا أشفع لكم إلى رسول الله . فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به.

ودخل أبو سفيان على على بن أبى طالب وعنده فاطمة فعرض عليه ما جاء له واستشفعه إلى رسول الله فأنبأه على فى رفق أنه لا يستطيع أحد أن يرد محمدًا عن أمر إذا هو اعتزمه ، واستشفع رسول قريش فاطمة أن يجير ابنها الحسن بين الناس فقالت فاطمة رضى الله عنها : ما يجير أحد على رسول الله .

اشتدت الأمور على أبى سفيان فاستنصح علياً . فقال له : والله ما أعلم شيئاً يغنى عنك لكنك سيد فى كنانة . فقم فاجر بين الناس ثم الحق بأرضك .

وما أظن ذلك مغنياً ولكنى لا أجد لك غيره . فذهب أبو سفيان إلى المسجد وهناك أعلن أنه أجار بين الناس ثم ركب راحلته إلى مكة [١] .

فلما رجع إلى قومه اتهموه بأنه خانهم واتبع الإسلام فتنسك عند الأوثان لينفى عنه هذه التهمة :

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضعف شوكة قريش وحلفائها وعلو شأن المسلمين وقوتهم وإزديار هيبتهم بين العرب وقوة الإيمان التى لا تدانيها قوة وضعف قوة الشرك والضلال مهما كانت قوتها ومهما كانت عدتها ومهما كانت جموعها لأن الشرك أساسه باطل وهو ضعيف يزعم ما لديه من قوة الأمر الذى جعل قريش تسعى لمدة فترة الهدنة وتعتذر لذنبها .

---

(١) حياة محمد ص ٤٠١ .

استعداد الرسول لغزو مكة :

فجهز رسول الله ﷺ لغزو مكة قبل أن تستعد . وليأخذهم علـى غـرة . فيجهـز للسفر وأمر أصحابه بذلك وأخبر أبا بكر الصديق بالوجهة فقال لـه : يـا رسـول اللـه أليس بينك وبين قريـش عهـد ؟ قـال : نعـم . ولكـن غـدروا ونقضـوا ، ثـم اسـتنفروا الأعراب الذين حول المدينة .

قدم جمع من قبائل أسـلم وغفـار وقرينـة وأشـجع وجهينـة . وأخفـى الخـبر عـن الجيش حتى لا يشيع الأمر فتعلم قريش فتستعد للحرب والرسول لا يبغى الحرب مع مكة بل يريد انقياد أهلها مع عدم المساس بخرقها لذلك دعا الله جلَّ ذكره .. (اللهـم خذ العيون والأخبار من قريش حتى نبغتها فى بلادها .

حاطب بن أبى بلتعة يفش السر :

بينما جيش المسلمين على أهبة السير كتب حاطب بن أبى بلتعـه خطابـاً لقريـش يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ وأعطاه جارية من مكة . مولاة لبعض بنى عبد المطلب – تسمى سارة . وجعل لها أجراً لتوصيله إلى قريش على عجل . فأعلم الله رسول الله ﷺ بذلك . فأرسل فى أثرها عليا والزبير والمقداد . وقال : انطلقوا حتـى تأتوا روضة فاخ فإن فيها ظعينة . معها كتاب فخذوه منها) .

فانطلقوا حتى أتوا الروضة فوجدوا بها سارة فقالوا لها . أخرجى الكتاب قالت : ما معى كتاب . قالوا : لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب . فأخرجتـه مـن عقاصـها . فأتوا به رسول الله ﷺ . ودعا حاطب يسـأله مـا حملـه علـى هـذا ؟. قـال حـاطب : يارسول الله . لا تعجل على إنى كنت حليفاً ! لقريش ولم أكن من أنفسـها وكـل مـن معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم فأحينى إذ ما ثنــى ذلـك مـن النسب فيهم أن اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى ولـم أفعلـه ارتـدادًا عـن دينـى ولا رضاء بالكفر بعد الإسلام . فقال عليه الصلاة والسلام : أما أنـه قـد صدقكـم . فقـال عمر: دعنى يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق . فقال عليـه الصـلاة والسـلام : إنه شهد بدراً . وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقـال : شـاهدوا بـدراً .

ولكن هوى نفسه ففعلت فعلتها هذه . وفى ذلك قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة:١] .

سيرة جيش المسلمين فى سنن رمضان :

فى منتصف رمضان . سار عليه الصلاة والسلام بجيش عظيم بعد أن ولى على المدينة ابن أم مكتوم . وقد بلغ عدة الجيش عشرة آلاف مجاهد وقد انضمت القبائل التى مر عليها الجيش . ولما بلغت المسيرة الجحفة لقى رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب . عم النبى . كما خرج أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ابن عمته حتى التقيا بجيش المسلمين فى نيسن العقاب . واستأذنا على النبى فرفض أن يأذن لهما وقال ﷺ لزوجه أم سلمة حين كلمته فى أمرهما : (لا حاجة لى بهما .أما ابن عمى فقد أصابنى منه سوء ، وأما ابن عمتى وصهرى فقد قال بمكة ما قال : وبلغ أبو سفيان هذا الكلام : فقال : والله ليؤذنن لى أو لآخذن بيد ابنى هذا لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً . فرق الرسول ﷺ (وتحركت فيه إنسانيته وخلقه العظيم) . فأذن لهما فدخلا عليه ؛ فأسلما . وفرح بهما فرحاً شديداً وقال : ﴿ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ ﴾ (١).

ولما وصل عليه الصلاة والسلام إلى الكدير رأى أن الصوم شاق على المسلمين . فأمرهم بالفطر وأفطر هو أيضاً . وقد قابل فى الطريق عمه العباس مهاجراً بأهله وعياله فأمره أن يعود معه إلى مكة ويرسل عياله إلى المدينة (٢) ولما وصل ﷺ إلى مر الظهران أمر بإيقاد عشرة آلاف نار وكانت قريش قد بلغهم أن محمداً زاحف بجيش عظيم لا تدرى وجهته فأرسلوا أبا سفيان (٣) بن حرب يلتمس الخبر عن رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ وسار حتى وصل إلى منازل الجيش .

أما أبو عبيدة بن الجراح فجعله رسول الله ﷺ على المهاجرين وسار وإياهم ليدخلوا مكة من أعلاها . فى حذاء جبل هند ودخل النبى مكة . ونادى مناديه (من

---

(١) سورة يوسف : ٩٢ .

(٢) المنظومه الشكرية للسيد شكرى (باشا) جـ٢ صـ٢٩ .

(٣) ومعه حكيم ابن جزام وبديل بن ورقاء .

دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن . وهذه أعظم هبة لأبى سفيان بن حرب من رسول الله ﷺ وهى تدل على سماحة الإسلام . وخلقه .

ولما مر جيش خالد بن الوليد على أسفل قريش إذ بها أشد الناس عداوة للرسول ﷺ . وهم الذين اشتركوا مع بنى بكر فى نقض عهد الحديبية بالإغارة على خزاعة. فلم يرضهم ما نادى به أبو سفيان . بل خرجوا له وكان على رأسهم صفوان وسهيل وعكرمة بن أبى جهل . فلما دخلت فرقة خالد أمطروها نبالهم . لكن خالد فرقهم . ولم يقتل من جنده إلا اثنين ضلا طريقهما وانفصلا عنه . وفقدت قريش ثلاثة عشر رجلاً . ويقال: ثمانية وعشرين فى رواية أخرى. [١] .

وفر صفوان وسهيل وعكرمة . أمام خالد . وهناك جماعة عظمت ذنوبهم وآذوا الرسول ﷺ. وأهله عظيم الأذى فأهدر دمهم . وإن تعلقوا بأستار الكعبة . منهم عبدالله بن سعد بن أبى سرح الذى أسلم وكتب لرسول الله ﷺ الوحى . ثم ارتد وافترى على الأمين المأمون . فكان يقول : إن محمداً كان يأمرنى أن أكتب عليم حكيم فأكتب غفور رحيم . فيقول: جيد .

ومنهم عكرمة بن أبى جهل ، وصفوان بن أمية ، وحبان بن الأسد والحارث بن هشام . وزهير بن أبى أمية ، وكعب بن زهير ، ووحش قاتل حمزة ، وهند بنت عتبة زوج أبى سفيان . وقليل غيرهم . ونهى عن قتل واحد سوى هؤلاء .

الرسول فى مكة

(يوم الجمعة ٢٠ من رمضان) سنة ٦٣٠م

دخل محمد ﷺ مكة . ولم يصادف مانعا وهو راكب راحلته فنحن على الرحل تواضعاً لله وشكراً له . على هذه النعمة حتى تكاد جبهته تمس الرحل . وأسامة بن زيد رديفه .

---

(١) حياة محمد ص ٤٠٧ .

وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان . حتى وصل إلى الحجون موضع رايته . وبجانبه أبو بكر يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح حتى بلغ البيت وطاف سبعاً على راحلته . واستلم الحجر بمحجته .

وكان حول الكعبة إذ ذاك ثلثمائة وستون صنماً . فجعل عليه الصلاة والسلام . يطعنها بعود فى يده ويقول : ﴿ **جَآءَ الْحَقّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ** ﴾ [(١)].. و ﴿ **وَمَا يُبْدِىءُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ** ﴾ [(٢)].

أبو سفيان فى يد المسلمين :

نزل أبو سفيان بن حرب وحكيم بن جزام وبديل بن ورقاء إلى مر الظهران فإذا نيران كأنها نيران عرفة . وقد سمع العباس حديثاً بن أبى سفيان بن حرب وبديل بن ورقاء . يقول أبو سفيان: ما رأيت كالليله نيراناً قط . ولا عسكراً لكأنها نيران عرفة. قال بديل بن ورقاء : نيران بنى عمرو . فقال أبو سفيان: عمرو أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها .

فأدركه حرس الجيش . وعرف العباس صوت أبى سفيان فناداه بكنيته قائلاً : أبا حنظله فأجاب أبو سفيان بدوره . أبا الفضل قال العباس : ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله فى الناس فأمسك به العباس يريد أن يجيره فأسرع إلى خيمة النبى وطلب إليه أن يضرب عنقه . ولكن العباس أجاره عند رسول الله ﷺ .

أسلم أبو سفيان بين يدى رسول الله ﷺ . وقال له : أحبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر كتيبه . كتيبة على أبى سفيان . وهو يسأل عنها ويقول : مالى ومالها حتى إذا مرت به قبيله: الأنصار وحامل رايتها سعد بن عبادة فقال سعد : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة . اليوم تستحل الكعبة . فقال أبو سفيان : يا عباس حبذا يوم الذمار .

ثم جاءت كتيبة وهى أقل الكتائب فيها رسول الله ﷺ وأصحابه وحامل الراية الزبير بن ا لعوام . فأخبر أبو سفيان رسول الله ﷺ بمقالة سعد . فقال عليه الصلاة والسلام : كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة . ويوم نكس فيه الكعبة .

---

(١) سورة الإسراء :٨١ .
(٢) سورة سبأ : ٤٩

دخول مكة :

فرأى رسول الله ﷺ أن مكة لا تقاوم فاستوقف راحلته وانحنى لله شكراً . وقد أمر بتفريق الجيش إلى أربع فرق وأمرها جميعاً ألا نقاتل ولا نسفك دما . إلا إذا أكرهت على ذلك إكراهاً . وأمر عليه الصلاة والسلام أن تركز راتيه بالحجون [١] .

وجعل الزبير بن العوام على الجناح الأيسر من الجيش وأمره أن يدخل مكة من شمالها . وجعل خالد بن الوليد على الميمنة وأمره أن يدخل من أسفل مكة . وجعل سعد بن عبادة على أهل المدينة فدخلها من جانبها الغربى .

تطهير الكعبة من الأصنام :

أمر رسول الله ﷺ بالآلهة فأخرجت من البيت وفيها صورة إسماعيل . وإبراهيم فى أيديهما الأزلام . فقال عليه الصلاة والسلام : « قاتلهم الله لو علموا ما استقسما بها قط ! » . وهذا أول يوم طهرت فيه الكعبة من هذه المعبودات . وبطهارة الكعبة المقدسة . سقطت عبادة الأوثان إلى الأبد من جميع بلاد العرب إلا قليلا ثم القضاء عليها كما سنرى .

العفو العام :

ظل رسول الله ﷺ بالكعبة يكبر فى نواحيها ثم خرج إلى مقام إبراهيم وصلى فيه . ثم شرب من ماء زمزم . وجلس فى المسجد والناس حوله . والعيون شاخصة إليه ينتظرون ما هو فاعل بمشركى قريش الذين آذوه وأصحابه وأخرجوهم من ديارهم . وأرغموهم على الهجرة فراراً من آذاهم والنجاة بدينهم وأرواحهم .

الكل يفكر والعقول فى شغل شاغل بما سيفعله ﷺ بهم ولكن الرسول الرحيم الرءوف صاحب الخلق الكريم لم يقابلهم بأفعالهم وها هو يقول لهم عندما رآهم ينظرون إليه والسكون قد خيم عليهم كأنما على رءوسهم الطير . وبلغت القلوب الحناجر : يا معشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم ؟. قالوا : خيرا .. أخ كريم . وابن أخ كريم .

---

(١) جبل المعلات بمكة .

فقال عليه الصلاة والسلام : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » (١) .

خطبة الرسول وأحكام دينيه :

خطب رسول الله ﷺ فى الناس ومن خطبته : « ألا يقتل مسلم بكافر . ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين . ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها . والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع ذى محرم. ولا صلاة بعد الصبح والعصر . ولا يصام يوم الأضحى ويوم الفطر » ثم قال : « إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، والناس من آدم . وآدم من تراب » . ثم تلا هذه الآية : ﴿ **يَأَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوَاْ إِنّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (٢) .

مبايعة الرسول :

أخذ الناس يبايعون رسول الله ﷺ فى هذا اليوم العظيم ، ومنهم معاوية بن أبى سفيان . وأبو قحافة والد أبى بكر الصديق وقد فرح رسول الله ﷺ بإسلامه .

وجاء يرتعد خوفاً . فقال ﷺ : « هون عليك فإنى لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القريد » .

بيعة النساء :

لما تمت بيعة الرجال بايعته النساء وكن يبايعن على ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصين الرسول فى معروف .

---

(١) ويسجل لنا الإمام البوصيرى هذا الموقف الكريم لرسول الله ﷺ فيقول :

وإذا كان القطع والوصل لله	تساوى التقريب والإقصاء
وسواء عليه فيما أتاه	من سرة الملام والإطراء
ولو أن انتقامه لهوى النفـ	ـس لدامت قطعية وجفاء
قام لله فى الأمور فأرضى الله	منه تباين . ووفاء
فعله كله جميل وهل ينضـ	ـح الأيما حواه الإناء

(٢) سورة الحجرات : ١٣ .

ثم أمر عليه الصلاة والسلام بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة . وهذا بدء ظهور الإسلام على ظهر البيت الكريم فلا عجب أن اتخذ المسلمون عيداً يحمدون فيه الله حق حمده على هذا النصر العظيم .

توليه حاكم لمكة :

أقام عليه الصلاة والسلام بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوماً يقصر فيها الصلاة وولى عليها . عتاب بن أسيد وجعل رزقة (أجره) كل يوم درهما . فكان عتاب رضى الله عنه يقول : (لا أشبع الله بطنا جاع على درهم كل يوم) .

موقف الذين أهدر النبى دمهم :

ضاقت الأرض بما رحبت على الذين حقت عليهم كلمة العذاب فقتل منهم من قتل ومنهم أدركته رحمة الله فأسلم فعبد الله بن سعد بن أبى السرع لجأ إلى عثمان حتى هدأ الناس . ثم أتى به النبى . وقال : يا رسول الله أمنته فبايعه . فأعرض عنه عليه الصلاة والسلام مراراً ثم بايعه . فلما خرج عثمان وعبد الله قال عليه الصلاة والسلام عنه : ليقوم أحدكم فيضرب عنقه . فقالوا : هلا أشرت إلينا فقال : « لا ينبغى لنبى أن تكون له خائنة الأعين » .

وأما عكرمة بن أبى جهل فهرب .. فخرجت وراءه زوجته وبنت عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام وكانت قد أسلمت قبل الفتح . وقد أخذت له أمانا من رسول الله فلحقته . وقد أراد أن يركب البحر . فقالت جئتك من عند أبر الناس وخيرهم لا تهلك نفسك وإنى استأمنته لك فرجع ولما رآه ﷺ وثب قائماً فرحاً به وقال : مرحباً بمن جاءنا مهاجراً مسلماً . ثم أسلم رضى الله عنه ، وطلب من رسول الله أن يستغفر له عن كل عداوة عاداه إياها . فاستغفر له .

وأما هبار بن الأسود فهرب واختفى حتى إذا كان رسول الله بالجعرانة [١] جاءه مسلماً وقال : يا رسول الله هربت منك وأردت اللحاق بالأعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمن جهل عليك ، وكنا يا رسول الله أهل شرك فهدانا

---

(١) موقع بين مكة والطائف .

الله بك وأنقذنا من الهلكة فاصفح الصفح الجميل . فقال عليه الصلاة والسلام : « قد عفوت عنك » .

وأما الحارث بن هشام ، وزهير بن أبى أمية المخزومى فأجارتهما أم هانئ بنت أبى طالب . فأجاز عليه الصلاة والسلام جوارها .. ولما قابل الحارث رسول الله ﷺ مسلما قال : الحمد لله الذى هداك ما كان مثلك يجهل الإسلام .

أراد صفوان بن أمية أن يلقى بنفسه فى البحر بعد أن اختفى فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحى وقال : يا نبى الله إن صفوان سيد قومه وقد ذهب ليقذف نفسه فى البحر فأمنه فإنك قد أمنت الأحمر والأسود . فقال عليه الصلاة والسلام : «أدرك ابن عمك فهو آمن » . فقال : أعطنى علامة فأعطاه عمامته فأخذها عمير حتى إذا لقى صفوان قال له : فداك أبى وأمى جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ، وهو ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك . قال صفوان إنى أخافه على نفسى ، قال: هو أحلم من ذلك وأكرم ، وأراه العمامة علامة الأمان . فرجع إلى رسول الله ﷺ . وقال له : إن هذا يزعم أنك أمنتنى ؟ قال : صدق . قال: أمهلنى بالخيار شهرين ، قال : أربعة أشهر .. ثم أسلم وحسن إسلامه.

وجاءت هند [1] بعد أن اختفت ثم أسلمت بين يدى رسول الله ﷺ فرحب بها وقالت له : والله يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلى أن يذلوا من أهل خبائك .ثم أصبح اليوم أهل خباء أحب إلى أن يعزوا من أهل خبائك .

وأما كعب بن زهير فلما ضاقت به الأرض ولم يجد له مجيراً جاء المدينة بعد أن قدمها رسول الله ﷺ من مكة فأسلم وأنشد قصيدته التى يقول فيها :

وقال : كل صديق كنت أمله ... لا ألهينك إنى عنك مشغول
فقلت: خلوا سبيلى لا أبالكم ... فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوما على آلة حدباء محمول
أنبئت أن رسول الله أوعدنى ... والعفو عند رسول الله مأمول

---

(١) هند بنت عتبه زوجة أبى سفيان بن حرب .

مهلا هداك الذى أعطاك تألفه الـ　　　ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل

وقال فيها مادحاً :

إن الرسول لنور يستضاء به　　　مهند من سيوف الله مسلول

ولما قال هذا البيت خلع عليه الرسول بردته .

وأما وحشى قاتل حمزة عم رسول الله ﷺ فى غزوة أحد فأسلم وحسن إسلامه وقبله عليه الصلاة والسلام . وقد جاءه ابنا أبى لهب عتبه ومعتب فأسلما . وفرح بهما عليه الصلاة والسلام .

وكان من الذين اختفوا سهيل بن عمرو ، فاستأمن له ابنه عبد الله فأمنه عليه الصلاة والسلام وقال : إن سهيلاً له عقل وشرف ، وما مثل سهيل يجهل الإسلام . فلما بلغت هذه المقالة سهيل قال : كان والله براً صغيراً براً كبيراً ثم أسلم .

هدم الطواغيت

سرية خالد لهدم العزى

(فى شهر رمضان)

فى الخامس من مقامه عليه الصلاة والسلام بمكة أرسل خالد بن الوليد فى ثلاثين فارسا لهدم هيكل العزى وهى أكبر صنم لقريش . وكان هيكلها ببطن نخلة فتوجه إليها خالد وهدمها .

سرية عمرو لهدم سواع

(فى شهر رمضان)

كذلك أرسل عليه الصلاة والسلام عمرو بن العاص فى بعض الصحابة لهدم سواع وهو أعظم صنم لهذيل . وهيكله على ثلاثة أميال من مكة فذهب إليه وهدمه .

سرية سعد بن زيد لهدم مناة

(فى شهر رمضان)

وبعث سعد بن زيد الأشهلى فى عشرين فارسا لهدم مناة وهى صنم لكلب وخزاعة وهيكلها بالمشلل وهو جبل على ساحل البحر يهبط منها إلى فديد فتوجهوا إليها وهدموها.

غزوة حنين

(فى شهر شوال)

بعد الفتح العظيم وسقوط دولة الأوثان ودانت للإسلام جموع العرب ودخلوا فيه أفواجاً ، أما قبيلتا هوازن وثقيف ، فأدركتهما حمية الجاهلية . واجتمع الأشراف للشورى . وقالوا : لقد فرغ محمد ﷺ من قتال قومه ولا ناهية له عنا فلنغزه قبل أن يغزونا . فأجمعوا أمرهم على ذلك وولوا رياستهم مالك بن عوف النصرى فاجتمع له من القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر الذين كان رسول الله مسترضعا فيهم .

تخطيط الأعداء :

وكان فى القوم دريد بن الصمه المشهور بأصالة الرأى وشدة البأس فى الحرب ولتقدم سنه لم يكن له فى هذه الحرب إلا الرأى . ثم إن مالك بن عوف أمر الناس أن يأخذوا منهم نساءهم وذراريهم وأموالهم . فلما علم بذلك دريد يسأل مالكاً عن السبب فقال : سقت مع الناس أموالهم وذراريهم . ونساءهم لأجعل خلف كل رجل أهله . وماله يقاتل عنه . فقال دريد : وهل يرد للمنهزم شيء ؟ إن كانت لك لا ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه . وإن كانت عليك فضحت فى أهلك ، ومالك . فلم يقبل مالك مشورته . وجعل النساء صفوفاً وراء المقاتلة ، ووراءهم الإبل ثم البقر ثم الغنم كيلا يفر أحد من المقاتلين .

استعداد الرسول :

لما بلغ رسول الله ﷺ أن هوازن وثقيف يستعدون لحربه أجمع رأيه على المسير إليهم . وخرج معه اثنا عشر ألف غاز منهم . ألفان من أهل مكة والباقون هم الذين أتوا معه من المدينة وخرج أهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء يمشين من غير ضعف يرجون الغنائم .

وخرج فى الجيش ثمانون من المشركين . منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو ، ولما قرب الجيش من معسكر العدو . صف عليه الصلاة والسلام الغزاة .

وعقد الأولوية فأعطى لواء المهاجرين لعلى بن أبى طالب . ولواء الخزرج للحباب ابن المنذر . ولواء الأوس لأسيد بن خضير . وكذلك أعطى ألوية القبائل العربية الأخرى . ثم ركب عليه الصلاة والسلام بغلته ولبس درعين البيضة والمغفر ، هذا وقد أعجب المسلمون بكثرتهم فلم تغن عنهم شيئاً .

العدو يكمن للمسلمين :

أخذ العدو يستغل شباب الوادى ومضايقه فوضعوا عدداً من رجالهم فى مجموعات عند مداخل الطريق ومضايقه ككمائن مستترة للانقضاض على جيش المسلمين عند مرورهم عليهم ويمطروهم بالنبل ليفرقوا جمعهم ويشتتوا شملهم ويفروا منهزمين .

سير المعركة :

توجهت مقدمة المسلمين جهة العدو فخرج لهم كمين كان مستتراً فى شعاب الوادى ومضايقه . وقابلهم بنبل كأنه السيل المنهمر . فلووا أعنة خيلهم متقهقرين ، ولما وصلوا إلى من قبلهم تبعوهم فى الهزيمة لما لحقهم من الدهشة . أما رسول الله ﷺ . فثبت على بغلته فى ميدان القتال . وثبت معه قليل من المهاجرين والأنصار . منهم أبو بكر وعمر وعلى والعباس ، وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث . وأخوه ربيعة بن الحارث ، ومتعب بن أبى لهب ، وكان العباس آخذاً بلجام البغلة ، وأبو سفيان آخذاً بالركاب ، وكان ﷺ ينادى إلى القوم : أيها الناس . ولا يلوى عليه أحد. وضاقت الأرض على المنهزمين أما رجال مكة الذين هم حديثوا عهد بالإسلام والذين لم ينزعوا عنهم ربقة الشرك فمنهم من فرح ومنهم من ساءه هذا الإدبار . فقال : أبو سفيان بن حرب لا تنتهى هزيمتهم دون البحر .

وقال أخ لصفوان بن أمية : الآن بطل السحر . فقال له صفوان وهو على شركه : اسكت فض الله فاك . والله لأن يرثنى رجل من قريش خير من أن يرثنى رجل هوازن . ومر عليه رجل وهو يقول : أبشر بهزيمة محمد وأصحابه . فوالله لا يجدونها أبداً فغضب صفوان وقال : ويلك أتبشرنى بظهور الأعراب . ؟ .

وقال عكرمه بن أبى جهل : لذلك الرجل كونهم لا يجدونها أبداً ليس بيدك الأمر بيد الله ليس إلى محمد منه شىء . وإن أديل عليه اليوم فإن العاقبة له غداً .

فقال : سهيل بن عمرو . والله إن عهدك بخلافة لحديث . فقال له : يا أبا يزيد إنا كنا على غير شىء وعقولنا ذاهبة ، نعبد حجراً لا يضر ولا ينفع .

وبلغت هزيمة بعض الفارين مكة . كل هذا ورسول الله ﷺ ثابت فى مكانه يقول :

أنــا النبــى لا كـــذب أنــا ابــن عبــد المطلـــب

ثم قال للعباس ، وكان جهورى الصوت ناد بالأنصار يا عباس. فنادى: يامعشر الأنصار ، يـا أصحـاب بيعـة الرضـوان . فأسـمع مـن فـى الـوادى وصـار الأنصـار يقولون: لبيك . لبيك . ويريد كل واحد منهم أن يلوى عنان بعيره فيمنعه من ذلك كثرة الأعراب المنهزمين . فيأخذ درعه فيضعها فى عنقه ، ويأخذ سيفه وفرسه وينزل عن بعيره ويخلى سبيله ويؤم الصوت حتى اجتمع حول رسول الله ﷺ جمع عظيم منهم .

وأنزل الله سكينته على رسول الله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنوداً لم يروها .

معاودة هجوم المسلمين :

المسلمون على عدوهم يداً واحدة فانكسرت شوكة المشركين وتفرقوا فى كل جهة لا يلوون على شىء من الأموال والنساء والذرارى وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فأخذوا النساء والذرارى وأسروا كثيراً من المحاربين وهرب من هرب .

وجرح فى هذا اليوم خالد بن الوليد جراحات بالغة . وأسلم أناس كثيرون من مشركى مكة لما رأوا من عناية الله بالمسلمين ما ألان قلوبهم للإسلام .

جمع الغنائم :

أمر عليه الصلاة والسلام بجمع السبى والغنائم ، وكانت نحو أربعة وعشرين ألفا بعير وأكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة فجمع ذلك كله بالجعرانة أما المشركون فتفرقوا ثلاث فرق . فرقة لحقت بالطائف ، وفرقة لحقت بنخلة ، وفرقة عسكرت بأوطاس (١) .

---

(١) اسم وادى بديار هوازن .

دروس مستفادة من غزوة حنين :

من الدروس الحربية الهامة والمستفادة من هذه الغزوة هى أن جيش المسلمين كان به أعداد كثيرة من مشركين وأعراب وحديثى عهد بالإسلام وهؤلاء سيان عندهم نصر المسلمين أو خذلانهم ونظير هذا عندما تقابلوا مع الأعداء فإنهم من أول مرة تفرقوا وهربوا وكادت الهزيمة تسحق المسلمين لولا فضل الله عليهم ورحمته وبركاته . ثبات الرسول ﷺ والذين حوله قاتلوا وأخلصوا الله ودافعوا عن دينه لأنهم يعرفون جزاء المدافع الصامد الثابت الأقدام وجزاء من يستشهد منهم وجزاء من يفر أمام العدو وكانوا يحرصون على نيل الشهادة أو النصر ولم يرضوا بالفرار خشية ما أعده الله للفارين من خذلان وعذاب أليم ..

ونصر الله عباده المؤمنين فى هذه الغزوة غير ما كان فى قلوب المشركين وحديثى العهد بالإسلام من ظنهم عدم نصر الله لنبيه والمسلمين ..

وكذلك أسلم بعض الأعراب والمشركين لما تبين لهم أن دين الإسلام هو دين الحق وأن الله مؤيد نبيه بالنصر وقوله : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

سرية أبى عامر إلى أوطاس

(فى شهر شوال)

أرسل رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعرى فى جماعة منهم أبو موسى الأشعرى إلى هذه الفرقة التى فرت إلى هذا المكان (أوطاس) فسار إليهم وبددهم وظفر بما بقى معهم من الغنائم . وقد استشهد أبو عامر فى هذه السرية . وخلف على الغزاة ابن أخيه أبا موسى الأشعرى فرجع ظافراً منصوراً .

غزوة الطائف

(فى شهر شوال)

سير الجيش : تعتبر هذه الغزوة امتداداً لغزوة حنين – سار عليه الصلاة والسلام إلى الطائف ليجهز على بقية ثقيف ومن تجمع منهم من هوازن وجعل على

---

(١) سورة الروم : ٤٧ .

مقدمة الجيش خالد بن الوليد ومر عليه الصلاة والسلام بحصن لعوف بن مالك النصرى فأمر بهدمه . ومر ببستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فأرسل إليه أن أخرج وإلا حرقنا عليك بستانك . فامتنع الرجل فأمر عليه الصلاة والسلام بحرقه .

محاصرة الطائف :

وصل المسلمون إلى الطائف فوجدوا الأعداء قد تحصنوا به وأدخلوا معهم قوت سنتهم فعسكر المسلمون قريب الحصن . فرماهم المشركون بالنبل رمياً شديداً حتى أصيب منهم كثيرون بجراحات منهم عبد الله بن أبى بكر وقد طاوله جرحه حتى أماته فى خلافة أبيه ، ومنهم أبو سفيان بن حرب فقئت عينه وقد مات بالجراحات اثنا عشر رجلاً من المسلمين [١] .

ولما رأى رسول الله ﷺ أن العدو متمكن من رميهم إندفع إلى محل مسجد الطائف الآن وضرب لأم سلمه وزينب قبتين هناك واستمر الحصار ثمانية عشر يوماً كان خالد بن الوليد ينادى فيها بالبراز فلم يجبه أحد ، وناداه عبد ياليل عظيم ثقيف لا ينزل إليك منا أحد ولكن نقيم فى حصننا فإن فيه الطعام ما يكفينا سنين فإن أقمت حتى يفنى هذا الطعام خرجنا إليك بأسيافنا جميعاً حتى نموت عن آخرنا .

استعمال سلاح جديد :

فأمر عليه الصلاة والسلام بأن ينصب عليهم المنجنيق فنصبه ودخل جمع من الأصحاب تحت دبابتين (الدبابة . آله تتخذ للحروب فتدفع فى أصل الحصن فينقبون وهم فى جوفها) . لينقبوا الحصن . فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماه بالنار حتى أرجعوهم . فأمر عليه الصلاة والسلام أن تقطع أعنابهم ونخيلهم فقطع المسلمون فيها قطعاً ذريعاً . فناداه أهل الحصن أن دعها لله وللرجم ، فقال : أدعها لله وللرحم .

أمر عليه الصلاة والسلام من ينادى بأن كل من ترك الحصن ونزل فهو آمن . فخرج إليه بضعة عشر رجلا . ولما رأى عليه الصلاة والسلام أن تمنع ثقيف شديد

---

(١) المنظومة الشكرية جـ٤ ص٣١٦ . وقيل: ثمانية عشر رجلاً حياة محمد ص٤٢٠ .

وأن الفتح لم يؤذن فيه استشار نوفل بن معاوية الديلى بالذهاب أو المقام . فقال : يارسول الله ثعلب فى جحر إن أقمت أخذته وإن تركته لم يضرك . فأمر عليه الصلاة والسلام بالرحيل . وطلب منه بعض الصحابة أن يدعو على ثقيف فقال : اللهم أهد ثقيفا وائت بهم مسلمين .

تقسيم السبى والغنائم :

رجع ﷺ ومن معه إلى الجعرانة المكان الذى ترك السبى فيها فأحصاها وخمسه وأعطى منه شيئاً كثيراً لأناس ضعف إسلامهم يتألفهم بذلك ، وأعطى أُنَاسًا لم يسلموا ليحبب إليهم الإسلام . ومن الأولين أبو سفيان أعطاه أربعين أوقية من الذهب ومائة من الإبل وكذلك ابناه معاوية ويزيد . فقال له : بأبى أنت وأمى . لأنت كريم فى السلم والحرب . ومنهم حكيم بن حزام . أعطاه كأبى سفيان فاستزاده فأعطاه ثم استزاده فأعطاه مثلها . وقال : يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه . ومن أخذه بإسراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى . فأخذ حكيم المائة الأولى وَرَدَّ ما عداها . ثم قال : والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا .. كان الخلفاء بعد رسول الله يعرضون عليه العطاء الذى يستحقه من بيت المال فلا يأخذه .

وأعطى عليه الصلاة والسلام عيينة بن حصن مائة من الإبل . وكذلك الأقرع ابن حابس والعباس بن مرداس ، وأعطى صفوان بن أمية شعباً مملوءاً نعما وشاة كان رآه يرقبه . فقال له : هل يعجبك هذا ؟ . فقال : نعم . قال : هو لك فقال صفوان : طابت بمثل هذا نفس وكان هذا سبب إسلامه .

وكان عليه الصلاة والسلام يقصد من هذه العطايا تأليف القلوب وجمعها على الدين القويم . وهذا ضرب من ضروب السياسة الدينية حتى يجعل من الصدقات قسم للمؤلفة قلوبهم .

وقد عاد ذلك بفائدة عظيمة فإن كثيرين ممن أعطوا فى هذا اليوم ولم يكونوا أشربوا فى قلوبهم حب الإسلام صاروا بعد من أجلاء المسلمين وأعظمهم نفعاً . كصفوان بن أمية . ومعاوية بن أبى سفيان . والحارث بن هشام . وغيرهم .

ثم أمر عليه الصلاة والسلام زيد بن ثابت فأحصى ما بقى من الغنائم وقسمه على الغزاة بعد أن اجتمع إليه الأعراب وصاروا يقولون: له أقسم علينا حتى ألجأوه إلى شجرة فتعلق رداؤه . فقال : ردوا ردائى أيها الناس . فوالله إن كان لى شجر تهامة نعما لقسمته عليكم . ثم ما ألفيتمونى بخيلاً ولا جبانا ولا كدوداً ثم قام إلى بعيره وأخذه وبره من سنامه . وقال : أيها الناس والله مالى من غنيمتكم ولا هذه الوبره إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم . فأدوا الخياط والمخيط فإن الغلول [١] . يكون على أهله عاراً وشناراً يوم القيامة . فصار كل من أخذ شيئاً من الغنائم خلسة يرده . ولو كان زهيداً . ثم شرع يقسم فأجاب الرجل أربعة من الإبل وأربعون شاة والفارس ثلاثة أمثال ذلك .

قول أهل النفاق :

قال رجل من المنافقين: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فغضب عليه الصلاة والسلام حتى احمر وجهه وقال : ويحك من يعدل إذ لم أعدل فلم يؤده أن ينتقم لنفسه حاشاه عليه الصلاة والسلام من ذلك بل لم يزد على أن نصح وحذر . وقال له عمر وخالد بن الوليد : دعنا يا رسول الله نضرب عنقه . فقال : لا لعله أن يكون يصلى. فقال خالد : وكم مصل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه . ؟ . فقال ﷺ : إنى لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق عن بطونهم .

غضب بعض الأنصار :

ولما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا لقريش وقبائل العرب وترك الأنصار غضب بعضهم حتى قالوا : إن هذا لهو العجب يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم . فبلغه ذلك . فأمر بجمعهم وليس معهم غيرهم . فلما اجتمعوا قال : يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتنى عنكم ؟. ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى ؟ . وعالة [٢] فأغناكم الله بى ؟ وأعداء وألف الله بين قلوبكم بى إن قريشا

---

(١) الاختلاس من الغنيمة .
(٢) عالة : جمع عائل . وهو الفقير .

حديثوا عهد بكفر ومعصيه ؟ وإنى أردت أن أجيرهم نـألفهم أو غضبتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم لشىء قليل من الدنيا ألفت به قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم الثابت الذى لا يزلزل ؟. ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله إلى رحلكم ؟. فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً ، ثم انصرف عليه الصلاة والسلام وتفرقوا .

وفود هوازن :

وبعد بضع عشرة ليلة جاءه ﷺ وفد هوازن يرأسهم زهير بن صرد وقالوا : يا رسول الله إن فيمن أصبتم الأمهات والخالات وهن محارمى الأقوام ونرغب إلى الله وإليك يا رسول الله .

وقال زهير : إن فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللآتى كن يكفلنك ، ثم قال أبياتاً يستعطفه بها :

أمنن علينا رسول الله فى كرم	فإنك المرء نرجوه وننتظر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها	إذ فوك مملوءة من خضها الدرر
إنا نؤمل عفواً منك نلبسه	هدى البرية إن تعفو وتنتصر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه	من أمهاتك ، إن العفو مشتهر

فقال ﷺ : إن أحب الحديث إلى أصدقه ، فاختاروا إحدى الطائفتين . إما السبى وإما المال . وقد كنت انظرتكم حتى ظننت أنكم لا تقومون فقالوا : ما كنا فعدل بالأحساب شيئاً أردد علينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا ولا نتكلم فى شاة ولا بعير . فقال ﷺ : أما مالى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فإذا أنا صليت الظهر فقوموا ، وقولوا : نحن نستشفع رسول الله ﷺ إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ بعد أن تظهروا إسلامكم .. وتقولوا نحن إخوانكم فى الدين . ففعلوا . فقال ﷺ لأصحابه : « **أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء جاءوا تائبين وإنى قد رأيت أن أرد**

عليهم سبيهم . فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل » فقال المهاجرون والأنصار : ما كان لنا فهو لرسول الله .

وامتنع من ذلك جماعة من الأعراب كالأقرع بن حابس وعيينه بن حصن والعباس بن مرداس فأخذه الرسول منهم قرضاً .

وأمر ﷺ بأن تحبس عائلة مالك بن عوف النصرى رئيس تلك الحرب بمكة عند عمتهم أم عبد الله بن أمية . فقال له الوفد . أولئك سادتنا فقال ﷺ : إنما أريد بهم الخير . ثم سأل عن مالك فقالوا: هرب مع ثقيف فقال : أخبروه أنه إن جاء مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعقبته مائة من الإبل . فلما بلغ ذلك مالكاً نزل من الحصن خفية حتى أتى رسول الله ﷺ . بالجعرانة فأسلم . وأحرز ماله . واستعمله عليه الصلاة والسلام على من أسلم من هوازن .

عمرة الجعرانة

(فى ذى القعدة)

واعتمر ﷺ فأحرم من الجعرانه [١] ودخل مكة بليل فطاف واستلم الحجر ثم رجع من ليلته . وكانت إقامته بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ، ثم أمر عليه الصلاة والسلام بالرحيل . فسار الجيش آمنا مطمئناً حتى دخل المدينة لثلاث بقين من ذى القعدة .

غزوة حنين خاتمة الحروب مع الأعراب :

يمكن القول بأن غزوة حنين خاتمة الحروب مع الأعراب فلم يبق منهم إلا فئات قليلة يسوقهم الطيش إلى شهر السلاح . ثم لا يلبثون أن يغمدوا السيوف حينما تظهر لهم قوة الحق الساطعة .

كما أن غزوة حنين هى التى فرق الله بها جموع الشرك وأزال دولته وأفقد سراة أهله . فإن هوازن لم تترك وراءها رجلاً تمكنه الحرب إلا ساقته ولم تترك لها

---

(١) الجعرانة : مكان خارج مكة .

بعيراً ولا شاة إلا جاءت بها فأراد الله إعزاز الإسلام مُخْزِلاً أعداءه . وأخذ أموالهم فانكسرت حدة المشركين ولم يبق فيهم من يمانع أو يدافع ولذلك يمكننا أن نقول: إن إنكسار هوازن كان خاتمة لحروب العرب .

سرية قيس إلى صداء (١) :

بعد أن رجع النبى ﷺ إلى المدينة . بعث قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى على رأس أربعمائة من أصحابة إلى قبيلة صداء باليمن ليدعوهم إلى الإسلام . وأمره أن يقاتلهم إذا لم يستجيبوا .

وبعد أن خرج قيس ومن معه لأداء مهمتهم ، قدم زياد بن الحارث الصدائى فسأل عن ذلك البعث ، فأخبروه بأنه خارج إلى قبيلة صداء .

فقال زياد للنبى ﷺ : يا رسول الله إنى جئتك وافداً عمن ورائى . فرد الجيش وأنا أتكفل لك بإسلام قومى وطاعتهم .

قال النبى ﷺ ، لرجل من المسلمين . اذهب إلى قيس وصحبه فردهم فذهب الرجل وأخبرهم فعادوا بعد أن وصلوا إلى واد خارج المدينة يقال له: قباء . أما زياد فإنه رجع إلى قومه ، ثم قدم إلى المدينة بعد خمسة عشر يوماً على رأس وفد منهم تعداده خمسة عشر رجلاً . فنزلوا ضيوفاً على سعد بن عبادة ثم بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام . وقالوا له : نحن لك على من وراءنا من قومنا .

ولما رجعوا إلى قومهم فشا فيهم الإسلام ، وقدم على رسول الله مائة منهم فى حجة الوداع .

سرية عيينة إلى بنى تميم

(فى شهر ذى الحجة (٢))

ثم أرسل عليه الصلاة والسلام بشر بن سفيان العدوى إلى بنى كعب من خزاعة لجمع صدقات أموالهم فمنعهم بنو تميم المجاورون لهم من أداء ما فرض عليهم .

---

(١) صداء : قبيلة تسكن اليمن .

(٢) وقيل فى شهر محرم منه: تسع من الهجرة إبريل سنة ٦٣٠م .

فلما علم بذلك رسول الله ﷺ . أرسل إليهم عيينة بن حصن الفزارى فى خمسين فارساً من الأعراب ليس فيهم أحد من المهاجرين والأنصار . فكان عيينة ومن معه يسيرون الليل ويكمنون النهار .

ولما وصل عيينة ومن معه إلى بنى تميم حاربهم وأخذ منهم أحد عشر رجلاً وإحدى وعشرين امرأة ، وثلاثين صبياً ، ثم توجه بالكل إلى المدينة . ثم أقبل فى أثرهم وفود تميم . وقد وضع الأسرى فى دار رملة بنت الحارث .

وفود تميم :

وصل المدينة وفد من زعماء بنى تميم على رسول الله ﷺ . وكان فيهم عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر ، وعمرو بن الأهتم . فجلسوا ينتظرون مقدمه فلما أبطأ عليهم نادوا من وراء الحجرات بصوت جاف . يا محمد أخرج إلينا نفاخرك فإن مدحنا زين ، وإن ذمنا شين ..

فخرج إليهم ﷺ . وقد تأذى من صياحهم . وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىَ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [(١)].

وكان الوقت وقت الظهيرة . فأذن بلال . ودخل النبى ﷺ للصلاة فتعلقوا به . وقالوا : نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك . فقال ﷺ : « ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت » .

وبعد صلاة الظهر اجتمع من حوله الوفد يتفاخرون بمجدهم ومجد آبائهم وقد مدح عمرو بن الأهتم الزبرقان بن بدر . فقال: إنه لمطاع فى أنديته سيد فى عشيرته. فقال الزبرقان : حسدنى يا رسول الله لشرفى وقد علم أفضل مما قال . فقال عمرو إنه لزمن المروءة ضيق العطن لئيم الخال . فَرُئِىَ الغضب فى وجه رسول الله لاختلاف قولى عمرو . فقال : يا رسول الله لقد صدقت فى الأولى وما كذبت فى الثانية رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أسوأ ما علمت . فقال عليه الصلاة والسلام : « **إن من البيان لسحراً** » .

---

(١) سورة الحجرات : ٤ ، ٥ .

ولما فرغوا أمر النبى ﷺ : ثابت بن قيس ، وحسان بن ثابت فردا على القوم بكلام أبلغ من كلامهم .

فقال الأقرع بن حابس لبنى تميم : وأبى إن هذا الرجل المؤتى له . لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أعلى من أصواتنا .

ثم أسلم القوم فرد النبى ﷺ أسراهم وأحسن جائزتهم . وأقاموا مدة يتعلمون فيها القرآن ويتفقهون فى الدين .

سرية الوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق :

بعث عليه الصلاة والسلام الوليد بن عقبة بن أبى معيط لأخذ صدقات بنى المصطلق فلما علموا بقدومه خرج منهم عشرون رجلاً متقلدين سلاحهم احتفالاً بقدومه ومعهم إبل الصدقة . فلما نظرهم ظنهم يريدون حربه لما كان بينه وبينهم من العداوة فى الجاهلية ، فرجع مسرعاً إلى المدينة وأخبر الرسول ﷺ : بأن القوم ارتدوا ومنعوا الزكاة . فأرسل لهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر . فسار إليهم فى عسكره خفية حتى إذ كان بناديهم سمع مؤذنهم يؤذن بالصبح فأتاهم خالد فلم ير منهم إلا طاعة . فرجع وأخبر رسول الله ﷺ . فأرسل عليه الصلاة والسلام لهم غير الوليد لأخذ الصدقات .

وفى الوليد أنزل فى أوائل سورة الحجرات قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ .

سرية علقمة بن مجزز [١] :

بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من الحبشة رآهم أهل جدة فى مراكبهم يريدون الإغارة عليها فأرسل لهم علقمة بن مجزز فى ثلاثمائة . فذهب حتى وصل جدة . ونزل فى المراكب ليدركهم . وكان الأحباش متحصنين فى جزيرة هناك . فلما رأوا المسلمين يريدونهم هربوا . ولم يلق المسلمون كيداً فرجع علقمة بمن معه . ولما كان بالطريق أذن لسرعان القوم أن يتعجلوا وأمر عليهم عبد الله بن جذافة السهمى.

---

(١) قيل: إن هذه السرية وقعت فى شهر ربيع الأول من السنة التاسعة للهجرة .

وكان فيه دعابة فأوقد لهم فى الطريق ناراً وقال لهم : ألستم مأمورين بطاعتى؟. قالوا : نعم . قال : عزمت عليكم إلا ما تواثبتم فى هذه النار . فقال بعضهم . ما أسلمنا إلا فراراً من النار ! وهمَّ بذلك بعضهم فمنعهم عبد الله . وقال : كنت مازحاً فلما ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ قال : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

موالد هذا العام :

« مولد سيدنا إبراهيم ابن رسول الله ﷺ » فى شهر رمضان

وهب الله النبى ﷺ غلاما أسماه إبراهيم من مارية القبطية التى أهداها إليه المقوقس والتى أصبحت إلى النبى فى مرتبة السرارى . فلم يكن لها من أجل ذلك منزلا بجوار المسجد كما كان لأزواج النبى أمهات المؤمنين بل أنزلها محمد ﷺ بالعالية من ضواحى المدينة فى المحل الذى يقال له الآن :مشربة أم إبرهيم بمنزل تحيط به كروم .

ولما ولد إبراهيم عانت مارية حين ولادته . سلمى مولاة رسول الله ﷺ . فخرجت إلى زوجها أبى رافع فأخبرته بأن مارية قد ولدت غلاماً فجاء أبو رافع إلى رسول الله ﷺ فبشره فوهب له عبداً وعق عنه ﷺ بشاة يوم سابعة وحلق رأسه فتصدق بزنة شعره فضة على المساكين وأمر بشعره فدفن فى الأرض .

وتنافست فيه نساء الأنصار أيتهن ترضعه . فدفعه رسول الله ﷺ إلى أم بردة بنت المنذر ، وزوجها البراء بن أويس بن خالد فكان عندهما إلى أن توفى سنة عشر للهجرة .

وكان النبى ﷺ يحبه كثيراً كما كان يحب مارية التى أنجبت له غلاماً وهو فى سن الستين . وارتفعت بهذا الميلاد فى عينيه .

****

حصاد هذا العام

يمكن القول بأن العام الثامن الهجرى عام النصر الأكبر ، والفتح الأعظم .

* فصلح الحديبية ونقض قريش شروطه كان سبباً لفتح مكة ونصراً للإسلام والمسلمين والفاصله بين الحق والباطل .

* دخول الرسول الكعبة والطواف بها هو صحبه وتطهيرها من الأصنام كان الفتح الأعظم ومحو الريبة والظن والشكوك فى رسالته .

نتيجة ذلك :

* دخول القرشيين الإسلام بعد العفو العام . كسر شوكة المشرين والعفو عن الكثير ممن أهدر دمهم .

* مبايعة الرسول ﷺ على الإسلام . مبايعة النساء له على الإسلام والطاعة .

* هدم الطواغيت التى كانت تقيدها العرب . والقضاء على عبادة الأصنام . انتشار الإسلام وامتداده إلى ربوع العالم .

غزوة مؤتة وآثارها :

إذا كانت غزوة مؤتة لم تأت بالنصر العسكرى المنشود حينئذ إلا أنها بانتصارات تحققت فى المستقبل .

* فى البداية زيادة هيبة المسلمين .

* دخل جمع غير قليل من القبائل العربية الموالية للروم فى الإسلام .

* ثم القضاء على دولة الروم فى بلاد الشام ومصر وإفريقيا ودخوله الإسلام.

نتائج غزوة حنين :

تعتبر غزوة حنين بداية نهاية الحروب مع المشركين والخارجين على الدعوة الإسلامية ، والقضاء عليهم وتطهير شبه الجزيرة العربية منهم ومن أمثالهم .

إقبال الطوائف العربية والوفود لمبايعة الرسول ﷺ :

* أقبلت وفود العرب على النبى ﷺ للمبايعة وإعلان إسلامها .

* كما أقبلت طوائف كعب بن زهير وهوازن وصيداء ، وتميم تطلب العفو والسماح ورد أموالها وسباياها ودخولها الإسلام . ونالت ما أرادت لسماحة رسول الله ﷺ .

* وبذلك أصبحت شبه الجزيرة العربية خالصة لدين الله الواحد القهار .

مواليد هذا العام :

مولد إبراهيم بن محمد ﷺ من السيدة مارية القبطية وكان مولده مولد خير وبركة إذا دخل السرور على قلبه ﷺ .

العام التاسع الهجرى

ارتفعت رايات الإسلام فى كل مكان وأخذت القبائل تغد على رسول الله ﷺ تباعاً يبايعونه ويدخلون فى دين الله أفواجاً .

وبرغم هذه الانتصارات والفتوحات الباهرة وفيض الله الغامر على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين . إن حياة المصطفى ﷺ تمر خالية من الأحزان . ولم تكن يومئذ مفرحة بصفو وسعادة فقد كانت زينب ابنته إذ ذاك مريضة مرضاً خشى عليها مئه منذ أن آذلها الحويرث ، حين خروجها من مكة مهاجرة إذ كانت تركب بعيراً أرذى فأفزعها فأجهضها . وانتهى بها المرض بوفاتها .

ولم يبق لمحمد ﷺ سوى فاطمة الزهراء بعد وفاة أم كلثوم وذكر لها رقة شمائلها وجميل وفائها لزوجها أبى العاص بن الربيع حين بعث تفتديه من أبيها بقلادتها يوم أسره فى غزوة بدر وهو على دين قريش وأتى ليحارب المسلمين .

وكيف كان الحال ولو انتصرت قريشاً يومها ؟ وكيف كان موقف الرسول من أبى العاص وموقف أبى العاص من الرسول ﷺ ؟

وحزن الرسول عليها حزناً شديداً . فخفف الله عنه ورزقه بإبراهيم ففرح به ﷺ وسمت مارية القبطية به عن مقام مواليه إلى مقام أزواجه وزادتها إلى ذلك عنده حظوة ومنة قرباً .

غيرة أزواج النبى وطلبهن النفقة :

كان لمولد إبراهيم فرحة كبيرة فى نفوس زوجاته ﷺ وأثره العميق فى قلوبهن، والذى زاد من غيرتهن إكرام النبى ﷺ لمارية وعلو مرتبتها عنده كما أنهن جميعاً لا ولد لهن ومما أشعل نار الغيرة أن الرسول ﷺ كان يذهب كل يوم إلى دار مارية ليرى المولود الجديد . وليزداد أنسا بابتسامة الطفل ومسرة بنموه وجماله . فكان مرعاه للإثارة والغيرة فى نفوس أزواج لم يلدن .

نرى ذلك عندما حمل الرسول ﷺ يوماً إبراهيم بين ذراعيه إلى عائشة وهو يفيض بالبشر ودعاها لترى ما بين إبراهيم وبينه من عظيم الشبه . فنظرات عائشة إلى الطفل . وقالت: إنها لا ترى بينهما شبها . ولما رأت النبى فرحا بنمو الطفل قالت فيما يشبه الغضب : إن كل طفل ينال من اللبن ما يناله إبراهيم يكون مثله أكثر منه نمواً.

وقد أحدثت الغيرة الكثير من تصرفات زوجات الرسول وما نزل به الوحى وقدمه كتاب الله الكريم .

روى مسلم فى صحيحه أن أبا بكر استأذن على النبى ودخل بعد أن أذن له ثم استأذن عمر ودخل بعد الإذن . فوجد النبى جالساً وحوله نساؤه وهو واجماً ساكناً . فقال عمر . لأقولن شيئاً . أضحك النبى ﷺ . ثم قال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتنى النفقة فقمت إليها فوجأت [1] عنقها . فضحك رسول الله ﷺ . وقال :هن حولى يسألنى النفقة . فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها . كلاهما يقول يسألن رسول الله النفقة . ما ليس عنده . فقلن : والله لا نسأل رسول الله ﷺ أبداً شيئاً ليس عنده .

---

(١) فوجأت عنقها: كسرت وضربت عنقها .

وقد دخل أبو بكر وعمر على النبى لأنه ﷺ لم يخرج للصلاة فتساءل المسلمون بعدها عما منعه، وفى حديث أبى بكر وعمر مع عائشة وحفصة نزل قوله تعالى ﴿يَأَيّهَا النّبِيّ قُل لأزْوَاجِكَ إِن كُنتُنّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتّعْكُنّ وَأُسَرّحْكُنّ سَرَاحاً جَمِيلاً . وَإِن كُنتُنّ تُرِدْنَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالدّارَ الآخِرَةَ فَإِنّ اللّهَ أَعَدّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنّ أَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب آية : ٢٨، ٢٩] .

حديث المغافير :

أرادت نساء النبى أن يكون للرسول ﷺ . فكن يعرفن أنه إذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن . فقيل: إنه دخل على حفصة وقيل: إنه دخل على زينب بنت جحش وفى رواية (أخرى) فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فأحدث ذلك الغيرة فى نفوس الأخريات . فقالت عائشة: فتواطأت أنا وحفصة أن التى يدخل عليها النبى ﷺ فلتقل إنى أجد ريح مغافير . أكلت مغافير [١] .وكان النبى ﷺ لا يحب الرائحة الكريهة . فدخل على إحداهما فقالت . له ذلك فقال : شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له . وقالت سودة لما دنا منها :أكلت مغافير . قال : لا . قالت : فما هذه الريح ؟ قال: سقتنى حفصة شربة من عسل. قالت : ميرست غلة العرفط [٢].

وقالت عائشة ما قالت سودة . وقالت حفصة ما قالت عائشة . وكادت سودة أن تبوح لولا نظرة من عائشة وقالت لها: اسكتى .

مارية فى بيت حفصة :

حدث أن حفصة كانت عند أبيها . وأتت مارية فى بيت حفصة وبقيت به زمناً معه ﷺ . وعادت حفصة فوجدتها فانتظرت حتى خرجت وهى أشد ما تكون غيرة. ولما دخلت على النبى قالت حفصة : لقد رأيت من كان عندك . والله لقد سبتنى . وما كنت لتصفها لولا هوانى عليك .

---

(١) والمغافير هو شىء له طعم حلو وريح كريهه .
(٢) شجرة تمر المغافير .

وعلم النبى مدى غيرتها وربما تدفعها هذه لإذاعة ما رأت إلى سائر نسائه ووعدته حفصة أن لا يفعل . ولكن الغيرة كانت أشد منها فأسرته إلى عائشة . وأفضت هذه إلى النبى بما حدث منه أن حفصة لم تصن سره . وربما تكون قد انتشرت هذا بين نساء النبى . فأخذن يتظاهرن على النبى لما رأين من رفع مكانة مارية وهى ملك يمينه وحليله ، ومنهن من أردن أن يقتصصن من ميل النبى لمارية وحبه لعائشة .

وكان لهذه الأمور وغيرها . ما جعل النبى أن يتخذ أمراً فيه هجرهن والتهديد بفراقهن فإن ثبن إلى رشدهن . فذاك . وإلا متعهن وسرحهن سراحاً جميلاً .

هجر النبى نساءه :

انقطع النبى عن نسائه شهرا كاملاً لا يكلم أحداً فى شأنهن ولا يجرؤ أحد أن يفاتحه فى حديثهن . وأخذ يفكر فى أمور رسالته ودعوته . وأخذ ﷺ يقضى أكثر وقته فى خزانة له ذات مشرب ويجلس غلامه رباح على اسكفتها (عتبة) ما قام هو بالخزانة . وكان ينام على حصير . وقد حزن المسلمون كثيراً لعزلة النبى ﷺ . وقد بقوا فى المسجد يترقبون أمر الرسول وظن البعض أنه طلقهن .. إلى أن دخل عليه عمر بن الخطاب بعد أن استأذن فى الدخول فوجد النبى ﷺ مضجعاً على حصير وقد أثر فى جنبه ولم يجد فى الخزانة شيئاً غير قبضة من شعير قرظ ، فلما وجد ذلك عمر بكى . فقال رسول الله ﷺ : ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ . فذكر له عمر ما رآه من إعراضه ﷺ عن الدنيا فرد عليه ما رد إليه طمأنينته .. ثم قال عمر : يا رسول الله . ما يشق عليك من أمر النساء إن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته ، وجبريل وميكائيل . وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك .

ثم أخذ يحدث النبى حتى أضحكه . فلما رأى عمر ذلك منه . ذكر له أمر المسلمين فى أن يقضى بالأمر إلى المسلمين بالمسجد . ونزل إلى المسجد فنادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه – ونزلت الآيات الكريمة تقول: ﴿ **يَأَيُّهَا النَّبِيّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلّ اللّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللّهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ . قَد فَرَضَ اللّهُ**

لَكُم تَحِلَّةَ أَيمَانِكُم وَاللَّهُ مَولَاكُم وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ .وَإِذَ أَسَرَّ النَّبِيّ إِلَىَ بَعضِ أَزوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَت بِهِ وَأَظهَرَهُ اللَّهُ عَلَيهِ عَرَّفَ بَعضَهُ وَأَعرَضَ عَن بَعضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَت مَن أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ . إِن تَتُوبَآ إِلَى اللَّهِ فَقَد صَغَت قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيهِ فَإِنّ اللّهَ هُوَ مَولَاهُ وَجِبرِيلُ وَصَالِحُ المُؤمِنِينَ وَالمَلَائِكَةُ بَعدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ . عَسَىَ رَبّهُ إِن طَلّقَكُنّ أَن يُبدِلَهُ أَزوَاجاً خَيراً مّنكُنّ مُسلِمَاتٍ مّؤمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيّبَاتٍ وَأَبكَاراً ﴾ [التحريم – ١ : ٥] .

وبذلك انتهى الحادث وثاب نساء النبى إلى رشدهن ورجع هو إليهن تائبات عادبات مؤمنات قانتات . ونرى فى ذلك . ونعرف أن حياة الرسول ﷺ فيها ما فى حياة البشر من غيرة وهجر . ونتعلم كيف أنه عالج هذا الموقف بحكمة وتعقل ونعلم كيف أن الله رسم الطريق ليكون لنا درساً ونوراً فى حياتنا وفى دنيانا .

سرية قطبة بن عامر إلى خثم

(وفى شهر صفر)

فى شهر صفر من العام التاسع الهجرى أرسل رسول الله ﷺ قطبة بن عامر ابن حديدة فى عشرين رجلاً إلى حَىٍّ من خثم بناحية تبالة وأمره أن يشن الغارة عليهم فخرجوا على عشرة أبعرة يتعقبونها فأخذوا رجلاً فسألوه فسكت ولم يعلمهم فجعل يصيح بالحاضرة ويحذرهم فضربوا عنقه ثم أقاموا حتى نام الحاضر فشنوا عليهم الغارة فقاتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت الجرحى فى الفريقين جميعاً وقتل قطبة ابن عامر مع من قتل وساقوا النعم والشاة والنساء إلى المدينة وكان سهامهم أربعة أبعرة . والبعير يعادل عشرة من الغنم بعد أن أخرج الخمس لله تعالى ولرسوله ﷺ .

سرية الضحاك بن سفيان إلى بنى كلاب

(فى شهر ربيع الأول)

فى شهر ربيع الأول سنه تسع من الهجرة أرسل رسول الله ﷺ جيشاً إلى القرطاء عليهم الضحاك بن أبى بكر الكلابى .

وكان من الشجعان الأبطال . ومعه الأسيد بن مسلمة بن قرط . فلقوهم بالزج زج لاوة [1] . فدعوهم إلى الإسلام فأبوا فقاتلوهم فهزمزهم . وغنما أموالهم فلحق الأسيد بأباه مسلمة . وسلمه على فرس له فى غدير بالزج فدعا أباه إلى الإسلام وأعطاه الأمان فسبه وسب دينه فضرب الأسيد عرقوبى فرس أبيه فلما وقع الفرس على عرقوبيه ارتكز مسلمة على رمحه فى الماء ثم استمسك به حتى جاءه أحدهم فقتله . ولم يقتله ابنه .

سرية على لهدم صنم طىء

(فى شهر ربيع الأول [2])

بعث ﷺ علياً بن أبى طالب فى خمسين فارساً ومائة بعير ومعه راية سوداء وراية بيضاء فوصل بمن معه إلى ديار طيئ مع الفجر فتقدم بجنده إلى صنم طيئ فهدموه . ثم حرقوه . وعندما تعرض له بنوطىء ليمنعوه . من ذلك مال عليهم بأصحابه فهزموهم وساق نعمهم وشاءهم وأخذ بعضهم أسرى وكان من بين الأسرى سفانة بنت حاتم الطائى .

ويصل على ومن معه من الأسرى إلى المدينة ووقف الأسرى بين يدى رسول الله ﷺ . ونهضت من بينهم سفانة فقالت : يا رسول الله . هلك الوالد وغاب الوافد وأنا عجوز كبيرة ما بى حدقة فإن رأيت أن تفك أسارى ولا تشمت بى أحياء العرب فإن أبى كان سيد قومه ، أنا سفانة ابنة حاتم الطائى الذى كان يطعم الطعام ويفشى السلام . وما آتاه أحد فى حاجة فرده خائباً .

فتأثر النبى ﷺ . لقولها وأمر بفك أسارها . وقال : خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق .

وهنا رفعت سيفانة يدها إلى السماء وقالت : يا محمد . أصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة . ولا سلب نعمة عن كريم إلا وجعلك سبباً فى

---

(١) موضح بنجد .

(٢) وقيل: فى شهر ربيع الثانى فى سنة ٩ هـ .

ردها إليه . ثم أسلمت . فكساها ﷺ وأعطاها نفقة وأذن لهـا فـى القدوم علـى أخيهـا ببلاد الشام . والذى فر إليها عندما رأى الرايات الإسلامية قاصدة بلاده .

فلما التقى بها أخوها عدى قال : ما ترين فى هذا الرجل ؟

قالت : أرى أن تلحق به سريعاً فإن يكن نبياً فنسابق إليه فضلـه وإن يكـن ملكـاً فلن تذل عنده وأنت أنت .

قال : والله هذا هو الرأى . ثم قدم على رسول الله ﷺ بغير أمـان ولا كتـاب. فأسلم .

يقول ابن كثير فى البداية والنهاية [١] فى قصة إسـلام عـدى بـن حـاتم والحـوار الذى دار بينه وبين رسول الله ﷺ .

وفد عدى بن حاتم :

قال عدى : فخرجت حتى قدمت علـى النبـى ﷺ بالمدينـة . فدخلـت عليـه وهـو فـى المسجد فسلمت عليه . فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدى بـن حـاتم فقـام رسـول اللـه ﷺ . وانطلق بى إلى بيته . فوالله إنه لعامد بى إليه إذ لقينته امرأة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه فى حاجتها قال : فقلت فى نفس : والله ما هذا بملك . قـال : ثم مضى بى رسول الله . ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسـادة مـن آدم محشـوة ليفـاً فقذفها إلى فقال : اجلس على هذه . قال : قلت : (بـل أنـت) فجلسـت وجلـس رسـول الله ﷺ بالأرض . قال : فقلت . فى نفسى والله ما هذا بأمر ملك؟ . ثم قال : (إيـه يا عدى بن حاتم) . ألم تك ركوسيا ؟ أى علـى ديـن هـو بيـن النصرانيـة والصائبـة قال: فقلت: بلى . قال : أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع [٢] ؟ قال : فقلت : بلـى قال : فإن ذلك لم يكن ليحل لك فى دينك . قال : فقلت : أجل والله . قـال : وعلمـت أنه نبى مرسل يعلم ما لم يعلمه غيره من الناس . ثم قال : لعلك يا عدى إنما يمنعـك

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ٥ ص ٦٥ طبعه بيروت بتصريف .
(٢) المرباع : هو ربع الغانم .

من الدخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه . ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عددهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف . ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه إنك ترى الملك والسلطان فى غيرهم ؟ وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم . قال عدى : فأسلمت . وكان يقول : مضت اثنتان وبقيت الثالثة والله لتكونن فقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت . وايم الله لتكونن الثالثة ، هى أنه ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه [١] .

غزوة تبوك

(آخر الغزوات فى شهر رجب)

بلغ رسول الله ﷺ أن الروم جمعت الجموع تريد غزوة فى بلاده [٢] . وكان فى زمن عسرة والناس فى جدب والبلاد فى حر شديد . وطابت الثمار فى بساتينها وحقولها والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم . فأمر عليه الصلاة والسلام بالتجهيز وكان قلما يخرج فى غزوة إلا ورى بغيرها ليعمى الأخبار عن العدو إلا فى هذه الغزوة فإنه أخبر بمقصده لبعد الشقة ولشدة العدو ليأخذ الناس عدتهم لذلك بعث إلى مكة وقبائل الأعراب يستنفرهم .

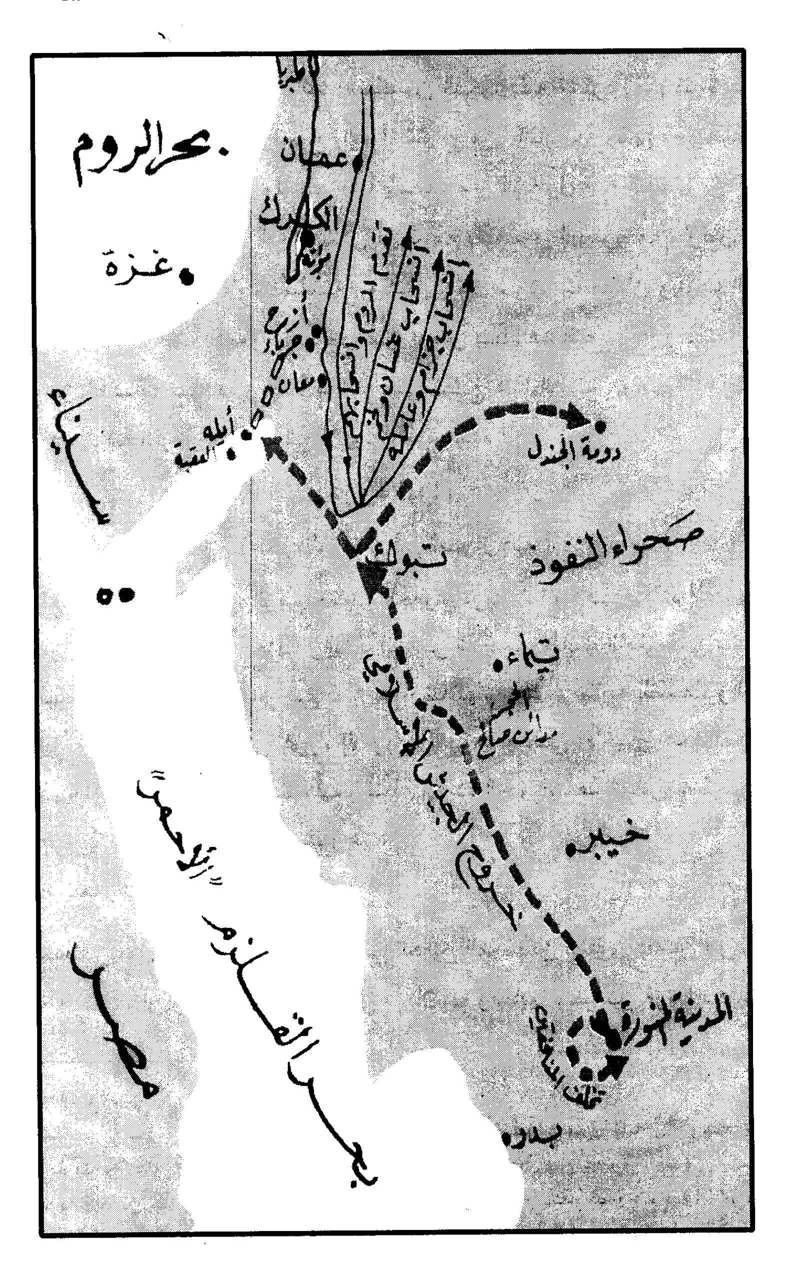
الإعداد للمعركة :

حدث رسول الله ﷺ الموسرين على تجهيز المعسرين فأنفق عثمان بن عفان عشره آلاف دينار وأعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرسا . فقال

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير .

(٢) كانت بداية تحرير دولة الروم بالدعوة المحمدية بقتل سفير رسول الله ﷺ وحامل كتابه الحارث بن عمير الأزلى إلى عظيم بصرى على يد شرحبيل بن عمرو الغسانى واصطدام سرية زيد بن حارثة بالروم فى غزوة مؤتة وشعور الروم بعدم نصرهم فيها وأثرها فى نفوس العرب التابعين للقيصر ودخول بعضهم فى الإسلام خطوة نحو استقلالهم الأمر الذى أصبح خطراً يهدد الروم بتزايد قوة الدعوة المسلمين .


بحر الروم
غزة
عمان
الكرك
أيلة
العقبة
دومة الجندل
تبوك
صحراء النفود
تيماء
مدائن صالح
خيبر
المدينة المنورة
بدر
بحر القلزم
البحر الأحمر
مصر

ﷺ : اللهم أرض عن عثمان فإنى راض عنه ، وجاء أبو بكر بكل ماله وهو أربعة آلاف درهم : فقال : أبقيت لهم الله ورسوله ، وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله، وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائة أوقية ، وجاء العباس وطلحة بمال كثير . وتصدق عاصم بن عدى بسبعين وسقاً من ثمر .

وتصدقت النساء بكل ما يقدرن عليه من حليهن وجاءه ﷺ سبعة أنفس وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون فجهز عثمان ثلاثة منهم . وجهز العباس اثنين ، وجهز ياسين بن عمرو اثنين ولما اجتمع الرجال خرج بهم رسول الله ﷺ وهم ثلاثون ألفاً وولى على المدينة محمد بن مسلمه. وعلى أهله على بن أبى طالب.

موقف المنافقين :

تخلف كثير من المنافقين يرأسهم عبد الله بن أبى . وقال : يغزو محمد بنى الأصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد ؛ أيحسب محمد أن قتال بنى الأصفر معه اللعب ؟ والله لكأنى انظر إلى أصحابه مقرنين فى الحبال .

واجتمع جماعة منهم فقالوا فى حق رسول الله ﷺ وأصحابه ما يريدون من الأرجاف فبلغه ذلك . فأرسل إليهم عمار بن ياسر يسألهم عما قالوا . فقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب . وجاء جماعة منهم الجد بن قيس يعتذرون عن الخروج فقالوا : يارسول الله إئذن لنا ولا تفتنا لأنا لا نأمن من نساء بنى الأصفر ، وجاء إليه المعذرون من الأعربا (وهم أصحاب الأعذار) من ضعف أو قلة ليؤذن لهم فأذن لهم.

وكذلك استأذن كثير من المنافقين فأذن لهم وقد عتب الله عليه فى ذلك الإذن بقوله تعالى : ﴿ عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ (١) ثم قال فى حقهم : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٢). ثم كذبهم الله فى عذرهم . فقال: ﴿وَلَوْ

(١) سورة التوبة : ٤٣ .

(٢) سورة التوبة : ٤٥ .

أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدّواْ لَـهُ عُدّةً وَلَـكِن كَرِهَ اللّـهُ انبِعَـاثَهُمْ فَثَبّطَهُـمْ وَقِيـلَ اقْعُـدُواْ مَـعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [١] ثم لكيلا يأسى المسلمون على قعود المنـافقين عنهم قـال جل ذكره : ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مّا زَادُوكُمْ إِلاّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُـمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَـةَ وَفِيكُـمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ ﴾ [٢].

وتخلف جماعة من المسلمين لا يتهمون فـى إسلامهم وهم كعب بـن مـالك ، وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ، وأبو خيثمة .

قيام اليهود والمنافقون بتثبيط الهمم :

واجتمع الذين تنطوى قلوبهم على البغضاء من المنـافقين واليهـود وغيرهم فـى بيت سويلم اليهودى يثبطون الناس ويلقون فى نفوسهم التخاذل والتخلف فبعـث النبـى ﷺ . إليهم طلحة بن عبد الله فى نفر من أصحابه فحرق بيت سويلم ففر أحدهم مـن ظهر البيت فانكسرت رجله واقتحم الباقون النار فأغلقوا ولم يعودوا لمثلها [٣] .

ولما خلف رسول الله ﷺ عليا . قال المنـافقون : قد استغفله فتركـه . فأسـرع إلى رسول الله ﷺ . وشكا له ما سمع فقال ﷺ أمـا ترضـى أن تكـون منـى بمنزلـة هارون من موسى ؟ .

سير الجيش :

سار النبى ﷺ بالجيش . وأعطى لواءه الأعظم أبا بكر الصديـق . ولـى إعطـاء اللواء لأبى بكر فى آخر غزوة للرسول ﷺ وتخلف على بـن أبـى طـالب علـى أهـل البيت كلمة لطيفه يفهمها القارئ .

وفرق عليه الصلاة والسلام الرايات . فأعطى الزبير راية المهـاجرين ، وأسـيد ابن حضير راية الأوس ، والحباب بن المنذر راية الخزرج .

---

(١) سورة التوبة : ٤٦ .

(٢) سورة التوبة : ٤٧ .

(٣) حياة محمد ﷺ ٤٤١ .

ولما مر الجيش بالحجر وهى ديار ثمود . قال ﷺ لأصحابه : لا تدخلوا ديار الذين ظلموا إلا وأنتم باكون . ليشعر قلوبهم رهبة الله . وكان مستعملاً على حرس الجيش عباد بن بشر . وكان أبو بكر يصلى بالجيش .. ولما وصلوا تبوك وكانت أرضاً لا عمارية فيها ، قال الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل : يوشك إن طالت بك الحياة أن ترى ما هنا ملئ بساتين .

أبو خيثمة يلحق بالجيش :

ولما استراح الجيش لحقه أبو خيثمة وكان خبر مجيئه أن دخل على أهله فى يوم حار . فوجد امرأتين له فى عريشتين لهما فى بستان قد رشت كل منهما عريشتها وبرد فيها ماء . وهيأت طعاماً وكان يوماً شديد الحر فلما نظر ذلك قال : يكون رسول الله ﷺ فى الحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وماء مهيأ وامرأة حسناء . ما هذا بالنصف . ثم قال : والله لا أدخل عريشة واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ . فهيئا لى زادا ففعلتا ثم ركب بعيره وأخذ سيفه ورمحه وخرج يريد رسول الله ﷺ حين نزل بتبوك .

لم يجد النبى ﷺ جيشاً بتبوك :

لم ير ﷺ جيشاً فى تبوك كما سمع فأقام بها أياماً جاءه فيها أهل إيلة وجرباء للتصالح .

وفد إيلة :

لما علم يحنه صاحب إيلة وصحبه أهل جرباء (١) وأهل أذرج (٢) وأهل بيناء فصالح يحنه رسول الله ﷺ على إعطاء الجزية ولم يسلم وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً هذا نصه .

كتاب صاحب إيلة :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

هذا أمنة من الله ومحمد النبى ﷺ ليحنة وأهل إيلة سفنهم وسياراتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبى ومن كان معهم من أهل الشام . وأهل اليمن وأهل

---

(١) جرباء قرية فى جنوب الشام .
(٢) أذرج : مدينة تلقاء السراة .

البحر فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يجوز ماله دون نفسه وإنه لطيبة لمن يأخذ من الناس وإنه لا يحل أن يمنعوا ما يرونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر .

كتاب أهل أذرج وجرباء :

وكتب ﷺ كتابا لأهل أذرج وجرباء وهذا نصه :

بِسْمِ اللـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

هذا كتاب من محمد النبى لأهل أذرج وجرباء أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وإن عليهم دينار من كل رجب وافيه طيبة . والله كفيل بالنصح والإحسان للمسلمين . وصالح أهل ميناء على ربع ثمارها .

مشورة النبى فى مجاوزة تبوك :

استشار النبى ﷺ أصحابه فى مجاوزة تبوك إلى ما هو أبعد منها من ديار الشام. فقال له عمر . إن كنت أمرت بالسير فسر . فقال عليه الصلاة والسلام: لو كنت أمرت بالسير لم أستشر . فقال : يا رسول الله إن للروم جموعاً كثيرة وليس بالشام أحد من أهل الإسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك . فلو رجعنا فى هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمرا فتبع عليه الصلاة والسلام مشورته وأمر بالقفول . فرجع الجيش إلى المدينة .

سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر : شهر رجب

أرسل عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد فى أربعمائة وعشرين فارساً فى رجب سنه تسع من الهجرة وهو بتبوك سرية إلى إكيدر بن عبد الملك بدومه الجندل وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة وكان أكيدر من كندة قد ملكهم وكان نصرانياً وكان ملكاً من قبل هرقل فانتهى إليه خالد وقد خرج من حصنه فى ليلة مقمرة هو وأخوه حسان فشدت عليه خيل خالد بن الوليد فاستأسر أكيدر وامتنع أخوه حسان وقاتل حتى قتل وهرب من كان معهما فدخل الحصن وأجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتى به رسول الله ﷺ على أن يفتح له دمة الجندل ففعل وصالحه على ألفى

بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح فعزل النبى ﷺ من ذلك ما كان صغيراً خالصا ثم قسم ما بقى بين أصحابه فصار لكل رجل منهم خمس قلائص ثم خرج خالد بن الوليد بأكيدر وبأخيه مضاد وكان فى الحصن وبما صالحه عليه فقدم بأكيدر على رسول الله ﷺ فأهدى له هدية وصالح على الجزية وحقن دمه ودم أخيه وخلى سبيلهما . وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً فيه أمانهم وما صالحهم عليه وكان رسول الله ﷺ استعمل على حربه بتبوك عباد بن بشر .

وقد أقام ﷺ بتبوك عشرين ليلة ولم يلق كيداً .

مسجد الضرار (للمنافقين) :

عندما هم رسول الله ﷺ للخروج لغزو الروم فى تبوك فى زمن العسرة يقول ابن إسحاق : ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذى أوان [1] أتاه جماعة من المنافقين . فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة. والليلة الشاتية وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه فقال : إنى على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا إن شاء الله لآتيناكم فصلينا لكم فيه .

وكان المنافقون قد بنوا هذا المسجد ليعارضوا به مسجد قباء وليفرقوا به كلمة المسلمين . فلما علم النبى ﷺ بذلك دعا مالك بن الدخشم . أخا بنى سالم بن عوف . ومالك بن عدى . أخا بنى العجلان فقال لهما: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه [2] .

سريه معن لهدم مسجد الضرار :

بعد أن أمرهما رسول الله ﷺ بأمره هذا خرجا سر يعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف . فقال مالك لمعن انظرنى حتى أخرج إليك نار من أهلى فدخل إلى أهله وأحضر ناراً كثيرة . ثم أسرعا السير إلى مسجد الضرار فدخلاه وفيه بعض المنافقين . فحرقاه وهدماه تلبيه لأمر رسول الله ﷺ .

---

(١) مكان بالغرب من المدينة .

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٤ ص ٢٨٥ .

ونزل قوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة آيات ١٠٧،١٠٨] .

حديث الثلاثة الذين تخلفوا :

جاء إلى النبى ﷺ بعد عودته من تبوك إلى المدينة . كعب بن مالك الخزرجى ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية ، الأوسيان . مقرين بذنوبهم . فلما دخل عليه كعب تبسم تبسم الغضب وقال : ما خلفك ؟ . فقال : يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر . ولقد أوتيت جدلا . ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخط على فيه . ولئن حدثتك حديث صدق تغضب علىى فيه وإنى لأرجو فيه عفو الله والله ما كان لى من عذر . فقال عليه الصلاة والسلام . أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك . وقال صاحباه مثل قوله . فقال لها عليه الصلاة والسلام: كما قال لكعب ونهى المسلمين عن كلامهم فاجتنبتهم الناس وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم . وأستأذنت زوج هلال بن أمية فى خدمة زوجها لأنه شيخ طاعن ليس له خادم فأذن لها .

ولم يزالوا كذلك حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه . ثم تاب عليهم . فأرسل لهم عليه الصلاة والسلام من يبشرهم بهذه النعمة الكبرى فتلقاهم الناس أفواجاً يهنئونهم بتوبة الله .

فلما دخل كعب المسجد تلقاه رسول الله ﷺ مسرورًا . فقال : أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك (أى: سوى يوم إسلامه فهو خير من بقية الأيام).

فقال : من عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ . قال : بلى من عند الله . فقال كعب : يا رسول الله إن من توبتى أن انخلع من مالى صدقة لله ورسوله . فقال عليه الصلاة والسلام : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك . ثم قرأ عليه

الصلاة والسلام الآيات التى بينها توبته هو وصاحباه فى سورة براءه ﴿ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىَ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١) .

وفود ثقيف بالطائف :

عقب مقدمه عليه الصلاة والسلام من تبوك قدم عليه وفد بن ثقيف وكان من خبرهم أنه لما انصرف رسول الله ﷺ من محاصرتهم ، تبع أثره عروة بن مسعود الثقفى حتى أدركه قبل أن يصل المدينة فأسلم . وسأله أن يرفع إلى قومه ويدعوهم إلى الإسلام فقال له : إنهم قاتلوك . فقال : يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم فخرج إلى قومه يرجو منهم طاعته لمرتبته فيهم لأنه كان فيهم مجيباً مطاعاً .

رفض أهل الطائف الإسلام وقتل عروة :

ولما وصل عروة بن عروة بن مسعود والطائف وأظهر للقوم إسلامه وما جاء به لدعوتهم للإسلام ثاروا عليه ورموه بالنبل حتى قتلوه .

تراجع ثقيف ودخولها الإسلام :

قدمت ثقيف على فعلها لعروة بن مسعود الثقفى . وبعد شهر من قتله ائتمروا فيما بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب فأجمعوا أمرهم على أن يرسلوا لرسول الله ﷺ رجلاً منهم يكلمه ويعلن بين يديه إسلامهم . فطلبوا من عبد ياليل بن عمرو أن يكون ذلك الرجل فأبى وقال : لست فاعلاً حتى ترسلوا معى رجلاً فبعثوا معه خمسة من أشرافهم فخرجوا متوجهين إلى المدينة ، ولما قابلوا رسول الله ﷺ ضرب لهم قبة فى ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس إذا وصلوا . وكانوا يغدون إلى رسول الله ﷺ كل يوم ويخلفون فى رحالهم أصغرهم سناً عثمان بن أبى العاص فكان إذا رجعوا ذهب للنبى ﷺ واستقرأه القرآن وإذا رآه نائماً استقرأ أبا بكر حتى حفظ شيئاً كثيراً من القرآن وهو يكتم ذلك عن أصحابه .

ثم أسلم القوم وطلبوا أن يعين من يؤمهم فأمر عليهم عثمان بن أبى العاص لما رأى من حرصه على الإسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين .

---

(١) سورة التوبة : ١١٨ .

كتاب أهل الطائف :

ثم كتب رسول الله ﷺ كتاباً منه ما يلى :

بِسْمِ اللـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

من محمد النبى رسـول اللـه إلـى المؤمنين إن عضـاة وج [1] وصيده حرام لا يعضد شجره ومن وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه .

طلب الوفد تأجيل هدم صنمهم :

طلب وفد ثقيف من رسول الله ﷺ أن يؤجل هدم صنمهم شهراً حتى يدخل الإسلام فى قلوب القوم ولا يرتاع السفهاء من النساء لهدمه فرضى بذلك عليه الصلاة والسلام . ولما خرجوا من عنده قال لهم رئيسهم : أنا أعلمكم بثقيف اكتموا عنهم إسلامكم وخوفوهم ا لحرب والقتال وأخبروهم أن محمدا طلب أمورا عظيمة أبيناها عليه تمهيدا لنفوسهم لتقبل الإسلام .

حيلة الوفد لحمل أهل ثقيف على اعتناق الإسلام :

ويصل الوفد الطـائف وتقبل ثقيف عليه ويخبر الوفد أن محمداً طلب أموراً عظيمة أبيناها عليه . سألنا أن تهدم الطاغية وان نترك الزنا وشرب الخمر والربـا. ثم قالوا : جئنا رجلا فظاً غليظاً قد ظهر بالسيف ودان النـاس لـه فقـالوا : واللـه لا نطيعه أبداً . فقالوا لهم : أصلحوا إسلامكم ورموا حصونكم واستعدوا للقتـال . فأجابوا واستمروا على ذلك يومين أو ثلاثة . ثم ألقى الله الرعب فى قلوبهم . فقالوا: والله مالنا بحربه من طاقه أرجعوا إليه وأعطوه ما سأل فقال الوفد : قد قاضينـاه وأسلمنا. فقالوا: لم كتمتم علينا ذلك؟ قالوا: حتى تذهب عنكم نخوة الشيطان فأسلموا.

هدم اللات :

ولما بلغ رسول الله ﷺ .إسلام ثقيف أرسل أبا سفيان والمغيرة بن شعبه الثقفـى لهدم اللات صنم ثقيف بالطائف فهدموه حتى سووه الأرض .

---

(١) عضاه بكسر العين شجر ذو شوك ، ولفظ وج بفتح الواو وتشديداً الجيم ١٠ كودا بالطائف.

حجة أبى بكر الصديق

(فى شهر ذى الحجة)

بعث رسول الله ﷺ فى السنة التاسعة فى شهر ذى الحجة أبا بكر الصديق رضى الله عنه يحج بالناس فخرج فى ثلاثمائة رجل من المدينة وبعث معه بعشرين بدنة ولدها وأشعرها بيده الشريفة وساق أبو بكر رضى الله عنه خمس بدنات ثم تبعه على رضى الله عنه على ناقة رسول الله ﷺ (القصواء) . فقال له أبو بكر : استعملك رسول الله ﷺ على الحج فقال : لا ولكن بعثنى إقراء سورة براءة على الناس وأنبذ إلى كل ذى عهد عهده .

وكان العهد بين رسول الله ﷺ والمشركين عاماً وخاصاً فالعام أن لا يصد أحد عن البيت إذا جاءه ولا يخاف أحد فى الأشهر الحرام . والخاص بين رسول الله ﷺ وعلياً رضى الله عنه هو أنه لم يكتف بأبى بكر رضى الله عنه فحج معه على وقرأ سورة براءة [1] على الناس يوم النحر عند الجمرة ونبذ إلى كل ذى عهد عهده . وقال : لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله عهد فهو لى حدثه . وكان على رضى الله عنه يصلى خلف أبى بكر إلى أن رجعوا إلى المدينة قافلين .

من وفايات هذا العام :

موت عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين فى شهر ذى القعدة فى شهر ذى القعدة من هذه السنة مات عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين بعد أن حرص عشرين ليلة وحدث أنه كان مريضاً عاد إلى رسول الله ﷺ .

ولما مات طلب أنه يصلى عليه ويقوم على قبره ، ثم أنه أرسل إلى رسول الله ﷺ قبل موته يطلب منه قميصه ليكفن فيه فأرسل إليه القميص الفوقانى فرده وطلب

---

(١) سورة براءة هى التوبة . قال صاحب الكشاف التوبة لها عدة أسماء ، براءة ، التوبة والمقشقشة والمعبثرة والمشروة والمخترية والفاضحة والمثيرة ، والنكلة ، والمدمومة وسورة العذاب .

منه الذى يلى جسده ليكفن فيه . فقال عمر رضى الله عنه . لم تعطى الرجس النجس قميصك؟. فقال ﷺ . إنه قميص لا يغنى عنه من الله شيئاً فلعل الله يدخل به ألفاً فى الإسلام .

وكان المنافقون لا يفارقون عبد الله فلما رآوه يطلب هذا القميص ويرجو أن ينفعه . أسلم منهم يومئذ ألفاً فلما مات جاءه ابنه يعرفه . فقال عليه الصلاة والسلام لابنه صل عليه وادفنه ، فقال : إن لم تصل عليه يا رسول الله لم يصل عليه مسلم . فقام عليه الصلاة والسلام يصلى عليه فقام عمر فحال بين رسول الله وبين القبلة لئلا يصلى عليه . وقيل :إن الرسول قد صلى عليه ولم يصل على منافق بعد ذلك . فنزل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلاَ تُصَلِّ عَلَىَ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١).

وفاة أم كلثوم :

فى هذا العام توفت أم كلثوم ابنة رسول الله ﷺ ، وقد تقدم أن عتبه بن أبى لهب كان قد تزوجها قبل الدخول فلما ماتت رقية أختها زوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه بوحى من الله وأمر منه تعالى .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لقى النبى ﷺ عثمان عند باب المسجد فقال : يا عثمان هذا جبريل أخبرنى أن الله تعالى أمرنى أن أزوجك أم كلثوم (٢) بمثل صداق رقية وعلى صحبتها .

وماتت أم كلثوم (٣) . سنة تسع من الهجرة وصلى عليها أبوها ﷺ ، ونزل فى حفرتها على ، والفضل ، وأسامة بن زيد ، وأبو طلحة الأنصارى ، وغلستها أسماء بنت عميس ، وحفصة بنت عبد المطلب عمتها وشهدت أم عطية غسلها .

ولم تلد رضى الله عنها وعن سائر أهل البيت أجمعين .

---

(١) سورة التوبة : ٨٤ .
(٢) أخرجه ابن ماجة والحافظ أبو القاسم والإمام الدمشقى ، والإمام أبو الخير الغزو بنى الحاكم .
(٣) أم كلثوم عرفت بكنيتها ولم يعرف لها اسم واختلف فى أيهما أكبر هى أم رقية وهى أكبر سناً من فاطمة الزهراء رضى الله عنهما وعن سائر أهل البيت أجمعين .

حصاد هذا العام

يعتبر هذا العام عام نهاية الحروب وعام إقبال الوفود تسعى للدخول فى الإسلام طواعية أو طلباً للصلح . ودفع الجزية .

ثمار غزوة تبوك :

وتعتبر غزوة تبوك آخر الحروب ونهايتها .

وبرغم أن رسول الله لم يلق كيداً ولا حرباً بتبرك إلا أنها اضافت إلى هيبة الإسلام والمسلمين قوة فوق قوتهم .

وأصبحت الدوله الإسلامية صاحبه الكلمة الأولى والأخيرة على شبه الجزيرة العربيه وأنها بالكامل تحت راية التوحيد وما بقى منها بعيداً عن سمتها آت لا محاله إن شاء الله .

أصبحت الدولة الإسلامية ندا لدولتى الفرس والروم بإذن الله .

هدم الأصنام :

ثم هدم ما تبقى من الأصنام مثل اللات وطىء وغيرهما وتطهر شبه الجزيرة من دنسها أول حج المسلمين :

وأول عام يحج فيه المسلمون بعد فتح مكة وعودتها إلى رياض الإيمان والإسلام .

وأبو بكر الصديق أول أمير يرأس بعثة الحج إذ بعثه ﷺ فى ثلاثمائة من المدينة وبعث معه عشرين بدنه (ضحية) .

وكما بعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب للحج وتلاوة سورة براءة على الحجيج ، ونبذ العهود على ملأ الأشهاد .

صور من حياة الرسول ﷺ الاجتماعية :

نساء الرسول يطالبنه بالنفقة .

حديث المغافير . هجرة النبى نساءه .

من وفيات هذا العام :

وفاة السيدة أم كلثوم بنت الرسول ﷺ وزوج عثمان بن عفان رضى الله عنه.

موت عبد الله بن أبى بن سلول رأس النفاق ورئيس المنافقين وكسر شوكتهم.

هدم مسجد الضرار هدم لقوة المنافقين .

من تسامح الرسول ﷺ :

بالرغم من إيذاء المنافقين أعطى الرسول ﷺ قميصه الذى على جسده الشريف إلى عبد الله بن أبى بن سلول وكان قد طلبه ليكفن فيه لتحل عليه الرحمات . ولتسامح الرسول ﷺ وكرم أخلاقه ولحسن فعله هذا دخل ألف من المنافقين فى الإسلام طواعية .. وصدق من قائل ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

العام العاشر الهجرى

توج العام العاشر الهجرى الدولة الإسلامية فى شبه الجزيرة العربية بتاج النصر والقوة والإيمان وارتفعت أعلام التوحيد عالية وانتشرت أنوار الإسلام فى ربوع الدولة من شرقها إلى غربها دون عوائق . وأصبحت كلمة التوحيد هى أنشودة القلوب المؤمنة الطاهرة والسجود والابتهال لله الواحد الأحد الذى لا شريك له من ولد و صنم .

وكانت غزوة تبوك آخر غزوات النبى ﷺ وبعدها أقبلت الوفود من جميع أنحاء الجزيرة العربية إلى رسول الله ﷺ للمبايعة إذ جذبهم نور الإسلام وتعاليمه وسماحته وطهارته وحرصه على ترابط الجماعة وطهارة الإنسان من الداخل والخارج والمساواة والسجود لمعبود واحد لا شريك له ولا معين ..

وأقبلت وفود القبائل والبطون فى مواكب النور والإيمان إلى ﷺ لتدخل فى دين الله أفواجاً أو لتعقد معه الصلح والمكاتبة على ذلك ودفع الجزية . ومنهم مزينة وأسد ، وغيم ، وعبس ، وفزارة ، وحرة ، وثعلبة ، ومحارب ، وسعد بن بكر.

---

(١) سورة القلم : ٤ .

وكلاب، ورؤاس بن كلاب ، وعقيل بن كعب ، وجعدة ، وبشير بن كعب وبنى البطاء ، وكنانة ، وأشجع ، وباهلة وسليم ، وهلال بن عامر، وعامر بن صعصعة ، وثقيف وجاءت وفود ربيعه من : عبد القيس، وبكر بن وائل ، وتغلب ، وحنيفة وشيبان .. ومن اليمن . وفد من طيء ، ونجيب وخولان ، وجعفر، وصداء ، ومراد وزيد، وكندة ، والصدف ، وخشنين ، وسعد هذيم ، وبلى، وبراء ، وعذره وسلامان، جهينه ، وكلب ، وجرم ، والأزد ، وغسان، والحارث بن كعب ، وهمذان ، وسعد العشيرة ، وعنس والدار بين والرهاويين وأزد عمان، وغافق ، ويارق ، ودوس وثمالة ، والحدان ، وأسلم ، وجزام ، وفهيرة ،وحمير، ونجران ، وجيشان وبذلك لم يبق فى شبه الجزيرة بطن أو قبيلة حتى أسلم إلا من قدمنا .

سرية خالد بن الوليد إلى نجران

فى شهر ربيع الأول [1]

أرسل النبى ﷺ خالد بن الوليد فى أربعمائة إلى بنى الحارث بن كعب بنجران: وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاث مرات قبل أن يقاتلهم فإن استجابوا له فأقبل منهم وأقم فيهم وعلمهم كتاب الله وسنة نبيه ومعالم الإسلام . فإن لم يفعلوا فقاتلهم وكان أهل نجران [2] على شريعة عيسى عليه السلام فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون الناس إلى الإسلام ويقولون : أيها الناس إسلموا تسلموا .. فأسلم الناس ودخلوا فى دين الله أفواجاً ودخلوا فيما دعاهم إليه . فأقام خالد فيهم يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ثم كتب خالد إلى رسول الله ﷺ بذلك .

كتاب خالد للنبى ﷺ

بِسْمِ اللـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

لمحمد النبى رسول الله ﷺ من خالد بن الوليد . السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

---

(١) وقيل فى شهر ربيع الثانى وقيل فى شهر جمادى الأولى من السنة العاشرة .

(٢) موضع بين اليمن ونجر .

أما بعد يا رسول الله صلى الله عليك فإنك بعثتنى إلـى بنـى الحـارث بـن كعـب وأوتنى إذا أتيتهم إلا أقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوهم إلى الإسـلام . فـإن أسـلموا قبلـت منهم وعلمتهم معالم وكتاب الله وسنة نبيه وأن لم يسلموا فقاتلهم .

وإنى قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كمـا أمرنـى رسـول اللـه ﷺ وبعثت فيهم ركبانا .. يا بنى الحارث أسلموا تسلموا فأسلموا ولم يقاتلوا وأنا مقيم بين أظهرهم وآمرهم بما أمرهـم اللـه بـه وأنهـاهم عمـا نهـاهم اللـه عنـه وأعلمهـم معـالم الإسلام وسنه النبى ﷺ حتى يكتب إلـى رسـول اللـه والسـلام عليك يـا رسـول اللـه ورحمة الله وبركاته .

هذا الكتاب يشرح فيه خالد مهمته وأنه قام بها كما أمره ﷺ .

كتاب رسول الله ﷺ لخالد بن الوليد

بِسْمِ اللـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من محمد النبى رسول الله إلى خالد بن الوليد .

سلام عليك : فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو .

أما بعد . فإن كتابك جاءنى مع رسلك بنجران بنى الحـارث قـد أسـلموا قبـل أن يقاتلوا وأجابوا . مـا دعوتهـم إليـه مـن الإسـلام وشـهادة أن لا إلـه إلا اللـه وحـده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن قد هداهم الله بهداه فبشرهم وأنذرهم وأقبـل. وليقبل معك وفدهم . والسلام عليك ورحمه الله وبركاته .

فأقبل خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ . وأقبل وفد بنـى الحـارث بـن كعـب . فيهم قيس بن الحصين بن زيد بن قنان ذو الفصه ، ويزيد بن عبد المدان ويزيـد بـن المحجل . وعبد الله بن قريظ الزيادى ، وشداد بن عبد الله القنانى ، وعمرو بن عبد الله القنانى .

فلما وقفوا عند رسول الله ﷺ ورآهم قال : من هؤلاء القوم كأنهم رجال الهنـد؟ قيل : يا رسول الله هؤلاء بنو الحارث بن كعب .

فلما وقفوا عند رسول الله سلموا عليه . فقالوا : نشهد أنك رسول الله وأن لا إله إلا الله . فقال رسول الله : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وإنى رسول الله . ثم قال رسول الله : أنتم الذين إذا زجروا استقاموا . فلم يراجعه منهم أحد ثم أعادها رسول الله الثانية والثالثة والرابعة . فقال يزيد بن عبد المدان : نعم يا رسول الله . نحن الذين إذا زجرنا استقدمنا . فقالها : أربع مرات فقال رسول الله : لو أن خالد بن الوليد لم يكتب لى منكم أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت برءوسكم تحت أقدامكم . فقال يزيد بن عبد المدان . أما والله يا رسول الله ما حمدناك ولاحمدنا خالداً . فقال : فمن حمدتم ؟ قالوا : حمدنا الله الذى هدانا بك . قال: صدقتم . ثم قال رسول الله : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ . قالوا : يا رسول الله : كنا نغلب من قاتلنا إنا كنا بنى عبيد ، وكنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحداً بظلم قال : صدقتم .

ثم أمر رسول الله ﷺ . على بنى الحارث بن كعب قيس بن الحصين فرجع وفد بنى الحارث بن كعب إلى قومهم ولم يمكثوا بعد أن قدموا إلى قولهم إلا أربعة أشهر حتى توفى رسول الله ﷺ .

سرية على إلى بنى مذحج باليمن (١)

(فى شهر رمضان)

بعث رسول الله ﷺ عليا بن أبى طالب إلى اليمن فى شهر رمضان على رأس ثلاثمائة فارس .. وقد عممه بعمامة فى يده ثم قال : سر حتى تنزل بساحتهم فادعهم إلى قول : لا إله إلا الله فإن قالوا نعم فمرهم بالصلاة ولا تبغ منهم غير ذلك. فلإن يهدى بك الله رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس ، ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك .

---

(١) كان بعث رسول الله ﷺ علياً رضى الله عنه إلى اليمن سنة ثماني وهو أول بعث له إلى اليمن بعد فتح مكة . وبعثه إلى همدان . فأسلمت همدان جميعاً فكتب على إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم فلما قرئ الكتاب خَرَّ ساجداً ثم رفع رأسه وقال : السلام على همدان . أما البعث الثانى فكان فى رمضان سنة عشر إلى مذحج .

فلما انتهى إليهم على بأصحابه فرقهم فأتوا بنهب غنائم ونساء وأطفال وكانت الغنائم نعما وشاء ثم لقى جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة وخرج منهم رجل من مذحج يدعو إلى المبارزة فبرز إليه الأسود فقتله الأسود بن خزاعى وأخذ لواءه مسعود بن سنان فقتل منهم نحو عشرين رجلاً فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم قليلاً . ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام وجمع على الغنائم فجزأها خمسة أجزاء فكتب على سهم منها لله وأقرع عليها فخرج أول السهام الخمس وقسم على أصحابه بقية المغنم ثم قفل على رضى الله عنه فوافى النبى بمكة قد قدمها للحج سنة عشر .

البعوث إلى اليمن :

ثم بعث ﷺ عدداً من أصحابه إلى أماكن مختلفة من بلاد اليمن فبعث معاذ بن جبل على الناحية العليا من جهة عدن وبعث أبا موسى الأشعرى على الناحية السفلى وأوصاهما ﷺ . بقوله : يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وقال لمعاذ : إنك ستأتى قوماً من أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله لا الله وأن محمداً رسول الله فإن أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليل ، فإن أطاعوك لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أحوالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب .

وقد مكث معاذ باليمن حتى توفى رسول الله ﷺ أما أبو حسن فقدم على الرسول ﷺ فى حجة الوداع .

حجة الوداع : [1]

استدار العام وأقبل شهر ذى القعدة وأوشك على الرحيل وقد عزم رسول الله ﷺ على الحج فدعا الناس للحج حيث إنه قد سبق له أن اعتمر ولا يحج الحج الأكبر . وقد أقبلت ألوف المسلمين من جميع أنحاء الجزيرة العربية .

---

(١) سميت حجة الوداع لأنه ﷺ ودع فيها الناس .

وقد خرج ﷺ هو ونساؤه جميعاً كل فى محضتها لخمس ليال بقين من ذى القعدة من النسة العاشرة للهجرة ومعه جمع غفير قيل : تسعة آلاف وأربعة عشر ومائة ألف .

وعن عائشة زوج رسول الله ﷺ قالت : خرج رسول الله ﷺ إلى الحج فلما كان أمر الناس أن يحلوا بعمرة إلا من ساق الهدى . وكان رسول الله ﷺ قد ساق الهدى وناس معه . قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله ﷺ على حجه فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم . وخطب الناس خطبته التى بين فيها ما بين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس اسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وإن كل ربا موضوع ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون عفى الله إنه لا رباً وإن ربا عباس بن عبدالمطلب موضوع كله وإن كل دم كان فى الجاهلية موضوع وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب (وكان مسترضعا من بنى ليث فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دعاء الجاهليه) .

أما بعد :

أيها الناس فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم . أيها الناس إنما النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا مما حرم الله ويحرموا ما أحل الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . (يعنى أن الحج قد دعانى فى ذى الحجة وأن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهرا منها أربعة حرم. ثلاثة – سرد – متوالية ورجب الفرد والذى بين جمادى وشعبان) .

أما بعد :

أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقاً ولهن عليكم حقاً لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن غير مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً وإنكم أخذ تموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاعقلوا أيها الناس قولى . فإنى قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً أمرًا بينا . كتاب الله وسنة نبيه .

أيها الناس إسمعوا قولى واعقلوه تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين أخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت (فذكر لى أن الناس قالوا اللهم نعم . فقال رسول الله ﷺ اللهم أشهد) .

وكان الذى يبلغ عنه بعرفه ربيعة بن أمية بن خلف لكثرة الناس . وقد أحس رسول الله ﷺ فى هذه الخطبة بأن أجله قد قرب وأنه لا يحج بعد هذه المرة لقوله فى أولها (فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً) .

وأوصى الناس بالنساء خيراً . ومنع الرجال من معاملتهن بالظلم وحضهم على معاشرتهن بالمعروف . وكما أن للرجال حقا عليهن فكذلك للنساء حقا عليهم وهذا من غير شك رفع لشأنهن . فلم تعد المرأة كمية مهملة أو مهضومة الحق بعد أن عنى الرسول بها فى خطبته فليفهم المسلمون ذلك فى جميع أنحاء الأرض وليعملوا ويأخذوا بنصح الرسول ﷺ .

وتسمى هذه الحجه أيضاً حجة التمام والكمال لنزول قوله تعالى ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الأِسْلاَمَ دِيناً** ﴾ (١) ورسول الله ﷺ واقف بعرفة ولم يحج رسول الله ﷺ بعد أن هاجر غير هذه الحجة .

ولم يترك الحج وهو بمكة قط لأن قريشاً فى الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج وإنما يتأخر منهم من لم يكن بمكة أو عاقه ضعف .

---

(١) سورة المائدة :٣ .

قال ابن الأثير فى النهاية :

كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر .

واستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى وقيل : سباع بن عرفطة الغفارى . وكان نساؤه كلهن معه . وكان دخوله مكة صبح الرابع من ذى الحجة يوم الأحد.

يقول مستر موير :

الراجح أن النبى ﷺ خرج من المدينة يوم السبت ٢٥ من ذى القعدة . وبلغ سرف موضع على بعد ستة أميال من مكة مساء الأحد فى اليوم العاشر ودخل مكة يوم الثلاثاء . وخرج معه ﷺ تسعون ألف ويقال : أكثر من ذلك .

وأما الذين حجوا معه فأكثر من ذلك طبعاً لانضمام أهل مكة إليهم والذين أتوا من اليمن مسلمين :

قال ابن إسحاق :

وحدثنى عبد الله بن نجيح أن رسول الله ﷺ . حين وقف بعرفة قال : هذا الموقف للجبل الذى هو عليه وكل عرفه موقف . وقال حين وقف على قزح صبيحة المزدلفة : (قزح القرن الذى يقف الأمام عنده بالمزدلفة عن يمين الإمام وازدلف تقرب . ومنه سمى الشهر الحرام مزدلفة لأنه يقترب فيها وهى ما بين وادى محسر ومأزمى عرفة) .

هذا الموقف وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر بمنى . قال : هذا المنحر وكل منى منحر . فقضى . رسول الله ﷺ الحج وقد أراهم مناسكهم وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم من الموقف ورمى الحجار وطواف البيت وما أحل لهم من حجهم وما حرم عليهم . ثم دعا رسول الله ﷺ إلى المدينة .

من وفيات هذا العام :

وفاة سيدنا إبراهيم عليه السلام :

يوم الثلاثاء شهر ربيع الأول سنة عشر للهجرة (يونيه ٦٣١م) .

لما علم رسول الله ﷺ بأن ولده إبراهيم يجود بأنفاسه الأخيرة ذهب إليه وهو معتمر على عبد الرحمن بن عوف حتى أتيا إلى النخل بجوار العالية التى تقوم المشربة اليوم مكانها (مشربة أم إبراهيم) . فوجد إبراهيم فى حجر أمه فى الرمق الأخير . فأخذه فوضعه فى حجره . وقد ملك الحزن عليه فؤاده . وقال : يا إبراهيم. لا نغنى عنك من الله شيئاً . ثم وجم . وذرفت عيناه .. وأمه مارية وأختها سيرين تصيحان . ولما فارق إبراهيم الحياة [١] . قال ﷺ : يا إبراهيم إنا عليك لمحزنون .

ولما مات دمعت عينا رسول الله ﷺ . وقال له عبد الرحمن : أى رسول الله ﷺ هذا الذى تنهى الناس عنه حتى يرك المسلمون تبكى يبكون فلما سريت عنه عبرته . قال : (إنما هذا رحمة وإن من لا يرحم لا يرحم إنما نهى الناس عن النياحة وأن يندب الرجل بما ليس فيه) . ثم قال : (لولا أنه وعد جامع وسبيل مئتاء . وأن آخرنا لاحق بأولنا لوجدنا عليه وجداً غير هذا وإنا عليه لمحزونون . تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب وفضل رضاعة فى الجنة .

وأمر النبى ﷺ بدفن إبراهيم فى البقيع وحمل على سرير صغير إلى البقيع[٢] وصلى عليه . ﷺ . باليقيع وكبر أربعاً والذى غسله أبو بردة والفضل بن العباس. ونزل قبره الفضل وأسامه بن زيد والنبى ﷺ على شفير القبر ولما دفن أمر برش قربة ماء على قبره . ولما سوى جدثه كان رسول الله ﷺ رأى كالحجر فى جانب الجدث فجعل رسول الله ﷺ يسوى بأصبعه ويقول : إذا عمل أحدكم عملاً فليتقنه فإنه مما يسلى بنفس المصاب) .

وعلم بعلامة ليعرف بها ويروى أنه ﷺ لما بكى عند وفاة إبراهيم قال له عبدالرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ فقال : (يا ابن عوف إنها رحمة . ثم اتبعها بأخرى . قال ﷺ : العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا) .

---

(١) مقبرة أهل المدينة .

(٢) فى شهر ربيع الأول (يونيه ٦٣١م) .

وكانت وفاة إبراهيم يوم الثلاثاء من شهر بيع الأول سنة عشر ووافق موت إبراهيم كسوف الشمس فرأى المسلمون فى ذلك معجزة وقالوا : إنها انكسفت لموته. وسمعهم النبى . فلم يحل الحزن بينه وبين رسالته حتى فى أشد المواقف . التى تملأ نفسه بها بفجيعه والهول . فيرد عليهم ويقول : (**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته . فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة**).

حصاد هذا العام

يعتبر العام العاشر عام الكمال والتمام والرضى والجمال .

عام كمال الدعوة ، وتمام النعمة والرضى بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد نبياً ورسولاً . ﷺ .

عام الجمال الكامل للنهج ، والكمال الكامل للتشريع .

تعيين العمال :

أما وأصبحت قريش تحت إمرة الدولة الإسلامية وأقبلت شبه الجزيرة العربية بِشَعْبِها وشُعَبِها وبطونها وقبائلها تعلن إسلامها ودخولها فى الدين طواعية وشمل الأمن والأمان ربوع البلاد فتأسيسا عليه وجوب تعيين حكامٍ وعمال لهذه الأمصار وسبق وأن عين رسول الله ﷺ حاكماً على مكة وسلم مفتاح الكعبة وفى هذه السنة تم تعيين على ما تبقى من بقاع مثل اليمن وغيره .

حجة الوداع :

حج رسول الله ﷺ حجته الأولى والأخيرة [١] (حجة الوداع) التى ودع فيها الناس والتى قال فيها مودعا : أيها الناس اسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً .وحجة الوداع تمكيناً وتأكيداً لركن الإسلام الخامس.

---

(١) لم يسبق للرسول ﷺ الحج بعد الهجرة إلا هذه المرة .

وأوحى الناس بوصايا تهديهم وتسعدهم فى دنياهم وأخراهم .

وصايا خطبة الوداع :

هى وصايا أمن وأمان ، وسلم وسلام ، ومحبة ووئام ، المسلم أخ المسلم حرام عليه دمه وماله وعرضه ، صون الأمانات وردها إلى أهلها ، نهاية الربا ونهاية الدم (ثائر) كان فى الجاهلية معامله النساء بالحسنى ومعاشرتهن بالمعروف ، وللنساء حقوق على الرجال وللرجال حق عليهن (وعدد الحقوق والواجبات لكل) . وفى ذلك شأن المرأة تكريماً وتظيماً لها .

من وفيات هذا العام :

وفاة سيدنا إبراهيم بين الرسول ﷺ عن ثمانية عشر شهراً تقريباً .

كمال الدين وتمامه :

اكتملت الرسالة المحمدية ورضى الله لها إذ يقول : ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الأِسْلاَمَ دِيناً**﴾ [سورة المائدة : ٥] .

العام الحادى عشر الهجرى

يعتبر العام الحادى عشرإمتدادًا لسابقه متوجا بتاج النصر والإيمان والإسلام والعزة .

واستمرار الوفود العربية القادمة للدخول فى دين الله أفواجا . وكان حج رسول الله ﷺ ثم رجوعه ومعه عشرات الألوف ممن أدوا معه فريضة الحج إلى نزلهم فى بلادهم المنتشرة فى ربوع شبه الجزيرة العربية فمنهم من ذهب إلى نجد، ومنهم من انحدر إلى الجنوب وهم أهل اليمن وحضرموت ، ومن انتشروا فى أنحاء شبه الجزيرة وهم أشد ما يكونون إيمانا بالدين الإسلامى وبرسوله النبى الأمى ﷺ.

بالإضافة إلى ذلك زاد نشاط حكومة الدولة الإسلامية الغنية فى المدينة وانشغالها بالوفود الوافدة لاعتناق الإسلام وعقد المكاتبات معهم ، والتنظيم الإدارى لإدارة أعمال الدولة بعد توقف النشاط العسكرى أوكاد .

وفى هذه الآونة ظهرت جماعة غلبت عليها شقوتها ودفعها شيطانها وجهالتها إلى ادعائها النبوة .

ولما بلغ رسول الله ﷺ أمر هؤلاء لم يهتم بهم ولا بما يدعونه لكذبهم وبهتان دعوتهم وسينكشف زيف أعدائهم مهما قالوا ومهما ادعوا .

كما أن الدعوة الإسلامية نمت وتأصلت فى قلوب العرب ، ولم يعد مقاومتها أمر سهلا أو انتزاعها من القلوب المؤمنة أمرا سهلا .

دعاة النبوة :

طليحة ، الأسود العنسى ، مسيلمة الكذاب .

طليحة :

قام طليحة . زعيم بنى أسد وهو أحد أشاوس العرب فى الحروب وفارسى مغوار فى ميادين القتال ، ومن ذوى السلطان بنجد .

زعم أنه نبى ورسول وأنه أيد زعمه بالتنبؤ بسمع نقع الماء فى يوم كان قومه فيه يسيرون ويكاد الظمأ يقتلهم .

ظل طليحة خائفا من مجابهة الدعوة الإسلامية والانقضاض عليها طوال حياة الرسول ﷺ ، ولم يعلن الثورة والتصدى للمسلمين إلا بعد موته ﷺ .. وقضى على دعوته خالد بن الوليد ، ورجع طليحة إلى الإسلام وحسن إسلامه .

مسيلمة **الكذاب :**

بعث مسيلمة إلى الرسول ﷺ كتابا يقول فيه : (إنه نبى مثله ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض . ولكن قريشا قوم لا يعدلون .

فلما تلا الرسول الكتاب نظر النبى محمد ﷺ لرسولى مسيلمة الكذاب وأبدى لهما أنه كاد يأمر بقتلهما لولا أن الرسل فى آمن .

ثم أجاب مسيلمة بأنه سمع إلى كتابه وما فيه من كذب وأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والصالحين والسلام على من اتبع الهدى .

وكانت نهاية مسيلمة فى موقعة اليمامة على يد وحشى قاتل حمزة فى غزوة أحد وخالد بن الوليد أيضاً ونسيبة بنت كعب الصحابية الجليلة التى كانت إحدى اثنتين هى وأختها فى بيعة العقبة الكبرى والتى وقفت بجوار رسول الله ﷺ فى غزوة أحد تدافع عنه رضى الله عنها وأرضاها آمين .

الأسود العنسى صاحب اليمن :

أما الأسود العنسى صاحب اليمن . بعد موت بدهان . جعل يدعى السحر ويدعو الناس إليه خفية حتى إذا عظم أمره سار من الجنوب وطرد عمال محمد ﷺ على اليمن . وتقدم إلى نجران وقتل أفين بدهان وأخذ عرشه وبنى بزوجه ونشر فى تلك الأصقاع سلطانه ..

ولم يثر استفحال أمره محمد ﷺ . ولا استدعى من اهتمامه أكثر من أن بعث إلى عماله باليمن كى يحيطوا بالأسود أو يقتلوه . ونجح المسلمون فى تأليب اليمن من جديد على الأسود . وقتلته زوجه انتقاما منه لقتله زوجها الأول ابن بدهان .

سرية أسامة إلى إبنى [1]

(فى شهر صفر) . (وهذه آخر البعوث النبوية)

بعد أن عاد النبى ﷺ من حجة الوداع كان اهتمامه الكبير متجها إلى توطيد اركان الدولة الإسلامية من جهة الشمال حيث إن دولة الروم وأتباعها من قبائل العرب كانوا مايزالون يناوئون الدوله الإسلامية . فأراد أن يضع لهم حدا .

لذلك جهز جيشاً ولأربع بقين من صفر برئاسة أسامة بن زيد بن حارثة لغزو الروم . وقال له رسول الله ﷺ :

سر إلى موضع قتل أبيك يا بنى فأوطئهم الخيل . فقد وليتك هذا الجيش فأغز صباحا على أهل إبنى . وأسرع السير لتسبق الأخبار ، فإن أظفرك الله بهم فأقل اللبث فيهم ، وخذ معك الأولاد ، وقدم العيون والطلائع معك .

---

(١) إبنى : قرية قرب مؤنة بفلسطين . حيث قتل زيد بن حارثة والد أسامة .

ثم عقد النبى . ﷺ . لأسامة لواء بيده . وأوصاه بقوله :

أغز بأسم الله وفى سبيل ، قاتل من كفر بالله .

فخرج أسامة بلوائه معقودا فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمى . وعسكر بجيشه بالجرف .

ولم يبين أحد من وجوه المهاجرون من الأنصار وكان من بين أفراده أبو بكر وعمر ، وأبو عبيدة ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعد بن زيد وغيرهم .

وقد اعترض بعض الناس على تأمير أسامة . وهو شاب لم يبلغ العشرين من عمره على جيش فيه كبار المهاجرين والأنصار ، وعلم النبى ﷺ بذلك . وكان فى مرض موته . فغضب غضباً شديداً وخرج إلى الناس . وقد عصب رأسه فصعد المنبر : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس فما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة . ولئن طعنتم فى تأميرى أسامة فقد طعنتم فى تأميرى إياه من قبله . وأيم الله إنه كان لخليقاً بالإمارة وإن ابنه من بعده لخليق بها ، وإنه لمن أحب الناس إلى فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم .

ثم نزل . ﷺ . فدخل بيته . وأقبل المسلمون الذين كانوا مشركين فى جيش أسامة ليودعوا رسول الله قبل أن يمضوا إلى معسكراتهم بالجرف خارج المدينة منتظرين ساعة المسير إلى فلسطين (١) .

حرص الرسول ﷺ : إبلاغ الناس بدنو أجله ﷺ

لما أتم عليه الصلاة والسلام ما كلف به وأدى ما أوتمن عليه . وهدى الله به أمته وأحس دنو أجله ﷺ . جلس على المنبر مرة وكان فيما قال : إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده .. فسكت وسكت الناس لكن أبا بكر أدرك أن النبى إنما يعنى بهذه العباره نفسه فبكى أبو بكر وقال: يا رسول الله فد يناك بأبائنا وأمهاتنا. فقال عليه الصلاة والسلام : على رسلك يا أبا بكر.

---

(١) وظلت هذه السرية مرابطة خارج المدينة لوفاة الرسول ﷺ حتى أنها قامت فى عهد أبى بكر الصديق .

اشتداد مرضه ﷺ

(فى آخر شهر صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة)

وقد بدأه عليه الصلاة والسلام مرضه فى بيت ميمونة واستمر أيضاً ثلاثة عشر يوماً . كان فى خلالها يتنقل إلى بيوت أزواجه . ولما اشتد عليه المرض . أستأذن منهن أن يمرض فى بيت عائشة الصديقة فأذن له . وكان لا يخرج إلا للصلاة ولما زاد مرضه وزادت به الحمى واشتد عليه وجعه قال : هريقوا على من سبع قرب لم تُحَلُّ أوكيتهن لعلى أعهد إلى الناس فأجلس فى مخضب وصب عليه الماء حتى أشار بيده أنه قد فعلتن . وكان هذا الماء لتخفيف حرارة الحمى التى كانت تصيب من يضع يده فوق ثوبه .

صلاة أبى بكر بالناس :

لما تعذر الخروج إلى الصلاة قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس فريضة عليه الصلاة والسلام خليفة له فى حياته .

وقد حدث الهمس بين الناس لعدم خروجه إليهم وبلغه ﷺ وكذلك لما رأت الأنصار واشتداد وجع الرسول ﷺ أقاموا بالمسجد فدخل العباس وأعلمه بمكانهم واشفاقهم فخرج ﷺ متوكئاً عَلَى عَلِىٍّ والفضل . وتقدم العباس أمامهم . والنبى معصوب الرأس يخط برجله حتى جلس فى أسفل مرقاة المنبر .

الرسول ﷺ يخطب فى الناس :

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس بلغنى أنكم تخافون من موت نبيكم : هل خلد نبى قبلى فيمن بعث الله فأخلد بكم ؟ إلا أنى لاحق بربى وإنكم لاحقون بى فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً وأوصى المهاجرين فيما بينهم فإن الله تعالى يقول : ﴿ **وَالعَصـرِ إنّ الإنسَانَ لَفِى خُسرٍ إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ وَتَوَاصَوا بِالحَقّ وَتَوَاصَوا بِالصّبرِ** ﴾ (1)

---

(١) سورة العصر .

وإن الأمور تجرى بإذن الله ولا يحملنكم إستنباط أمر على استعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خدع الله خدعه ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُواْ أَرْحَامَكُمْ ﴾ (١) .

وأوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ،ألم يشاطروكم فى الثمار؟ ألم يوسعوا لكم فى الديار ؟ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصه ؟. ألا فمن ولى أن يحكم بين رجلين فليتقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم إلا ولا تستأثروا عليهم ألا وإنى فرط لكم وأنتم لاحقون بى . ألا فإن موعدكم الحوض ألا فمن أحب أن يرده على غداً فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغى .

وصية النبى ﷺ لأبى بكر الصديق :

دخل أبو بكر رضى الله عنه على النبى ﷺ فى مرض موته . فقال له النبى ﷺ : سل يا أبا بكر . فقال . أبو بكر .أدنا الأجل ؟. قال : دنا وتدلى فقال : ليهنك يا نبى الله ما أعد الله لك . فليت شعرى أين منقلبنا ؟. قال الله تعالى . وإلى سورة المنتهى ، وإلى جنة المأوى ، والعرش الأعلى والرفيق الأعلى العيش الأهنى، والحد الأدنى . فقال أبو بكر : يا نبى الله من يلى غسلك ؟. قال : رجل من أهل بيتى . الأدنى فالأدنى . قال : فيم نكفنك ؟. قال : فى ثيابى هذه وفى حلة يمنية وفى بياض مصر . قال : كيف الصلاة عليك ؟. ثم بكى . وبكى من معهما ثم قال : مهلا غفر الله لكم . وجزاكم الله عن نبيكم خيراً . إذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على سفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة .

فأدل من يصلى علىّ الله عزَّ وجلَّ وقوله : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾(٢) على جبريل . ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم عزرائيل مع جنود كثيره من الملائكة ثم أنتم فادخلوا على أفواجاً أفواجا وزمرا زمرا وسلموا تسليماً ولا تؤذونى بصيحة ولا ضربة ولا رنة .

---

(١) سورة محمد : ٢٢ .
(٢) سورة الأحزاب : ٤٣ .

وليبدأ منكم بالصلاة ، الإمام (أى : أبو بكر .) ثم أهل بيتى الأدنى فالأدنى ثـم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال : من يدخل القبر ؟ قال : أهل بيتى الأدنى فالأدنى.

مع ملائكته كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم ثم قوموا . فأدوا عنى السلام إلـى مـن بعدى من أمتى .

النبى ينشرح الصلاة المسلمين ويودعهم بنظرة أخيرة :

بينما المسلمون فى صلاة الفجر من يوم الاثنين ثالث عشرربيع الأول وأبو بكـر يصلى بهم إذا برسول الله ﷺ قد كشف سجف حجرة عائشـة فنظـر إليهم وهـم فـى صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فتمكن أبو بكر رضـى اللـه عنـه علـى عقبـه ليصـل الصف . وظن أن رسول اللــه ﷺ يريـد أن يخـرج إلـى الصـلاة وهـم المسـلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخـل الحجرة وأرخى الستر وتوفى من ساعته .

وفاة رسول الله ﷺ

(يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١١ هـ)

(الموافق ٨ يونيو سنة ٦٣٣م)

ولم تأت صحوة هذا اليوم حتى فاروق النبى ﷺ دنيـاه ولحـق بمـولاه . وعمـره عليـه الصـلاة والسـلام ٦٣ سـنة قمريـة وثلاثـة أيـام . وإحـدى وسـتين سـنة شمسـية وأربعة وثمانين يوماً .

وكانت وفاته ﷺ فى بيت السيدة عائشة . ورأسه فى حجرها ثم وضعـت رأسـه على وسادة . وأخذت تبكى وتصيح . وفوجىء المسلمون بالمسجد بهـذا النبـأ لأنهـم رأوا النبى فى الصباح . كل شىء يدل على أنه عوفى .

لذلك ذهب أبو بكر إلى السنح وهى منازل بنى الحارث بن الخزرج عند زوجـه حبيبة بنت فارجه بن زيد .

عمر بن الخطاب يكذب الخبر :

وكان عمر بن الخطاب حاضراً : فلم يصدق النبأ . وأسرع حيث جثمان النبى فكشف عن وجهه الشريف فألقاه لا حراك فيه فحسبه فى غيبوبة وقد حاول المغيرة إقناعه بالحقيقة ولكنه ظل مؤمنا بأن محمداً لم يمت . فلما ألح المغيرة عليه قال : كذبت .. خرج من المسجد وهو يصيح ويقول : إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفى . وأنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ابن عمران . فقد لبث عن قومه أربعين ليلة .

والله ليرجعن كما رجع موسى فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أنه مات .

أبو بكر الصديق يعلن نبأ الوفاة .

خيم الحزن ةعلى القوم فلما أقبل أبو بكر وأخبر الخبر دخل بيت عائشة واستأذن للدخول فقيل له : لا حاجه لأحد اليوم بإذن .

وكشف عن وجه رسول الله ﷺ فجثا يقبله ويبكى فقال : توفى والذى نفسى بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما أطيبك حيا وما أطيبك ميتاً بأبى أنت وأمى لا يجمع الله عليك موتتين.

ثم خرج فوجد الناس حوله فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت) وتلا قوله تعالى : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ﴾ (1) **وقوله** : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران :١٤٤] .

قال عمر بن الخطاب : فكأنى لم أتل هذه الآية قط . وقد خر إلى الأرض فلم تحمله رجلاه موقناً أنه رسول الله ﷺ قد مات .

وظل ﷺ فى بيته بقية يوم الاثنين وليله الثلاثاء ويومه وليلة الأربعاء .

---

(١) سورة الزمر : ٣٠ .

عودة جيش أسامة :

فى هذه الأثناء عاد جيش أسامة إلى المدينة من معسكره خارجها بعد أن تجهز للسفر إلى الشام بأمر رسول الله ﷺ . فلما توفى رسول الله ﷺ وعلم أسامة النبأ فى الصبح مع بقية المسلمين . عاد ووضع أسامة الراية عند باب عائشة إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولاً :

اختيار الخليفة :

انتشر خبر وفاته ﷺ بين المسلمين . وبلغت حيرة المسلمين مبلغها فيما سيفعلون . وقد انحاز حى من الأنصار إلى سعد بن عباد فى سقيفة بن ساعدة .

كما اعتزل على بن أبى طالب والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة الزهراء وبنت رسول الله ﷺ .

وإنحاز المهاجرون ومعهم أسيدبن خضير وهو من الأنصار فى بنى عبدالأشهل إلى أبو بكر . قد نبأهم بنبأ الأنصار الذين انحازوا إلى سعد بن عبادة وحثهم بالإسراع إلى الناس قبل أن يتفاقم أمرهم كُلُّ ذلك ورسول الله ﷺ فى بيته لم يفرغ منه . وذهبا إلى سقيفة بنى ساعدة فإذا بين ظهرانيهم أنهم رجل مزمل . إذ هو سعد ابن عباده به وجع .

فلما جلس المهاجرون . قام خطيب الأنصار . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام . وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا قد دفت دافة من قومكم وإذا هم يريدون أن يجتازونا من أصلنا ويقصونا الأجر .

غضب عمر لهذا القول وهم أن يدفعه فأمسك به أبو بكر مخافة شدته وقال : على رسلك يا عمر .. وقال موجها كلامه للأنصار :

أيها الناس نحن المهاجرين أول الناس إسلاماً . وأكرمهم أحسابا. وأوسطهم داراء وأحسنهم وجوهاً وأكثرهم ولادة فى العرب وأحسنهم رحماً برسول الله . أسلمنا قبلكم . وقدمنا فى القرآن عليكم . فقال تعالى ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ** ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار إخواننا فى الدين ، شركاؤنا فى الفىء وأنصارنا على العدو . وأما العرب فلن تعرق هذا إلا لهذا الحى من قريش فمنا الأمراء ومنكم الوزراء .

غضب أحد الأنصار وزاد غضبه فقام وقال : أنا جذيلها والمحكك [١] عذيقها المرجب . منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش .

فرد عليه أبو بكر . منا الأمير ومنكم الوزير وقد رضيت لكم أحد اثنين اختاروا أيها شئتم. . وأخذ بيد عمر بن الخطاب وبيد أبى عبيدة بن الجراح وهو جالس بينهما حدثت همهمة ولغط بين القوم وارتفعت الأصوات عمر يباع أبا بكر الصديق :

هنا قال عمر بصوته الجهورى : أبسط يدك يا أبا بكر فبسط أبو بكر يده فبايعه عمر وهو يقول (ألم يأمر النبى بأن تصلى أنت يا أبا بكر بالمسلمين فأنت خليفته ونحن نبايعك . فنبايع خير من أحب رسول الله منا جميعا .

كانت هذه الكلمات بلسما أراح بها قلوب الحاضرين . ولم يتأخروا عن بيعته . وقالوا : ارتضاه النبى ﷺ لديننا . أفلا نرضاه لدنيانا) .

بيعة المسلمين لأبى بكر الصديق :

فى اليوم التالى جلس أبو بكر على المنبر وتقدم عمر بن الخطاب وقال : بعد أن حمد الله وأثنى عليه : إنى قد قلت لكم بالأمس مقالة قد كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا ويبقى ليكون آخرنا . وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هدى رسوله. فإن اعتصمتم به هداكم الله بما كان هداه له وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ . وثانى اثنين إذ هما فى الغار فبايعوه .

فبايع الناس أبا بكر بعد بيعة الثقيفة .

خطاب أبى بكر فى الناس :

بعد أن تمت البيعة لأبى بكر وأصبح أول الخلفاء الراشدين قام أبو بكر الصديق يخطب الناس خطاباً جمع فيه الحكمة وفصل الخطاب . حين قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

---

(١) المحكك : الذى تتحكك به الإبل عذيقها – النخلة .

أما بعد : أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى . والصدق أمانة والكذب خيانة . والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله القوى فيكم ضعيف عند حتى آخذ الحق منه إن شاء الله. لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمّهم الله بالبلاء . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله فلا طاعة لى عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

تجهيز النبى ﷺ :

بعد أن تمت البيعة واطمأن الناس قاموا ليجهزوا رسول الله ﷺ . ليدفنوه . وقد اختلفوا فى أى مكان يدفن ﷺ فمنهم من قال : يدفن فى مكة مسقط رأسه . ومنهم من قال : يدفن فى المسجد حيث كان يخطب وآخرون قالوا : يدفن ببيت المقدس[١].

فدخل الصديق وحسم الموقف إذ قال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما قبض نبى إلا دفن حيث قبض . وبذلك تقرر أن يحفر له مكان الفراش الذى قبض فوقه فى بيت عائشة .

غسل النبى ﷺ :

قام آل بيت النبى ﷺ بغسله وفى مقدمتهم على بن أبى طالب والعباس بن عبدالمطلب وابناه الفضل وقثم وأسامة بن زيد وشقران مولى النبى وهما اللذان يصبان الماء عليه وعلى يغسله . وعليه قميصه . فقد أبوا أن ينزعوا عنه القميص .

وكانوا أثناء ذلك يجدون به طيباً حتى كان على يقول : بأبى وأمى ما أطيبك حيا وميتاً. فلما فرغوا من غسله وعليه قميصه كفن فى ثلاثة أثواب وبرد حبرة أدرع فيه إدراجا.

الوداع الأخير :

لما تم الجهاز على هذا النحو وضع على سرير فى بيته ودخل الناس من ناحية المسجد يطوفون ويلقون على نبيهم وحبيبهم نظرة الوداع . ويصلون على النبى ثم

---

(١) وهى تحت أمرة الروم .

يخرجون وقد دب الحزن فى قلوبهم . وحضر أبو بكر وعمر يصليان مع المسلمين لا يؤمهم فى صلاتهم هذه أحد ...

فلما استوى المكان وعم الصمت قال أبو بكر : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته وشهد أن نبى الله ورسوله قد بلغ رسالة ربه وجاهد فى سبيله حتى اتم الله النصر لدينه . وأنه وفى بوعده وأمر لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له. وكان المسلمون يرددون خلفه كل جملة وهم فى خشوع وهيبة.

ولما انتهت الصلاة دخلت النساء ثم الولدان ...

دفن النبى :

لقد أعد أبو طلحة زيد بن سهل اللحد لرسول الله ﷺ على طريقة أهل المدينة . ولما كان المساء وبعد أن مر المسلمون بالجثمان الطاهر وودعوه الوداع الأخير . اعتزم أهل النبى دفنه فانتظروا حتى مضى هزيع من الليل وفرشوا القبر برداء أحمر كان النبى يلبسه . ثم أنزله الذين تولوا غسله إلى المقر الأخير رفأته وبنوا فوقه باللبن وأهالوا التراب فوق القبر ورش قبره بلال بالماء ورفع قبره عن الأرض قدر شبر .

قالت عائشة : ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت السامر من جوف الليل .

وقالت فاطمة مثل هذا القول : وكان دفنه ليلة الأربعاء الرابع عشر من شهر ربيع الأول . أى بعد يومين من اختياره الرفيق الأعلى .

قيام جيش أسامة لمهمته :

بعد أن فرغ المسلمون من جهاز رسول الله ﷺ ودفنه أمر أبو بكر الصديق لقيام جيش أسامة بمهمته . ولكن اعتراض من بعض الناس عن هذا الجيش منهم عمر بن الخطاب . وقالوا : يظل بالمدينة لحمايته ولكن أبا بكر . أصر على بعث أسامة وتنفيذ أمر رسول الله ﷺ .

سار الجيش وقد طلب أبو بكر من أسامة أن يعفى ابن الخطاب من الذهاب معه. وبعد عشرين يوما عاد جيش أسامة منتصرا آخذ بثأر أبيه وكانت صيحة الحرب . يا منصور أمت .

فاطمة تطالب بالميراث فى الرسول ﷺ :

طلبت فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ من أبى بكر ميراث أبيها فى أرض فدك وخيبر . ولكن أبا بكر أجابها بقوله : إن أباها يقول : (نحن معشر الأنبياء لانورث ما تركناه صدقة)

ثم قال لها : فأما إن كان أبوك قد وهبك هذا المال فإنى أقبل كلمتك فى ذلك وأنفذ ما أمر به . وأجابت فاطمة . بأن أباها لم ينص إليها بشىء من ذلك . إنما أخبرتها أم أيمن بأن ذلك كان قصده .

رد أبو بكر ما كان تحت يد رسول الله ﷺ إلى بيت مال المسلمين وأمر أبو بكر برد فدك وخيبر لبيت مال المسلمين .

وأخذت قوافل الإيمان . يحدوها الإيمان . تجوب الفيافى والقفار مشرقين ومغربين . لا تعوقهم جبال ولا بحار . ينشرون كلمة التوحيد بين الناس فى البلاد والأمصار .

ولقد استطاع المسلمون فى فترة وجيزة من عمر التاريخ أن ينشروا سلطانهم فى المشارق والمغارب . وأن يجعلوا كلمة الله هى العليا . وكلمه الذين كفروا السفلى . وأن يرفعوا راية الإسلام فوق روابى الشرق وقلاعه .

وما ذلك إلا بفضل الإيمان الذى وحد صفوفهم وجمع كلمتهم وأذاب الفوارق بينهم . والذى خالطت بشاشته قلوبهم . والعمل الصالح الذى حرصوا عليه ولم يحيدوا عنه .

الإيمان الذى جعل من ضعفهم قوة وثقة بوعد الله ونصره فى فتح الأرض ونشر الإسلام فيها والصلاح والإصلاح والعدل بين أهلها .

فهل آن لمسلمى اليوم أن يسلموا العظة والعبرة . والدرس المستفاد من هذه السيرة العطرة . التى اشتملت على كل مقومات الحياة الطيبة للفرد والجماعة . فى حلها وترحالها . فى سعيها نحو لقمة العيش . فى عبادتها لربها فى كفاحها ضد عدوها .. بقوة الإيمان الذى بنى شخصية الإنسان المسلم فى مدرسة التوحيد التى خرجت القادة والعلماء الذين وضعوا أسس العلوم والمعرفة فى جميع فروع العلم ونشروا نور العلم فى جميع البقاع مع كلمة لا إله إلا الله . فاستيقظت الأمم الغافلة على نور مشاعلهم فأخذوا من ينابيع علومهم ومعرفتهم الزاد الذى دفعهم لبناء نهضتهم وتقدمهم . وحضارتهم وأصبحوا الآن يتباهون ويتفاخرون علينا بها بعد أن نسوا الفضل العظيم والأول والأخير للمدرسة المحمدية والدين الإسلامى الحنيف الذى يدعو للإيمان بالله الواحد الأحد وعبادته وحده لا شريك له ومخافته فى كل شىء والعمل المتواصل والبحث والسعى وراء المعرفة والعلم والتعليم .

نحن أحوج ما نكون إلى مثل هذا الإيمان الذى يجعل المسلم فاهما لرسالته فى هذه الحياة مؤديا لها على خير وجه . نحو خالقه . ونحو نفسه ونحو أمته . ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾ (١) .

وعندما تتشرب نفوس مسلمى اليوم بالإيمان كما تشربت به نفوس مسلمى الأمس . فلابد أن تحشر كلمتهم . وترتفع رايتهم . وتسود دولتهم . كما وعدهم ربهم الذى لا يخلف وعده . بقوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ (٢) صدق الله العظيم .

صلاة وسلاماً عليك سيدى يارسول الله يا معلم الإنسانية .

تم بحمد الله

الراجى عفو ربه

على زين العابدين محمد عماره

---

(١) سورة آل عمران : ١١٠ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٥ .

المراجع

المرجع	مؤلفه
القرآن الكريم	
صحيح البخارى	محمد بن إسماعيل البخارى
شرح صحيح مسلم	أبو زكريا محى الدين بن شرف النووى
سنن بن ماجه	أبو عبد الله بن محمد يزيد بن ماجه القزوينى
سنن أبى داود	أبو داود سليمان بن الأشعس السجستانى
صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج القشيرى
فى ظلال القرآن	سيد قطب (دار إحياء التراث بيروت)
سيرة ابن هشام	أبو محمد عبد الملك بن هشام (بيروت)
البداية والنهاية	إسماعيل بن كثير الدمشقى
طبقات ابن سعد	محمد بن سعد
جامع الترمذى	أبو عيسى محمد بن سورة الترمذى
زاد المعاد	شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر بن أيوب (ابن القيم)
المواهب اللدنية	للقسطلانى (المطبعة الشرقية)
شرح المواهب	للزقافى
المنظومة الشكرية	السيد شكرى باشا
حياة محمد	محمد هيكل
نور اليقين	الشيخ محمد الخضرى

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟	السيد أبو الحسن على الحسن الندوى
الكشف ، وسيرة ابن حجر	ابن حجر
سيرة ابن إسحاق	ابن إسحاق
بعض المجلات الدينية	–
النجيب أبادى فى تاريخ إسلام	١/ ٢٢ .
تفسير ابن كثير	إسماعيل بن كثير الدمشقى (طبعة الحلبى)
نور الأبصار	للإمام النووى

****